سرى للغاية

من سجلات الحرب الألمانية والبريطانية السرية

الى الأمام يا روميل!"

أسرار لم تُنشَر
عن فترة حاسمة
فى تاريخ مصر السياسى والعسكرى

محمد فيصل عبد المنعم

مطبوعات الشعب
ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب

سرى للغاية

من سجلات الحرب الألمانية والبريطانية السرية

الى الامام يا روميل!"

أسرار لم تُنشَر
عن فترة حاسمة
فى تاريخ مصر السياسى والعسكرى

محمد فيصل عبد المنعم

تصميم الغلاف : للفنان جمال قطب

الإهـــــداء

عندما كانت الحكومة المصرية تســقط اذا اعتذر السفير البريطانى عن مقابلة رئيسها ، بينما مصر ترزح تحت نير الاســـــتعمار الانجليزى .

وقف ضابط شـــاب من جيش مصر ، ليرفض فى اصرار أن يحـاكم أمـام ضابط بريطانى .

هذا الضابط الذى عاش حياته يكافح من اجل بلاده هو بذاته رئيس جمهـورية مصر العربية اليوم .

وانه لشرف عظيم أن يهدى مقاتل من هذا الجيش هـذه الصـفحات ، عرفانا الى ابن مصر .. الرئيس محمد أنور السادات .



مقدمة المؤلف

حديث الذكريات :

على امتداد ساعات ثلاثة ، في يوم الخامس والعشرين من ديسمبر ١٩٧٥ ، كان قلب مصر يخفق مع الرئيس محمد أنور السادات ، في « حديث الذكريات » الذي طاف بنا في جولة رحيبة بين ميادين الحرب وأحداث السياسة ..

الطريق الصعب :

لقد أوحى لي هذا الحديث الصادق ــ الذي يمثل فترة حاسمة من تاريخ مصر ــ من خلال ، قصة كفاح عظيمة ، لرجل نذر حياته ، وكرس فكره ولا يزال ، لاعلاء شان هذا الوطن ، وتحريره ، بكتابة هذه الصفحات التي أدين بالفضل الكبير في اخراجها الى حيز الوجود ، الى رب الأسرة : الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ..

وانني لأدعو شباب مصر ــ باخلاص ــ الى التمعن فيما تحمله هذه الصفحات من معان وعبر ، حتى يستقر لديه اليقين في أن الطريق الى الحرية ، ليس بالقطع هو ذاك الطريق المفروش بالورود والرياحين .. ، انه الطريق الصعب ، الحافل بالذكريات الشامخة .

السياسة والحرب :

لقد عمدت ــ من خلال عرضي لتلك الفترة الحاسمة في تاريخ مصر ــ والتي كانت فيها بلادنا مهددة باحتلال جديد يضاف الى الاحتلال الذي كانت ترزح تحته آنذاك ، الى التجول في مسارح الحرب وحمامات الدم في صحرائنا الغربية ، بين ضجيج المدافع وهدير الدبابات ، في محاولة للربط بين أحداث هذا الصراع المسلح الذي كان يجري على باب مصر ، وبين ما كان يجري على مسارح السياسة داخل مصر ، والذي كان بمثابة رد الفعل أو رجع الصدى ، وذلك في مزيج متناسق كسيمفونية تعزفها الجيوش في الصحراء لتستمع الجماهير في مصر الى موسيقاها .

وانني لآمل أن أكون قد وفقت في توضيح ابعاد هذه العلاقة المتبادلة بين الحرب والسياسة والتأثير المتبادل بينهما .

وما التوفيق الا من عند الله

المؤلف

•

محتويات الكتاب

الفهرس المفصل

الاسطورة والقائد ـ معبود القوات المقاتلة ـ الممرضة التى أدارت الحرب ! ـ الاشباح فى غواصتين ـ هل قام الاعراب بخداع الانجليز ؟ ـ النجدة ! ـ ٤٠ دقيقة أنقذت روميل ـ دفنوا جنبا الى جنب !

الفصل الخامس : **معارك نوفمبر ١٩٤١ : لم ينجح أحد ! !**

الصراع من أجل طبرق ـ رجل لا يستجيب للاغراء ـ طبرق : مفتاح الموقف ـ على طبرق يتوقف مصير الحرب ـ تشرشل : طبرق تمنع روميل من دخول مصر ـ روميل يصف مناعة طبرق ـ التهام المدرعات البريطانية بالقطاعى ! ـ وقع الانجليز فى الشرك ـ روميل قدر خسائر الانجليز بدقة ـ ولكنه فشل فى اقتحام طبرق ـ ذكريات الفشل الاليمة ـ جنرال الجيش البريطانى خارج الصورة ـ روميل فى مأزق ـ بعيدا عن مخالب روميل ـ ٩٠٠٠ أسير و ٣ جنرالات ـ رسول الدوتشى !

الفصل السادس فرصة ضاعت الى الابد :

روميل داخل موقع بريطانى !

من اين جاء الالمان ؟ ـ الجثث المحترقة فى كل مكان ـ فوجئوا وهم يستمتعون باشعة الشمس الدافئة ! ـ وحيدا فى الصحراء ـ فرصة ضاعت الى الابد ! ـ فى مستشفى بريطانى ـ القائد العام يعزل قائد الجيش الثامن ـ تشرشل : كنا سنتوقف عن القتال !

الفصل السابع : **عيون روميل فى القاهرة !**

أسرار مغامرة توصيل الجواسيس الالمان الى القاهرة ـ نهاية درامية للمحاولة الاولى ـ انظار الجميع على خزانات الوقود ـ روميل يصر على ارسال الجاسوسين الى القاهرة ـ الالمان فى عربات بريطانية ـ بداية رحلة المتاعب ـ هذا المغامر الثائر ! ـ لقاء مع روميل ـ داخل ملهى الكيت كات ـ الضباط والبكوات والجواسيس معا ـ حكمت فهمى والجاسوس حسين جعفر ـ

فى عوامة على النيل ! ـ حكمت فهمى تكره الانجليز ـ جهاز اللاسلكى : صامت الى الابد ـ السادات يحاول ـ قصة القبض على الجاسوسين الالمانيين ـ

لماذا لم يرد روميل على اشارات عيونه فى القاهرة ؟

الفصل الثامن : **سلاح السادات السرى !**

اتصال عيون روميل بالسادات ـ دور البغدادى ووجيه اباظة ـ السادات : لماذا أردنا الاتصال بروميل ؟ ـ معاهدة لم تر النور ـ السادات يرفض المحاكمة أمام ضابط بريطانى ! ـ ابعاد فلسفة السادات ـ السلاح السرى للسادات !..

الفصل التاسع **خدعة روميل الكبرى ..**

عودة الى مسرح الحرب ـ لولا رعونة هتلر ـ أيقظنى بعد ساعة ! ـ كيف ياجنرال ؟ ـ قوات البانزر تنسف مواقعها ـ هل تكتم روما السر ؟ ـ أوكنلك يأمر بالاستطلاع ـ حكمت فهمى تشرب نخب النصر ـ النصر لمن ؟ ـ أمر قتال روميل : سنهجم اليوم ـ الصورة على الجانب البريطانى ـ فى لحظة من لحظات اليأس ـ كميدان سباق ! ـ المدرعات البريطانية والخبرة ـ نظرية السيف والدرع ـ فى وثبة خاطفة ـ

الفصل العاشر **أصداء وثبة روميل الخاطفة : حادث ٤ فبراير ! !**

السياسة والحرب من جديد ـ السفير البريطانى يأمر الملك بالاستقالة ـ لورد كيلرن يعقد مجلس الحرب ـ فليتحمل فاروق التبعة ـ الهدف : ليس النحاس ، بل خلع فاروق ! ـ انباء غير سارة للملك ـ ليس على أسنة الرماح ـ وثائق لندن : كان الهدف خلع فاروق ـ بعد خلع الملك ـ لماذا تطوع أمين عثمان ؟ ـ وزارة الخارجية البريطانية تؤيد ـ على ماهر : كان الملك يعلم بالحادث مسبقا ! ـ

الفصل الحادى عشر : **رقصة طبرق !**

« اله الحظ يزور المحاربين مرة واحدة أيها الدوتشى ! »

الصراع من أجل طبرق ـ أنا دائما الاقوى ! ـ الصورة على الجانب البريطانى ـ القائد العام فى الطريق ـ تنازع على السلطات ـ روميل : مقاومة الضعف الانسانى ـ عودة الى قيادة الجيش الثامن ـ بعيدا عن التفاؤل ـ جبروت المدفع ٨٨ ملم الالمانى .. انكسر حائط الصلب ـ عينى روميل على طبرق ـ هذا الثعلب الماكر ! ـ الضربة الجوية الاولى ـ الضربة المدرعة ـ مفاجأة مريرة ـ عناد تقليدى للبريطانيين ـ كما يكسر البندق ! ـ طبرق تعانى سكرات الموت ـ روميل يقبل استسلام الحامية ـ البرود البريطانى ـ ٣٣ الف أسير وتموينات هائلة ـ ياجنود بانزر افريقية ! ـ المكافأة عن أداء الواجب ـ روميل : وددت لو أعطونى فرقة بدلا من الرتبة ! ـ عزيزتى لو ! ..

السياسة افقدت روميل ثمار النصر ـ اله الحظ لايزور المحاربين مرتين ! ـ كما أضاعت حملة اليونان النصر البريطانى ـ

حكمت فهمى ترقص رقصة طبرق ـ! صدى سقوط طبرق فى القاهرة ـ فى ملهى الكيت كات ـ لماذا ساد الهرج والمرج فجأة ؟ ـ مدير المخابرات البريطانية : يا للعنة ! ـ رقصة طبرق يا حكمت ! ـ على مسافة ٧٥٠٠ ميل من القاهرة ـ لماذا تجمد وجه روزفلت ؟ ـ الصديق عند الضيق ـ

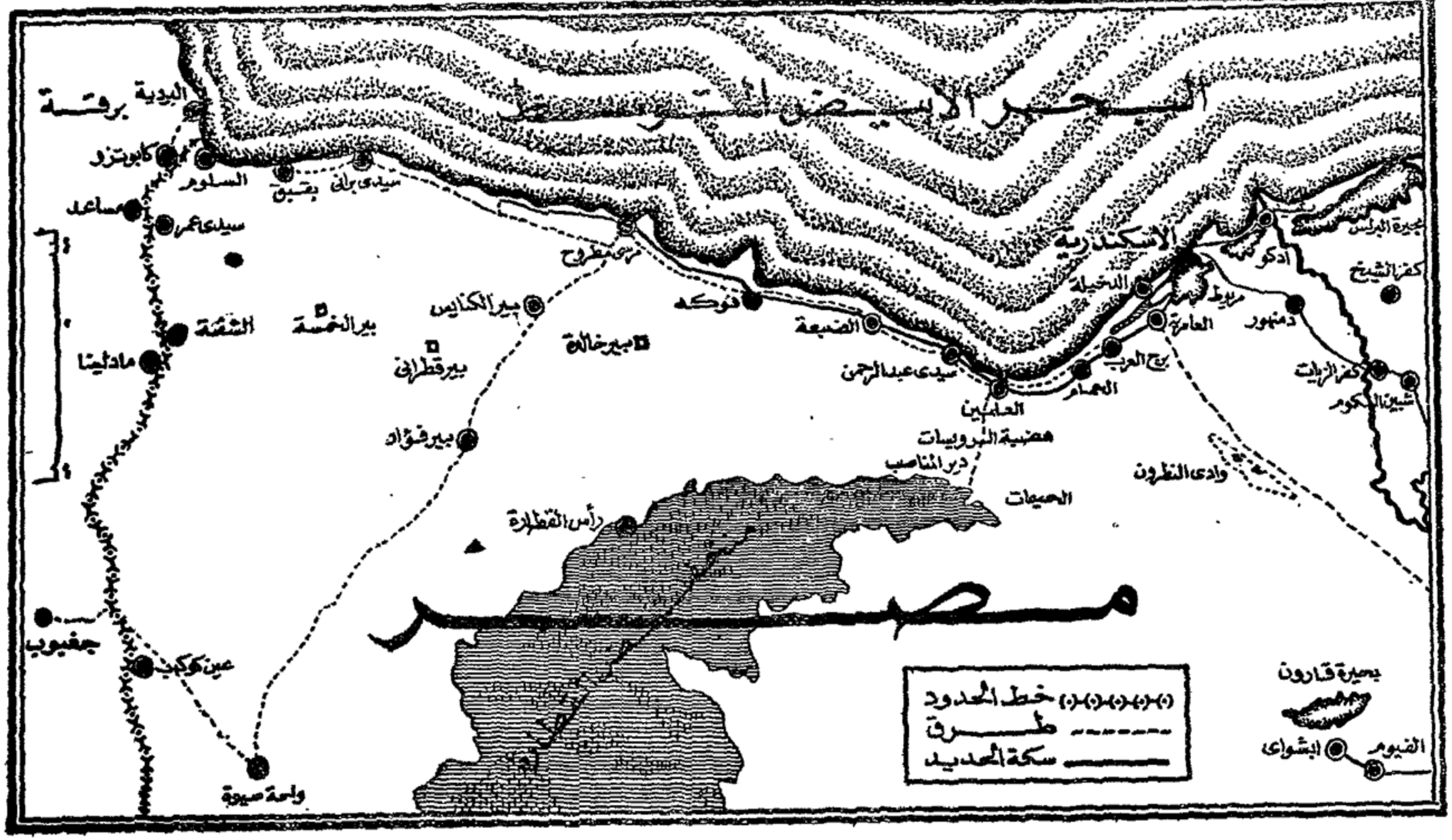
الفصل الأخير : بعد سقوط طبرق :

هل كان الانجليز ينوون اغراق الدلتا ؟ !

بين اغراق الدلتا ونسف آبار البترول ــ صدقى باشا : كانوا سيحرقون آبار البترول ــ بين هيكل والنحاس ــ أين الحقيقة ! ــ كما لو كانت بريطانيا معرضة للغزو ــ الاحتفاظ بمصر بأى ثمن ! ــ وماذا عن القناة ؟ ــ سنقاتل من السودان ــ وضع خطط الانسحاب الى الدلتا ــ القاهرة فى خطر ــ خطاب من النحاس لتسليمه الى روميل ! ــ بارومتر السياسة المصرية ــ موقف الحكومة المصرية من الغزو الالمانى المنتظر ــ

خاتمة : **القاتل يقدم العزاء الى أسرة القتيل ! !**

في العصر الحديث
تستحيل التفرقة بين
السياسة والحرب
فهما وجهان لعملة واحدة



الحدود المصرية الليبية

تعريف الشخصيات

- محمد أنور السادات
- الفريق عزيز المصرى
- فيلد مارشال روميل
- فيلد مارشال أوكينلك

- لورد كيلرن (سير مايلز لامبسون)
- سير ونستون تشرشل

قادة الجيش الثامن بالصحراء الغربية :

- جنرال أوكونور
- جنرال كننجهام
- ماچور جنرال ريتشى

محمد أنور السادات

- ولد فى ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ بقرية (ميت أبو الكوم) ـ محافظة المنوفية .

- تلقى دراسته الابتدائية بمدرسة الأقباط بقرية (طوخ دلكة) بالمنوفية ، والثانوية بمدرسة فؤاد الأول بالعباسية .

- تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٣٨ وعين فى سلاح الاشارة برتبة ملازم ثان .

- **منذ بدء حياته العسكرية ، انغمس فى الكفاح الوطنى طوال السنوات السابقة على الثورة ، ضد الاحتلال البريطانى الذى كان يجثم على صدر مصر التى أحبها وعمل من أجلها بكل جارحة من جوارحه ، الأمر الذى تسبب عنه تعرضه للاعتقال والسجن والايقاف مرات عديدة ، والابعاد عن الجيش دون أن تخبو فى قلبه نزعة الوطنية والاخلاص لمصر التى عشقها ، فأعطته قلبها ونبضها .**

- اشتبكت حياة السادات بحياة عزيز المصرى ، الذى كان طرفا من أطراف أول مشكلة واجهت السادات فى كفاحه ضد الاحتلال ، حين اتهم مع زميله الطيار حسن عزت عام ١٩٤٢ بتهمة الاتصال بالجواسيس الألمان ، وكانا قد قدما هذين الألمانيين الى الفريق عزيز المصرى ، الذى كانا يطلقان عليه لقب (الزعيم) ، كما كان السادات أبرز مؤسسى أول لجنة للضباط الأحرار التى تشكلت عام ١٩٣٩ ، وهمزة الوصل بينها وبين عزيز المصرى حيث نشط السادات نشاطا عظيما وأخذ يضم بدون كلل الضباط الشبان من سلاح الاشارة والمشاة الى التنظيم .

- أعيد للخدمة بالجيش فى عام ١٩٥٠ برتبة اليوزباشى (نقيب) .

- اذاع أول بيان للثورة صباح يوم ٢٣ يوليه ١٩٥٢ من اذاعة القاهرة .

- عين وزيرا للدولة فى عام ١٩٥٤ وظل فى هذا المنصب شهورا قليلة .

- عين رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية حتى عام ١٩٥٦ .

- اشرف على المؤتمر الاسلامى عام ١٩٥٧ .
- انتخب رئيسا لمجلس الأمة فى ٢٣ يوليه ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٨ .
- عين نائبا اول لرئيس الجمهورية فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ .
- انتخب رئيسا للجمهورية فى ١٧ اكتوبر ١٩٧٠ .
- **قاد حركة التصحيح لمسار ثورة يوليه فى ١٥ مايو ١٩٧١ .**
- **قاد معارك رمضان الظافرة التى حققت نصرا حقيقيـــا للمرة الأولى على اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ .**

الفريق عزيز المصرى باشا

- من مواليد عام ١٨٧٩ .
- جندى وسياسى مصرى ، تعلم بمصر وتركيا والمانيــا .
- خدم بالجيش التركى واشترك فى معارك عديدة .
- عين مدرسا بكلية الأركان التركية عام ١٩٣٧ ، فمفتشا بالجيش التركى .
- اشترك فى قمع الثورة بألبانيا عام ١٩٠٨ ، ثم استقال .
- استدعته الحكومة التركية ثانية لقمع ثورة اليمن حيث تمكن من الاتفــاق مع الامام يحيى دون اراقة الدماء .
- اشترك من عام ١٩٠٩ حتى ١٩١٣ فى الحرب التى نشبت بولاية برقة ضد الايطاليين ببسالة ومقدرة .
- عاد الى الأستانة فى أوائل عام ١٩١٤ وقدم استقالته فى نفس العام .
- عاد الى مصر فى أبريل ١٩١٤ ، ثم التحق بقوات حسين شريف مكة فى خلال الحرب العالمية الأولى .
- عقب اعلان استقلال الحجــاز ، عين وزيرا للحربيــة وقائدا عاما للجيش العربى ثم استقال بعد شهور قليلة .
- عاد الى مصر ليتولى قيادة مدرسة البوليس (كلية الشرطة) ، حيث نهض بقيادتها عدة سنوات وعمل على رفع مستواها .
- **تولى منصب المفتش العــــام للجيش المصرى عام ١٩٣٨ عقب المعــاهدة المصرية ـ البريطانية (١٩٣٦) ، ثم عين رئيسا لهيئة الأركان المصرية فى ١٩ اغسطس ١٩٤٠ .**
- **قام الانجليز باقصائه عن الجيش المصرى فى أوائل الحرب العالمية الثانية، بسبب معارضته لأوامرهم .**
- قام ـ فى عام ١٩٤١ ـ مع ضابطين من ســلاح الطيران المصرى ـ بمحاولة الاتصال بالألمــان فى شمال أفريقية ، وقبض عليهم ، حيث حوكموا ، ثم أطلق سراحهم .
- عين سفيرا لمصر فى الاتحاد السوفييتى عام ١٩٥٣ بعد قيام الثورة المصرية.

● **يصف الرئيس السادات الفريق عزيز المصرى بقوله :**

للفريق المصرى طبيعة النزعة التحررية من كل قيد ، وشخصية مستقلة دائما وله طريقته فى تربية ضباطه وابنائه على الاستقلال بالرأى وقوة الشخصية والعمل بالارادة .

كما يروى السادات عن عزيز المصرى قوله الدائم لمريديه :

« اقرأوا .. اقرأوا كل كتاب ، اقرأوا فى السياسة ومذاهبها ، والاقتصاد وفنونه والاجتماع وأبوابه ، اقرأوا وأضيئوا فى رؤوسكم هذا المصباح الذى وضعه الله فيها كى يضاء ، لا لكى يهمل ويهال عليه التراب ، اقرأوا ثم اضربوا فى الأرض واعرفوا الناس ، وجربوا بأنفسكم كل شىء ، ولا تتقيدوا بدعوة محدودة ، ولا تربطوا انفسكم برأى ، قد ترون غيره غدا اذا ما استنارت بالعلم عقولكم » .

فيلد مارشال فون أروين روميل

- من مواليد عام ١٨٩١ ، مات فى ١٩٤٤
- بدأ حياته العسكرية كضابط مشاة ، ثم تحول الى قيادة المدرعات ، وقام بتدريب الفيلق المدرع الأفريقى قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية والذى تولى قيادته عام ١٩٤١ .
- تولى قيادة حرس « هتلر » عام ١٩٣٩ ، ثم قام بدور بارز خلال العمليات الحربية بفرنسا فى مايو ويونية ١٩٤٠ والتى انتهت باستسلام فرنسا .
- من أمهر قادة حرب الصحراء عبر التاريخ العسكرى ، أذاق القوات البريطانية مرارة الهزيمة مرات عديدة فى شمال أفريقية .
- **اشتهر بالجرأة والدهاء واتباع أساليب المفاجأة والحشد وتطبيق استراتيجية الحرب الخاطفة ، مع قيادة قواته فى أقصى الأمام ـ على العكس مما كان يفعل القادة البريطانيون ـ واصدار التعليمات الفورية دون استخدام الشفرة لعدم اضاعة الوقت لفكها .**
- **كان أسلوبه فى القتال يعتمد على الهجوم المباغت باقصى حشد مدرع بغرض القضاء على القوات البريطانية التى كانت تواجهه مجزاة ، لتقع فريسة لضرباته الساحقة الخاطفة .**
- **وصفه تشرشل بأنه قائد ماهر جرىء ، كما قال عنه الفيلد مارشال أوكنلك : « لقد احترمته لشجاعته وقدرته على التصرف السريع ازاء كل موقف »**
- بعد هزيمته ـ نتيجة ظروف سياسية وأخطاء هتلر وموقف الامداد والتموين السيء الذى كان عليه موقفه فى النصف الأخير من عام ١٩٤٢ ـ . فى معركة العلمين ، تولى قيادة القوات الألمانية شمال فرنسا عام ١٩٤٤
- قيل انه أمر بتناول السم حينما اكتشف أدولف هتلر اشتراكه فى المؤامرة التى دبرها جنرالات الجيش الألمانى ضد هتلر قرب نهاية الحرب العالمية الثانية .
- أطلق عليه أسم (ثعلب الصحراء) ـ قامت زوجته بنشر مذكراته التى ظهرت على صورة رسائل متتابعة منه اليها غطت معظم أحداث الحرب .
- وضع كتاب (هجوم المشاة) ، وكتاب (حرب بلا حقد) الذى عرف باسم « مذكرات روميل . »

قادة الجيش الثامن البريطانى (١٩٤٠ ــ ١٩٤٢)

ماجور جنرال أوكونور

- أول قائد بريطانى لجيش الصحراء الغربية فى بداية الحرب العالمية الثانية بمسرح شمال افريقية .
- كان يشغل منصب قائد المنطقة الجنوبية بفلسطين حتى عام ١٩٤٠ قبل أن يعين لقيادة القوات البريطانية بالصحراء الغربية .
- كانت خفة الحركة هى الصفة الغالبة لعملياته العسكرية ، وكان مبدؤه أن قضاء أطول وقت فى التدريب يوفر الكثير من الدم والخسائر ويعطى نتائج محققة النجاح .
- يصفه الجنرالات الانجليز بأنه كان دائم الحركة واليقظة حتى عندما يسكن عن الحركة .
- قام فى نهاية عام ١٩٤٠ وخلال أسابيع قليلة بالقضاء التام على الجيش العاشر الايطالى فى صحراء مصر الغربية ، والذى كان يهدد مصر بالغزو من الغرب فى ضربة حاسمة .
- فى السادس من ابريل ١٩٤١ ، قامت قوات روميل بأسره مع الجنرال نيم أثناء قيامهما بالاستطلاع فى الصحراء .

جنرال كننجهام

- ثانى قادة الجيش الثامن البريطانى فى مسرح الحرب بشمال افريقية .
- عين قائدا للجيش البريطانى فى فترة من أسوأ فترات الحرب بالصحراء الغربية حيث كان عليه أن يقاتل ضد قوات البانزر المدرعة الألمانية تحت قيادة روميل بجيشه المفكك ــ نتيجة ارسال وحدات كثيرة منه الى اليونان لمواجهة التهديد الألمانى لها .
- لم يكن يعلم سوى القليل عن حرب المدرعات فى الصحراء ، كما لم يسبق له أن قاد وحدة مدرعة ، وهكذا عين ليقود جنرالات ذوى خبرة عظيمة

فى المدرعات أو بمعنى آخر ، وجد نفسه فى مركز حرج جدا كى يتعلم وفى ذات الوقت لكى يصدر الأوامر لمعلميه .

- نتج عن مهارة روميل وتدريب قواته المدرعة ، مع ضعف سيطرة كننجهام على القوات واضطراب شخصيته للظروف السابقة ، أنه أصبح يحارب فى جبهتين : احداهما ضد قوات روميل المتفوقة ، والثانية مع نفســـه حتى نال التعب والاجهاد من حالته الصحية وأعصابه وقدرته على اتخاذ قرارات صحيحة .

- تم عزله فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤١ أثناء معركة الكروسيدر ، وعين الماجـور جنرال نيل ريتشى مكانه .

ماجور جنرال نيل رينشي

● كان يشغل منصب رئيس هيئة أركان حرب القوات البريطانية في الشرق الأوسط فى ١٩٤١ .

● تولى قيادة الجيش الثامن البريطانى فى الصحراء الغربية عقب عـــزل الجنرال « كننجهام » فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤١ فى الظروف العصيبة التى كان الجيش البريطانى يمر بها وقتذاك ، فى وسط معركة « الكروسيدر » .

● **وفى ذلك يكتب الفيلد مارشال أوكنلك عن ظروف تعينه قائدا للجيش الثامن :**

« عين « ريتشى » فجأة لقيادة الجيش الثامن ، فى لحظة من لحظات اليأس عقب هزائمنا فى الغـزالة ، وبينما لم يكن يعـرف الكثير ولا القـادة المرؤوسين أو القـوات ، فقـد كلفناه باستعادة معركة خاسرة » .

● كانت آخر قيادة ميدانية تولاها « ريتشى » هى قيادة كتيبة فى فرنســا خلال الحرب العالمية الأولى ، ولهذا قرر أوكنلك تعيينه لقيادة الجيش الثامن بصفة مؤقتة حتى تمر أزمة المعركة التى كانت تدور حينذاك ضد قوات البانزر الألمـانية تحت قيادة روميل ، ولحين تدبير قائد مستديم من انجلترا فى الوقت الذى كان عليه استبدال « كننجهام » خلال ساعات .

● تقول تقارير « ريتشى » التى كتبت عنه قبل توليه قيـادة الجيش « أنه مستقيم وأمين للغاية ، وان كان هناك مجال لنقده ، فيتمثل فى بطئـــه بعض الشىء ، ولكن الحذر دائما أفضل من التهور » .

● حين عين الجنرال « ريتشى » القيادة ، كانت قوات الجيش الثامن قــد وصلت ــ تحت تأثير ضربات روميل ــ الى مرحلة من الفوضى والتبعثر لم تحدث من قبل فى الحرب ، حيث تداخلت التشـكيلات البريطـانية وتشكيلات المحور بدرجة غير معقولة ما بين « سيدى عمر » و « الدودة » فى مئات من الاشتباكات المـائعة .

فيلد مارشال سير كلود أو كنيلك

● رابع قادة الجيش الثامن البريطاني فى الصحراء الغربية

● اختار ــ عقب الهزائم الموجعة التى أنزلهـــا روميل بالجيش فى صيف ١٩٤٢ ــ أن يترك منصبه فى القاهرة كقائد عام للقوات البريطانية ، ليتولى بنفسه قيادة الجيش الثامن عقب قيامه بعزل الماجور جنرال (ريتشى) ، يوم ٢٥ يونية ١٩٤٢ .

● حدد اوكنيلك هدفه ــ بمجرد توليه قيادة الجيش ــ بالبدء برفع الروح المعنوية لكل مقاتل فى الجيش الثامن ــ تلك الروح التى كانت قــد وصلت الى الحضيض ــ ابتداء من قادة الفيالق حتى الجنود البسطاء وأن يدخل الطمأنينــة الى قلوبهم بالثقــة فى النصر ، وهكذا ظهرت الصفات الحقيقية لقائد عظيم كان شعاره : « لا ينبغى أن يموت أى رجل دون مبرر ، فان كشوف القتلى والخسائر تثبط من العزيمة » .

● حول الجيش الثامن البريطانى بمجرد توليه قيادته ــ عبر سلسلة من التنظيمات والتعليمات ــ الى جيش خفيف الحركة يعمل كطاقم يتألف من وحدات متعاونة تكمل بعضها البعض فى تنسيق تام ، وبذلك كانت قيادة أوكينلك للجيش البريطانى فى الصــحراء بمثابة ثورة حقيقيــة قضت على البطء والجمود والتكتيكات البريطانية التقليـــدية التى لا تناسب حرب الصحراء خفيفة الحركة .

● كان أوكنيلك قائدا بسيطا عبقــريا فى ذات الوقت ، أعجب به جنــوده أيما اعجاب فأطلقوا عليه اسم (الصقــر) ، وحينما كان روميل يسحق قواته التى لم يكن قد مضى على قيادته لها بضعة أيام ، كان (أوكنيلك) يصدر الى قواته أمرا يوميا هادئا يقول لهم فيه :

« لقد ذهب العدو الى مداه ، وهو يعتقد أننا جيش مهزوم ، انه يسعى للاستيلاء على مصر .. اثبتوا له أنه لن ينال شيئا » .

● أثنى عليه روميل حين كتب عنه قائلا :

« لقد كان أوكنيلك يستخدم قواته بمهارة فائقة ، ويبدو أنه كان ينظر الى الموقف ويتخذ قراراته بهدوء ملحوظ ، فلم يسمح لنفسه قط أن يقبل حلا ثانيا نتيجة لأية تحركات أخرى نقوم بها لتضليله . »

● كان مصير (أوكنيلك) يعبر أصدق تعبير عن ارتبـاط (السـياسة والحرب) ، حيث كان أحد ضحاياها البارزين ، ففى أغسطس ١٩٤٢ ـ زار تشرشل جبهة الصحراء الغربية ـ ثم توجه الى القاهرة ليصدر تعليماته بطرد (أوكنيلك) من قيادة الجيش الثامن ـ نتيجة لهزائم لم يكن هو المسئول بالقطع عنها ـ حتى ان روميـل كتب فى ذلك :
((لقد بدأ (أوكنيلك) يحرز انتصارات تاريخية على قواتنا بعد ان كانت حالة قواته ميئوسا منها تماما ، وكانت مهمته صعبة وجريئة ، وانها لمأساة ألا يعلم أحد فى بريطانيا شيئا عن هذه الانتصارات الرائعة التى حققها أوكنيلك ومهدت لانتصار الانجليز فى العلمين بعد شهرين فحسب من عزله ، ولينسب الفضل بعد ذلك للفيلد مارشال مونتجمرى))

سير مايلز لامبسون (لورد كيلرن)

- ولد فى عام ١٨٨٠ وتوفى عام ١٩٦٤ .

- سياسى بريطانى ، عمل بوزارة الخارجية البريطانية (١٩٠٣) ، ثم سكرتيرا لبعثة (جارتر) باليابان (١٩٠٦) فسكرتيرا ثانيا بطوكيو (١٩٠٨ ـ ١٩١٠) وصوفيا (١٩١١) وبكين (١٩١٦) .

- عمل مندوبا ساميا لبريطانيا فى سيبريا (١٩٢٠) ، ثم وزيرا مفوضا فى الصين (١٩٢٦ ـ ١٩٣٣) .

- عين مندوبا ساميا فى مصر والسودان (١٩٣٤ ـ ١٩٣٦) ، ثم سفيرا لبريطانيا فى مصر (١٩٣٦ ـ ١٩٤٦) .

- منح لقب لورد ، وأصبح عضوا بمجلس اللوردات .

- **ظل خلال السنوات العشر التى قضاها سفيرا لبريطانيا فى مصر يدير السياسة المصرية ـ بناء على تعليمات حكومته فى لندن ـ قبل قيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، حيث بلغ نفوذه بالبلاد مداه فى ظل الاحتلال البريطانى لمصر ، وبخاصة خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)**

سير ونستون تشرشل

- من مواليد عام ١٨٧٤ .

- سياسى وجندى ومؤلف بريطانى ، تعلم فى كلية ساندهيرست الحربية ثم عين ضابطا بالفرسان فى الهند ، وشهد معركة (أم درمان) عام ١٨٩٨ كمراقب حربى ، كما رافق حرب البوير مراسلا حربيا لصحيفة بريطانية،

- انتخب عضوا بمجلس العموم عام ١٩٠٠ ، ولكنه انضم الى حزب الأحرار (١٩٠٤) .

- عين وزيرا للبحرية البريطانية (١٩١١ – ١٩١٥) خلال الحرب العالمية الأولى ، ثم وزيرا للحربية والطيران (١٩١٨ – ١٩٢١) فوزيرا للمالية (١٩٢٤ – ١٩٢٩) .

- **عند نشوب الحرب العالمية الثانية عين وزيرا للبحرية (١٩٣٩) ، وعندما استقال تشمبرلن (١٩٤٠) بسبب هزيمة بريطانيا فى الحرب الخاطفة التى شنها هتلر فى هولندة وبلجيكا وفرنسا – ألف تشرشل الوزارة ، وظل رئيسا لها حتى انتهاء الحرب العالمية (١٩٤٠ – ١٩٤٥) رغم الهزائم المتتالية التى حاقت ببريطانيا (١٩٤١ – ١٩٤٢) ، حيث ظل فى نظر الانجليز رمزا للانتصار وبطلا للجهاد .**

- من مؤلفاته : الحرب العالمية الثانية (٦ مجلدات) و (حياتى المبكرة) ، و (مارلبورو) – ٤ مجلدات ، و (تاريخ الأمم الناطقة بالانجليزية) – ٤ مجلدات ، منح جائزة نوبل للأدب فى عام ١٩٥٣ .

الفصل الأول

- موسولينى يعد الحصان الأبيض ليدخل القاهرة !
- المدفعية الايطالية تقصف المواقع الخالية ..
- ١٣٠ ألف أسير ونصف دستة من الجنرالات !
- نهاية قصة سباق دموية ..

قرار سياسى اضاع نصرا عظيما :

حطام جيش !

"نهاية حلم موسولينى والحصان الأبيض !!"

« كان المعلن أن مصر ستكون من نصيب موسولينى الذى كان قد اعد حصانا ابيض يدخل به مصر بعد غزوها ، وهذا كان بالنسبة لنا قمة ماساوية جدا لذلك كان كفاحنا بهدف تحرير بلدنا » .

من حديث الرئيس محمد أنور السادات فى ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥ بمناسبة عيد ميلاده .

١٩٤٠ .. عام مضى على الحرب العالمية الثانية التى اشتعلها « أدولف هتلر » ودافع الى عجلتها بالجيوش الألمانية جيدة التسليح والتدريب ، ليضم اليه بعدئذ بقليل ايطاليا ثم اليابان تلك التى اصطلح المؤرخون على تسميتها بقوى المحور ، وفى الجانب المضاد كانت جيوش الحلفاء : بريطانيا وفرنسا ودول الكومنولث البريطانى فالولايات المتحدة فيما بعد ..

كانت الجيوش الألمانية قد بدأت الحرب منذ خريف عام ١٩٣٩ بعد أن ضمت النمسا ــ بدعوى أن هتلر انما يقوم فقط بجمع شمل الأسرة ! ثم اكتساح فى أسابيع وبأسلوب خاطف كل من بولندة وبلجيكا ثم فرنسا (١)

وانثنى هتلر يخوض معركة بريطانيا (بالهجمات الجوية الكاسحة اليومية) وبذلك هدأت كافة جبهات القتال ، لتشتعل بضراوة وعنف فى مسرح شمال افريقية الذى يضم كل من صحراء مصر الغربية والصحراء الليبية ..!

موسولينى يعد نفسه لدخول القاهرة !

وما أن انضمت ايطاليا الى ألمانيا فى حربها ضد قوات الحلفاء ، حتى بادر الدوتشى ((موسولينى)) ليعلن أنه يعد نفسه لغزو مصر (من ليبيا التى كانت تحتلها القوات الايطالية وقتذاك) ، وأنه قد أعد حصانا أبيض ــ لا أحد يدرى لماذا هذا اللون بالذات ! ــ ليدخل به القاهرة غازيا فاتحا ، وليبدأ فى استعادة ممتلكات الامبراطورية الرومانية القديمة ..

لقاء فى القاهرة :

ولذلك لم يكن مستغربا أن يتلقى الماجور جنرال (أوكونور) ــ والذى كان يشغل منصب قائد المنطقة الجنوبية لفلسطين ــ برقية فى السابع من يونية ١٩٤٠ تحوى أمرا بالتوجه فورا لمقابلة الليفتننانت جنرال (ويلسون) ــ القائد العام للقوات البريطانية فى مصر آنذاك ..

وهكذا تم اللقاء بين « أوكونور » و « ويلسون » فى مبنى القيادة العامة للقوات البريطانية بالقاهرة فى اليوم التالى مباشرة .. أخبره القائد العام

---

(١) كانت المرحلة الثانية من معركة فرنسا قد بدأت يوم ٥ يونيه ١٩٤٠ ، بهجوم المانى عنيف على الجناح أيسر لما أطلق عليه حينذاك (خط فيجان) ، وكان خط (السوم) الأدنى قد انهار ، ووصل الاختراق الألمانى العميق الى منطقة (روان) ، بينما كانت هناك قوة أخرى على نهر (السن) ، وكان الفرنسيون يحاولون آنذاك التمسك بواسطة ٦٠ فرقة بجبهة أطول من تلك التى فشلوا فى الاحتفاظ بها بمائة فرقة فى منطقة (الفلاندرز) ، وبالفعل انتهت المقاومة الفرنسية فى ٢٢ يونيه ١٩٤٠ لتخرج فرنسا من الحرب

بأن عليه أن يتوجه الى مرسى مطروح ، ليتولى قيادة قوات الصحراء الغربية (الجيش الثامن فيما بعد) لحماية مصر من الغزو الايطالى المتوقع ..

وفى نهاية نفس اليوم .. كان « أوكونور » يمر بعربته فوق كوبرى قصر النيل الى الجزيرة ، فطريق الهرم ، لينعطف يمينا الى الطريق الصحراوى الموصل للعلمين فمرسى مطروح ، حيث قيادة قوة الصحراء الغربية ..

وصل الجنرال (أوكونور) الى مقر قيادته شرق (مرسى مطـــروح) ومشكلة الغزو الايطالى والثلاثمائة ألف جندى ايطالى الذين يتربصون عـلى الحدود الليبية معلقة فى ذهن القائد الجديد وضباطه ولم يطل بهم الانتظار ، حيث تطوع (موسولينى) ـ ديكتاتور ايطاليا ـ بأن أعلن الحرب على كل من بريطانيا وفرنسا ، وذلك فى الساعة الأولى من صباح ١١ يونية ١٩٤٠ .

لقد كان ذلك يعنى بالنسبة لأوكونور شخصيا أنه سيدخل وحده تجربته الخاصة بقيادة جيش فى قلب المعركة .. جيش صغير غير كامل التجهيز فى مواجهة الجيش الايطالى الكبير (١٠ أضعاف قوة أكونور البريطانية) ، وعلى نتيجة القتال المرتقب كانت العواقب ضخمة للغاية ، لقد كانت صحراء مصر الغربية وقتئذ تمثل الجناح الغربى للدفاع البريطـــانى فى الشرق الأوسط بأسره بما فى ذلك مصر وقناة السويس وفلسطين ، ولو خسر « أوكونور » المعركة ، ستصل القوات الايطالية الى حقول البترول العـــراقية والايرانية وبذلك يصيب الشلل عجلة الحرب البريطانية ، وبالمثل كانت هزيمة الجيش البريطانى انما تعنى تسليم مصر لموسولينى !

الماريشال جرازيانى :

كان قائد الجيش العاشر الايطالى الذى بدأ يعـــد للهجــوم على مصر ، الماريشال « رودلف جرازيانى » (١) وفى يوم ٧ سبتمبر ١٩٤٠ أصـــدر اليه (موسولينى) أمرا نهائيا بأن يبدأ هجومه على مصر خلال يومين ، وهكذا بدأ فى التحرك يوم ١٣ سبتمبر متجها نحو مرسى مطروح .

قصف مدفعى ثقيل على المواقع الخالية !

وبعد أن قام الجيش الايطالى بتوجيه قصف شديد للمواقع البريطـانية الخالية تماما على حدود مصر ، بدأ (جرازيانى) يقود جيشه بعـــد أن عبر الحدود المصرية بفرق أربع وتشكيلات ضخمة من المدرعات ، وبينمـــا كانت

---

(١) وكان يشغل منصب حاكم ليبيا والقائد العام للقوات الايطالية فى ليبيا قبل الحرب .

الحشود الايطالية بضوضائها وجليتها تتقدم بمعدل ١٢ ميلا يوميا ، كانت القوات البريطانية تلجأ الى الانسحاب أمامها بهدوء .

بدلا من التقـــدم :

وفي اليوم الرابع لهذا الزحف الايطالى على مصر ، توقف (جرازيانى) عن التقدم فجأة في (سيدى براني) ـ على مسافة ٦٠ ميلا داخل الحدود المصرية ، وعلى مسافة ٨٠ ميلا من الجيش البريطاني في مطروح وبدأ في نشر قواته على شكل نصف دائرة ، كما شرع في انشاء طريق مرصوف ومد انابيب الميـــاه واقامة المخازن ، بينما أقام عددا من النصب التذكارية على طول الطريق في (سيدى براني) احياء لذكرى انتصاراته التي لم تحدث بعد !

كانت المعدات الايطالية لدى جيش (جرازيانى) متعددة الأنواع ، دبابات رقيقة الدرع للدرجة التى كانت البنادق البريطانية المضادة للدبابات تتمكن من اختراقها ، بينما كانت مدافع الدبابات الأثقل مثبتة فيها بحيث لا يتمكن من التنشين الا بعد توجيه جسم الدبابة نفسها تجاه الهدف ، أما بالنســبة للمدفعية الميدانية والطيران ، فقد كان جيش (جرازيانى) يتفوق على قوات (أوكونور) بنسبة ١ : ٢ وعلى العكس تماما من الجمـــود الذى تميزت به تصرفات الجيش العاشر الايطالى في (سيدى براني) ، حشـــد « أوكونور » قواته في تجميع يكفل لها خفة تامة في الحركة (١) ، في الوقت الذى وضـــع فيه خطة للهجوم تفوق حد التصور في شجاعتها (طبقها روميل مرتين بنجاح بعد ذلك) ، كان تحت قيادة « أوكونور » فرقتان : الفرقة الرابعة هنـــدية ومعها ٥٧ دبابة ، والفرقة السابعة المدرعة ، الى جانب قوة « سلبى » الفدائية (بلغ مجموع هذه القوات ٣٦ الف مقاتل) .

نهاية قصة سباق دموية !

بدأت المعركة في التاسع من ديسمبر ١٩٤٠ ، بينما كان الجنود الايطاليون يقومون بأعمال الدفاع في (سيدى براني) سمع الجميع فجأة صوتا كالرعد حينما فتحت المدفعية البريطانية نيرانها التمهيدية للهجوم ، في الوقت الذى كانت المدرعات البريطانية والفرقة الرابعة الهندية تجتـاحان معســـكرات الايطاليين الأمامية ، الذين بدأوا في الحركة وهم يصيحون خارجين من خيامهم وخنـــادقهم !

---

(١) في نهاية هذا الهجوم البريطاني ، قال احد كبار الضباط الاستراليين لاحد اركانات حرب الجنرال « أوكونور » : « هل تعلم ماذا نسمى جنرالكم ؟.. اننا نطلق عليه (كلب الصيد) ، لأنه لا يترك فريسته تفلت منه أبدا ! » .

.. سلمت بعض الوحدات الإيطالية دون مقاومة ، ولكن الجيش الايطالى عموما قاوم بصورة جيدة ، فهاجم جنوده دبابات المشاة البريطانية الثقيلة التى رأوها لأول مرة — بالقنابل اليدوية والرشاشات بينما ظل رجال المدفعية الايطالية يقاومون الى أن قتلوا أو جرحوا جميعا ، وما أن حلت الساعة الثامنة صباحا حتى كان كل شئ قد انتهى .. وأسر فى هذه الهجمة الخاطفة ألفى رجل و ٣٥ دبابة متوسطة (مقابل ٥٦ ضابطا بريطانيا وجنديا) .

وفى صباح اليوم التالى بدأ البريطانيون هجومهم الرئيسى على (سيدى برانى) وسط عاصفة رملية ، حيث اثبتت المدرعات مرة أخرى أنها سلاح حاسم فى الصحراء ، وما أن حل الظلام حتى كانت الفرقة الرابعة الهندية قد أتمت حصار فرقتين ايطاليتين بينما باقى قوات « أوكونور » تطارد فلول الجيش العاشر الايطالى المنسحب غربا .

وفى الأيام الأولى من شهر يناير ١٩٤١ ، كان الجنرال ((أوكونور)) واقفا فى الصحراء يرقب الدبابات والمركبات الايطالية المتروكة أو المحترقة .. مستودعات الأطعمة والذخيرة .. المدافع والبنادق .. الدانات والرشاشات .. كان الأمر يشبه نهاية قصة سباق دموية .. طوابير الأسرى من الايطاليين يمشون فى قوافل لا نهاية لها فوق طريق مطروح الساحلى ، وقد شحبت وجوههم وعلتهم القذارة ، مسافين الى معسكرات الأسرى فى مصر .(١)

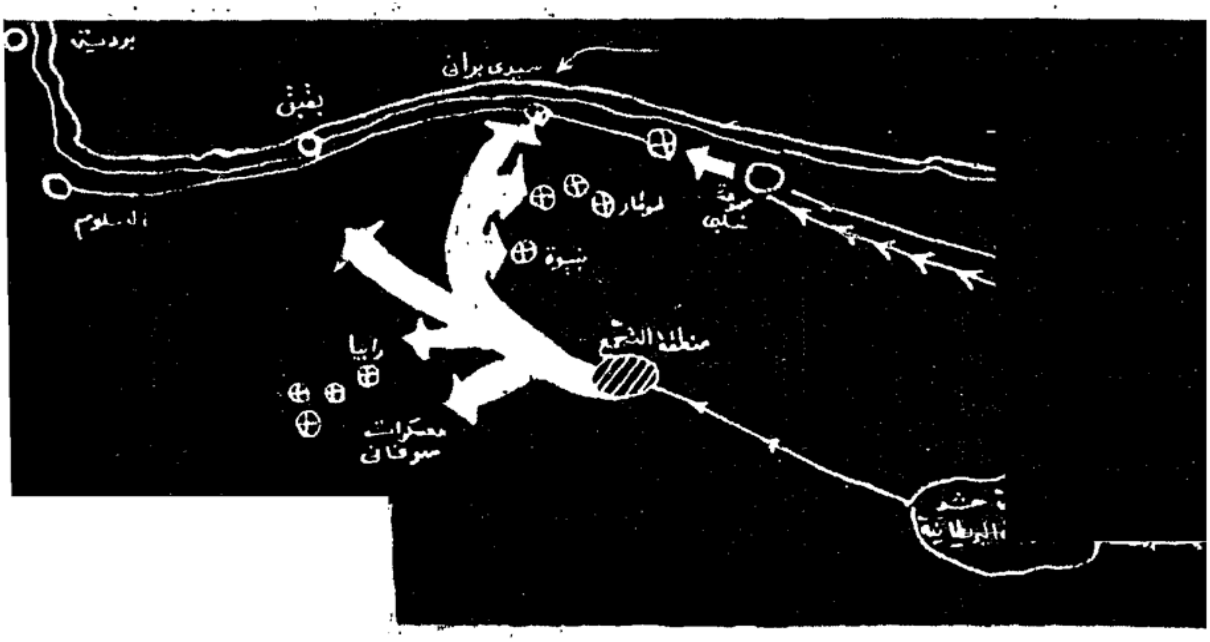
وهكذا حقق ((أوكونور)) فى خلال حملة الأسابيع العشرة نصرا ساحقا ، وضع به نهاية للتهديد الايطالى لمصر ، بعد أن سحق تشكيلات الجيش العاشر الايطالى ، واسر ١٣٠ ألف جندى بينهم نصف دستة من الجنرالات (٢) علاوة على ٤٠٠ دبابة و ٢٩٠ مدفعا ، وذلك فى مقابل خسائر من قواته لم تتجاوز ٤٦٧ قتيلا و ١٢٢٥ جريحا و ٤٣ مفقودا ، كما تقدم خلالها خمسمائة ميل

---

(١) يصف الجنرال كريج ما شاهده من هزيمة الجيش العاشر الايطالى بقوله : ((كان على الطريق من سيدى برانى حتى ما بعد مطروح ، حطام جيش ، مئات المركبات والدبابات أما مدمرة متروكة أو مقلوبة ، مدافع الميدان متروكة وسط أكوام من الدانات الفارغة منتثية الى العدم ، السهل كله مغطى بالأسلحة كالأصداف على شاطىء البحر ، وقد رأيت منظرا مسليا للغاية : سيارة أتوبيس حافلة بالنساء الايطاليات وقد جلسن فى وسط أرض أرض المعركة يضعن البودرة والمساحيق ويحضرن الشاى ، بينما كانت تحرسهن راهبة فى زيها الأبيض !))

(٢) علق الجنرال ((أوكونور)) على ذلك بقوله : اننى لم اشاهد مثل هذا العدد من الجنرالات الايطاليين منذ عام ١٩١١ !)) .

غربا ، واستولى على قلعتين رئيسيتين : بنى غازى وطبرق ، بينما ضاعت إلى الأبد كذلك ــ آمال ((موسولينى)) فى دخول القاهرة بحصانه الأبيض المطهم دخــول الغزاة



خطة هجوم الجنرال " أوكونور " على الجيش العاشر الايطالــــــــى
" معركة سيدى برانى " ــ ديسمبر ١٩٤٠

السياسة والحرب :

ويعطينا ما حدث بعد ذلك في جبهة الصحراء بشمال أفريقية ، أبلغ مثال لتأثير السياسة ــ عبر التاريخ الانسانى بأسره ــ على مسارح القتال ، تؤثر عليها كما تتأثر بها . .

ففى الوقت الذى كان فيه بامكان القوات البريطانية القضاء على كل نشاط عسكرى للمحور فى شمال أفريقية ، عقب هذه الوثبة الخاطفة لقوات « أوكونور » على الجيش العاشر الايطالى وتمزيقه تماما ، وبينما كانت قواته تقوم بمواصلة تقدمها فى اتجاه الصحراء الليبية متعقبة فلول الايطاليين ، موقعة بهم أفدح الخسائر بهدف السيطرة على مسرح الحرب فى هذه الجبهة والوصول الى تونس ، برزت العوامل السياسية لتوقف هذا النجاح ، وتتسبب فى اطالة القتال والمتاعب البالغة للجيش البريطانى على امتداد العامين التاليين . .

ففى تلك الأثناء ، مات (ميتكساس) ــ رئيس وزراء اليونان القوى ــ ليتمكن ونستون تشرشل من اقناع خلفه ــ فى ٢٩ يناير ١٩٤١ ــ بقبول المساعدة العسكرية البريطانية لجبهة اليونان لتمكينها من مقاومة الغزو الألمانى الوشيك (كانت الحشود الألمانية متجمعة فى بلغاريا ، على أهبة الاستعداد لذلك) .

برقية اضاعت آمال قائد الجيش ! :

وبينما الجنرال « أوكونور » قد وصل الى قمة أول نصر عسكرى تحققه بريطانيا منذ بداية الحرب العالمية الثانية فى الوقت الذى كان طيف (تونس) يتراقص أمام عينيه ، اذا بالسياسة تفرض وجودها ، لتذهب بآمال النصر أدراج الرياح ، كانت البرقية موجهة من (تشرشل) الى الجنرال « أوكنلك » ــ القائد العام للقوات البريطانية فى القاهرة ــ

لمعاونة اليونان :

بدأت برقية رئيس الوزراء بتهنئة القائد العام والجميع ــ عدا اسم « أوكونور » ــ صاحب الانتصار العظيم ــ وجاء فيها بعد ذلك :

> « واننى اؤكد لك توجيهاتى السابقة التى تقضى بتركيز كافة جهودكم لمساعدة جبهة اليونان او تركيا ، وهذا يبعد اى جهد حقيقى عن جبهة شمال افريقية لذا ينبغى تامين مواقعكم فى برقة مع تركيز كل قواتكم المتيسرة فى الدلتا استعدادا للتحرك الى أوروبا ، الامر الذى يبدو معه اننا سنقوم بتقديم العون الى اليونان بجزء من جيش « أوكونور » » .

تشرشل يهدد باعدام رئيس أركان الامبراطورية !

وعندما حاول الجنرال (ديل) ــ رئيس أركان حــرب الامبراطورية ــ اقناع تشرشل بأن جميع قوات « أوكونور » في شمال افريقية مشغولة تماما ، ولا يمكن توفير أى قسم منها لمعاونة جبهة اليونان ، أجاب تشرشل :

« جنرال » ان كل ما نحتاجه ازاء معارضتك الآن هو وضعك أمام محكمة عسكرية مع تجهيز جماعة ضرب نار تقوم باعدامك ! » .

وهكذا تسببت مسألة اليونان هذه فى امتداد الحرب فى شمال افريقيــة عامين تاليين تلك الحرب التى استنفدت معظم القـــوات البرية للكمنــولث البريطانى ، وتركت الشرق الأقصى دون قوات تقريبا لمقابلة هجمات اليابانيين هناك ! ، بينما أصدرت وزارة الحرب البريطانية تعليماتها بتعيين الجنــرال ((أوكونور)) قائدا عاما للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط (مقرها القاهرة) والجنرال (نيم)ــ عديم الخبرة فى حرب الصحراء ــ لقيادة القوات البريطانية فى الصحراء الغربية (الجيش الثامن فيما بعد) .

الفصل الثانى

- الموقف داخل مصر ..
- قصة تشكيل أول لجنة للضباط الأحرار .
- السادات : نشاط لا يعرف الكلل !
- قصة انضمام خالد محيى الدين للتنظيم ..
- القصة السرية لمحاولة المخابرات الألمانية خف الفريق عزيز المصرى !

السادات وعزيز المصرى وأول تنظيم للأحرار

« .. وتقابلت مع عزيز المصرى ، فى عيـــادة الدكتور ابراهيم حسن ، دخلت العيـــادة كمريض وباسـلوب وباتقان خاص ادخلنى الدكتور ابراهيم الى مكتبه حيث وجدت عزيز المصرى وكنا بدانا التنظيم من عام ١٩٣٩ .. »

من حديث الرئيس محمـد أنور
السـادات فى ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥
بمناسبة عيد ميلاده

الصورة داخل مصر :

قصة تشكيل اول تنظيم للضباط الأحرار ..

فى أعقاب توتر الموقف الدولى ، بعد أن وضع (هتلر) أطماعه الاقليمية فى حكم العالم ، موضع التنفيذ الفعلى ، منذ أول سبتمبر ١٩٣٩ ، حينما قام بدفع قواته المسلحة الى المسرح الأوروبى ، لتجتاح بولندة ثم تشيكوسلوفاكيا فبلجيكا وفرنسا ـ بعد أن كان قد بدأ فى العام السابق بضم النمسا بالفعل ـ ثم يتحالفه مع ديكتاتور ايطاليا (بنيتو موسولينى) ، الذى تذكر فجأة ، أن الامبراطورية الرومانية القديمة كانت تحكم ثلاثة أرباع المعمورة منذ نحو ألفى عام ، وأن العناية الالهية قد بعثته لانتشال البشرية المعذبة من وهدة الشقاء والاستقلال ، بالاستيلاء على ممتلكاتها القديمة واعادة مجد الامبراطورية الرومانية من جديد ..

فى أعقاب هذه التطورات الدرامية المفاجئة ، أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب فى ٣ سبتمبر على ألمانيا الهتلرية (ثم ايطاليا فيما بعد) ..

وهكذا اشتعلت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ، لتلتهم نيرانها أرواح ملايين الشباب ولتدمر المدن وتقوض الحضارات ارضاء لأهواء حفنة من المغامرين ، الذين تملكت عقولهم أحلام اليقظة وشهوة اراقة الدماء ، ارضاء لأطماع مجنونة فى سيادة العالم .

مصر : أمرين كلاهما مر ! :

لقد وجدت مصر نفسها ، عند بداية نشوب تلك الحرب العالمية ، فى موقف لا تحسد عليه ..

فان المصريين لم ينسوا بعد انهم كانوا لا يزالون واقعين تحت نير الاحتلال البريطانى البغيض ، والذى وقع عليهم كالكارثة المدمرة منذ عام ١٨٨٢ بعد اندحار جيوش عرابى أمام جحافل الغزاة ذوى الوجوه الحمراء والغطرسة الحمقاء ، وها هى جيوش الديكتاتور الايطالى (موسولينى) تهددهم بالغزو من الصحراء الليبية ، بينما كان (موسولينى) قد أعلن على الملأ أنه قد أعد حصانا أبيض ليدخل الى القاهرة دخول الغزاة الفاتحين وما أن تنفس المصريون الصعداء ، بعد أن سحق الجنرال « أوكونور » هذه الجيوش الايطالية ،

وأزال بذلك خطر الغزو الايطالى لمصر ، حتى بدأت مصر تواجه الخطر من جديد .. ولكنه كان خطرا أعظم هذه المرة ، بعد أن قام (هتلر) بدفع قوات البانزر المدرعة تحت قيادة (روميل) الى الصحراء الليبية ، ليواصل نفس الهدف : دخول القاهرة ، ولكن بدون حصان هذه المرة ، ربما بدبابة المانية من طراز (تيجر) !

وتزداد حيرة المصريين !

لقد تفتحت عقولنا ، منذ وعينا الحياة فوق هذه الأرض الطيبة ، على كراهية الاحتلال بكافة أشكاله وصوره ، لأننا نعشق الحرية وليس ذلك بأمر جديد على الانسان المصرى ، الذى قاوم الغزاة منذ غزوة الهكسوس فى عصور ما قبل الميلاد ، حتى الغزو البريطانى الذى تصدى له ــ تحت قيادة أحمد عرابى ــ ليقاتل هؤلاء الجبابرة بأسلحة بالية ، قتالا أذهل الأميرال « بوشامب سيمور » ــ قائد الغزوة البريطانية ، الذى لم يجد مفرا من الاعتراف فى تقرير رسمى رفعه الى حكومته قال فيه : « بالرغم من تفوقنا الساحق فى التسليح فقد قاتل المصريون قتال الأبطال ! » .

وهكذا وجد المصريون انفسهم بين أمرين كلاهما مر ، فهم فى تلك الحرب التى لم يكن لهم فيها لاناقة ولاجمل ، سيصبحون فى نهاية الأمر ، اما من نصيب ايطاليا ، أو المانيا ، أو سيبقون تحت الاحتلال البريطانى الذى يلعنونه فى صلاتهم كل يوم خمس مرات ! .

● **لقد عبر عن هذا الموقف ، الرئيس السادات (١) ، خلال هذه الفترة بقوله :**

« كان هدفنا أن نتخلص من هؤلاء الانجليز الذين كانوا يسيطرون على كل مرفق من مرافقنا ، ويحتلون قواعدنا وطرق مواصلاتنا بينما وجدنا انفسنا عندما نشبت الحرب ، انه علينا أن نحارب الى جانبهم !! »

وهكذا وجد الرأى العام فى مصر موزعا بين عوامل متناقضة ثلاثة :

● **العامل الأول :** كراهيته للاستعمار البريطانى الجاثم على صدره ككابوس يزهق الأنفاس منذ عام ١٨٨٢ .

---

(١) انور السادات : أسرار الثورة المصرية ، بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية ــ كتاب الهلال ــ يوليه ١٩٥٧ .

● **والعامل الثانى :** حبه للديمقراطية وتأييده لقضاياها .

● **أما العامل الثالث :** فكان يتمثل فى كراهيته للفاشية والنازية معا .

لمعادلة الصعبة ! :

وهكذا تولدت فى مصر معادلة صعبة من نوع فريد !

فلأن المصريين يكرهون الفاشية والنازية ، ويميلون الى الديمقراطية الحرية فينبغى عليهم مساندة الجانب الذى يرفع شعار الحرب ضد الفاشية، لسوء الحظ ، فان هذا الجانب تتزعمه بريطانيا العظمى ، التى تكرهها مصر بسبب الاحتلال والقهر ، كذلك بسبب موقفها من قضية فلسطين (١) .

وبذلك وفى وسط هذا الموقف الصعب ، قررت الحكومة المصرية (برئاسة على ماهر وقتذاك) ، عدم اعلان الحرب على ألمانيا بصفة رسمية ، بسبب ما سمى حينذاك (تجنيب مصر ويلات الحرب) ، وان كانت قد قامت ــ تحت ضغط السفير البريطانى سير مايلز لامبسون ــ بقطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا وحظر التعامل التجارى معها ، أو مع رعاياها ، كما قامت بوضع لممتلكات الألمانية فى مصر تحت الحراسة .

كذلك قامت الحكومة المصرية فور اعلان بريطانيا الحرب على المانيا فى ١٩٣٩/٩/٢ ، بوضع الموانىء المصرية تحت رقابة القيادة البحرية البريطانية فرض الرقابة على البريد والصحف والبرق والهاتف ، بالاشتراك مع لسلطات البريطانية وذلك تحت ظل الأحكام العرفية التى أعلنت فور نشوب لحرب .

---

(١) كان موقف الحكومة البريطانية آنذاك من تأييد اليهود ومساندتهم لاقامة وطن قومى لهم فى فلسطين ، على حساب شعب فلسطين ، سببا فى زيادة الفجوة بين مصر وبريطانيا ففى خطاب القاه بالاسكندرية ــ يوم ١٦ يوليه ١٩٣٩ ــ قبل اندلاع الحرب بشهر ونصف ال مصطفى النحاس :

« ان هؤلاء الانجليز الذين يتشدقون بالحرية والعدالة والمساواة ، هم الذين نقضوا ما ابرموا ، وأنكروا ما وقعوا ، واخذوا باليسار ما اعطوه باليمين ، وكما فعلوا بمصر ، فعلوا بفلسطين الشهيدة الباسلة ، فقسموها باسم الانتداب تقسيما هو القضاء عليها الفناء لها ، وعندما رفضت ما فرضوه عليها ، اخذوا يسومونها سوء العذاب ، يفعل الانجليز هذا فى مصر وفلسطين ، ثم لا يتورعون عن التغنى بالحرية ، ويعزفون لحن العدالة المساواة ! »

موقف الجيش المصرى

هذا عن موقف الرأى العام فى مصر ،حينما دهمته الحرب العالمية الثانية، والتهديد من الصحراء الغربية سواء بالغزو الايطالى أو الألمانى ..

فماذا عن موقف الجيش المصرى آنذاك ؟

لقد كان الجيش المصرى منقسما فى ذاك الحين الى فئتين :

● **فئة الضباط العظام** : الذين تربوا فى ظل الاحتـــلال البريطـانى ، واعتادوا على تلقى الأوامر من جنرالات الانجليز ، والولاء لبريطانيا ، خوفا على مناصبهم من الضياع باشارة بريطانية ، فحرصوا كل الحرص على ابداء مظاهر التعاون والخضوع للانجليز .

● **فئة الضباط الشبان** : وهم الذين التحقوا بالكلية الحربية فى اعقاب معاهدة ١٩٣٦ ، وما حدث من اجراء توسـعات فى الجيش ، خاصـة بعد نشوب الحرب .

لقد أتاح هذا التوسع للكثير من أبناء الأسر المتوسطة ــ التى تمثل السواد الأعظم للشعب ــ الانخراط فى سلك الجندية كضباط .

لقد كان هؤلاء الضباط ــ بحكم أصولهم الاجتماعية ــ يمثلون عناصر وطنية وشعبية شـديدة الحماس لقضـية تحرير وطنهم ، والاحســاس بمسئوليتهم ازاء هذا التحرير ، وبذلك كانت هذه الفئة تمثل عناصر كارهة للاحتلال البريطانى ، ولسواه من أنواع الاحتلال .

● كان السادات ــ (والذى تخرج فى عام ١٩٣٨) ــ يمثل هذه الفئة الكارهة للاحتلال ، والمتطلعة الى تحرير وطنها ، خير تمثيل ومن ذات الفئة، نشأ التجمع الوطنى الأول للضباط الأحرار عام ١٩٣٨ ذلك التجمع الذى ربط بينه وبين جمال عبد الناصر ، ومجموعة من الضباط الشبان ، الطيار أول حسن عزت ، والطيار أحمد سعودى ، ووجيه أباظه ، وعبد اللطيف بغدادى ، وحسن ابراهيم ، وخالد محى الدين وغيرهم ..

رباط متين جمع بين هذا التجمع : شعور عميق بالكراهية للقادة الانجليز (فى البعثة العسكرية البريطانية) من جانب ، والكراهية لقادتهم من المصريين الخاضعين للقيادات البريطانية من جانب آخر ..

يعطينا السادات صورة عن تلك الفترة حينما يكتب (١) :

« في القاهرة ، التقيت بجميع اصدقاء (منقباد) ، فيما عدا جمال عبد الناصر ، الذى كان فى السودان .

وبدأت الاجتماعات تتوالى وتتركز فى القيام بعمل كبير من أجل تحرير بلادنا ، كان فى خيالنا رجلان نريد الاتصال بهما ، وأن نشركهما معنا فى عملنا الكبير ، على ماهر .. وعزيز المصرى رئيس هيئة اركان حرب الجيش ، وهو الرجل الذى وقع اختيارنا عليه وقتئذ ، كى يقود ثورتنا ..

حاولنا الاتصال بعلى ماهر ، فلم نستطع ..

وحاولنا أن نتصل بعزيز المصرى ، فاستطعنا .. » .

ولكن لماذا حاول اول تنظيم للضباط الأحرار ان يتصل بالفريق عزيز المصرى دون غيره ؟ ..

كانت نقطة الجذب فى عزيز المصرى – بالنسبة للضباط الأحرار – تتمثل فى تجسيده للجانب المناقض لمجموعة الضباط العظام المصريين الذين كانوا ينافقون الانجليز ، ويأتمرون بأوامرهم ، الأمر الذى أدى بهم الى طرده من الجيش ، بسبب مقاومته لطلبات رئيس البعثة العسكرية البريطانية الجائرة ، على حساب مصر وجيشها وشعبها .

وهكذا كان ارتباط هؤلاء الضباط الشبان ، بالفريق عزيز المصرى ، تجسيدا للتعبير عن كراهيتهم لهذا الاحتلال البريطانى وتعبيرا فى ذات الوقت عن تصميمهم على التخلص منه ، والبعد عن الارتماء فى احضان اى من الأطراف الدولية المتصارعة وقتذاك .

منذ ان صمتت مدافع عرابى :

فمنذ ان صمتت مدافع عرابى ، تحت القوة الغاشمة للاسطول البريطانى الذى فتح مصر للاحتلال ، عام ١٨٨٢ ، لم تعرف مصر فئة الضباط الثوار ذوى الراى المستقل ، والرؤية الواضحة ، الا فى قلة قليلة ، منهم الفريق عزيز المصرى ، الذى حارب ضد الاستعمار الايطالى فى ليبيا كما قاتل مع الثورة العربية فى الحجاز ضد الفساد العثمانى ، ثم ساند مصطفى كمال

---

(١) انور السادات : أسرار الثورة المصرية ، بواعثها الخفية واسبابها السيكولوجية – كتاب الهلال – يوليه ١٩٥٧ .

أتاتورك ورفاقه ضد السلطنة العثمانية المتآكلة ، ثم ليصبح بعد ذلك صاحب المدرسة المصرية العسكرية المناهضة للاستعمار البريطانى ، وليصبح كذلك أول رئيس مصرى لأركانحرب الجيش المصرى بعد خروج (سفنكس باشا) من وزارة الحربية .

السادات ومدرسة عزيز المصرى :

وحينما ظهر اسم الضابط أنور السادات على مسرح الكفاح الوطنى ، كان يمثل أحد أبناء مدرسة (عزيز المصرى) (١) الأوائل ، الذى حدثهم عن الضابط أنور السادات أحاديث كثيرة ، كان السادات معجبا بشخصية هذا المكافح العجوز الذى لا يلين ، والذى عاش حياته طولا وعرضا فى كفاح مستمر من اجل ما يؤمن به . .

يقول الطيار حسن عزت ـ رفيق الكفاح للسادات (٢) :

« وكان اليوزباشى انور السادات من سلاح الاشارة ، قد ضاق صدره بالسياسة الانجليزية فى مصر ، وبالساسة المصريين الموالين للانجليز وبذلك اجتمعنا نحن الخمسة (٣) لنكون اول لجنة من الضباط الاحرار ، والذين علينا كانت تقع خلاص مصر وتحريرها ، وكان علينا كذلك ان نضع الخطط الكفيلة بتخليص مصر من السيطرة البريطانية .

وكان على كل منا ان يعمل على ضم خمسة من الضباط لجماعته ، بحيث لا يعرف كل منهم الآخر ، وكان على كل فرد من الخمسة ضم خمسة آخرين وهكذا . .

وقد كلفت بمهمة الادارة والانتاج والاشراف على النواحى المالية ، ولأنور السادات مهمة الاتصالات ، ولوجيه أباظة مهمة الدعوة ، ولسعودى ادارة عملية الاغتيالات .

---

(١) أنور السادات : سيرة بطل حرر روح مصر ـ عبد المنعم شميس ـ الهيئة العامة للاستعلامات ـ القاهرة ، ١٩٧٤

(٢) اسرار معركة الحرية ـ قائد سرب حسن عزت ـ ١٩٥٣ .

(٣) وهم : اليوزباشى محمد أنور السادات من الاشارة ، والطيار اول حسن عزت ، والطيار وجيه أباظة ، والطيار اول احمد سعودى ، والطيار اول عبد اللطيف بغدادى .

السادات : نشاط لا يعرف الكلل ! :

يقول الطيار أول حسن عزت (١) :

« ونشط أنور السادات نشاطا عظيما ، وأخذ يضم ــ دون كلل ــ ضباطا من سلاح الاشارة والمشاة وغيرهما ، بيما نشطنا نحن فى سلاح الطيران ، ونجحنا فى اعداد أنواع بسيطة من القنابل اليدوية التى تنفجر بالالقاء ، والألغام التى توضع على خطوط السكك الحديدية وغير ذلك .. ، وهكذا كان أنور السادات مندوبنا فوق العادة فى كافة الاتصالات لضم اعضاء جدد »

كيف انضم خالد محيى الدين للتنظيم ؟ :

ويرى الطيار أول حسن عزت (٢) قصة ضم خالد محيى الدين للتنظيم ، فيكتب :

« وبينما كنت موضوعا تحت الايقاف فى ميس سلاح الفرسان ، انتهزت الفرصة للدعوة للحركة بين ضباط الفرسان ، ولم يكن لنا أنصار به ، ولا أعوان .

ولما كان نظام الحراسة على يتلخص فى أن يتولى ضابط من نفس رتبتى، حراستى لمدة ٢٤ ساعة ، ثم يحل محله ضابط آخر لمدة ٢٤ ساعة تالية ، وهكذا ، فقد بدأت ادرس حالة كل ضابط واتحدث معه على انفراد .

وقد لفت نظرى ضابط برتبة الملازم رأيت فيه استقامة وصدقا ورجولة يدعى خالد ، وفى نوبة حراسته ، تناولت معه طعام العشاء ، ثم توجهنا الى الغرفة للنوم ، فسألنى الملازم خالد فى أدب جم : « حضرتك متعود تنام فى النور أو فى الظلام ؟ اذا كنت ترغب أطفأت النور »

فقلت له : وسيادتك كيف تنام ؟ فأجاب : فى الظلام ولكنى تحت أمرك ولما كنت قد قررت أن أبدأ الدعوة بهذا الضابط ، فان النور لم ينطفىء طوال تلك الليلة ، حتى الصباح ، ولم نذق طعم النوم ليلتها وما تبعها من ليال ..

---

(١) المصدر نفسه

(٢) نفس المصدر

تحدثت اليه كثيرا عن المصير المظلم لوطننا فى ذلك الحين ، وكيف ان يقظته لابد وان تتم عن طريقنا ، وانه لابد من تحريره ، ولن يحرره الا الضباط المؤمنين بالحرية ، ضباط مصريون دما ولحما وعقلا ، واتفقنــا فى الأفكار والآراء التى كانت تدور فى رؤوسنا عن طريقة ضم الأعضاء الجدد ، وكلفته بانشاء شعبة **من خمسة من زملائه الذين يثق فيهم ، وفى الصباح كان الملازم خالد محيى الدين هو اول من انضم للضبــاط الأحرار من سلاح الفرسان (المدرعات حاليا) وقد قمت بارساله الى الطيار وجيه اباظة الذى سلمه بدوره الى الطيار عبد اللطيف بغــدادى ، وهكذا فعلت مع الملازم فؤاد التهامى ، وقد قام خالد بضم خمسة من الضباط بنفس الأسلوب المتبع ، كون منهم شعبة فى سلاح الفرسان وراح يطبق عليهم النظام الذى وضعناه دون أن يعرف كل منهم الآخر ! »** .

المخابرات الألمانية تضع خططها لخطف عزيز المصرى موضع التنفيذ !

لعل الكثيرين قد لا يعلمون أن فكرة خطف الفريق عزيز باشا المصرى الى ألمانيا بدأت تختمر فى ادارة المخابرات الألمانية السرية منذ ربيع عام ١٩٤٠ ، فى مطلع الحرب العالمية الثانية ، وذلك قبل المحاولة التى قام بها بالفعل بعد عامين من هذا التاريخ ..

ففى أوائل عام ١٩٤٠ ، توصل رائد بادارة المخابرات الألمانية السرية الى التفكير فى خطة طموحة الى اقصى حد ، بغرض الاتصال بعزيز المصرى فى القاهرة ، بالاضافة الى اقامة مركز تجسس لصالح ألمانيا فى القاهرة .

وبعد تنسيق طويل ودقيق اتفق هذا الرائد الألمانى مع ضابط من الجيش النمساوى القديم هو الكابتن (لاسيزيو كونت فون الماسزى) ــ الذى كان أحد خبراء الصحراء ، كما كانت لديه ميزة لا تتوفر لغيره ، حيث كان يعمل لسنوات طويلة بالجمعية الجغرافية الملكية المصرية فى الصحراء المصرية التى طالما طار فوقها لأغراض المسح ورسم الخرائط ، كما كان لديه العديد من الأصدقاء فى القاهرة .

وهكذا قامت المخابرات الألمانية بتجنيد الكابتن (الماسزى) لتعيينه برتبة ضابط فى سلاح الطيران الألمانى ، لتقوم بعد ذلك باستغلال خبرته فى الهدفين المطلوبين بالدقة :

الأول تجديد الاتصال بالفريق عزيز المصرى الذى كان معروفا بكراهيته للانجليز ، والذى كان يامل ــ اذا انتصرت ألمانيا ــ فى أن تتحرر مصر من الاحتلال البريطانى والحصول على استقلالها .

والثانى المعاونة فى اقامة مركز التجسس الألمانى بالقاهرة ..

تشكيل فريق الاختطاف :

وحينما عرض (الماسزى) فكرته الجريئة لاختطاف الفريق عزيز المصرى واحضاره الى ألمانيا رفع الأميرال (كناريس) ــ مدير المخابرات الألمانى ــ حاجبيه دهشة صائحاً : « انها فكرة خيالية ! » .. الا أن (الماسزى) تمكن من اقناعه بامكانية تنفيذها خلال أسابيع ثلاثة ..

وهكذا بدأت ادارة المخابرات الالمانية السرية في تشـكيل جماعة من الكوماندوز داخل فيلق "الطيران الألماني العاشر (المخصص للقتال في جبهه شمال افريقية) ، الى جانب التنسيق مع سفير المجر في القاهرة (وكان حينذاك في بودابست) ، حيث أخبره مدير المخابرات الألمانية انهم يبغون الاتصال بالفريق عزيز المصرى ، وبالتالى فهم يحتاجون الى وضع جهـاز لاسلكى في العاصـمة المصرية للتبليغ عن حالة الطقس هناك فحسـب ! ، وعندما ابدى السفير استعداده للمعاونه قام الأميرال (كناريس) بتسليمه جهازا لاسلكيا تم وضعه في حقيبته الديبلوماسية وقام بادخاله بهذه الطريقة الى القاهرة ، الا انه ـ بحذر الديبلوماسى ـ لم يضع الجهاز في السفارة ، بل سلمه الى احد القساوسة النمساويين (وكان يعمل جاسوسا للمجر) وكانت جملته المأثورة التى يقولهـا لزملائه : « ان حســـابى ســـيكون عسيرا مع ربى عندما اعترف له بأعمالى في القاهرة ! »

قام القس النمساوى باختيار مكان أمين لا يخطر على بال لاخفاء جهاز اللاسلكى في القاهرة ، حيث وضعه تحت هيكل كنيسة (سانت تريز) في شبرا ، وبذلك كان يتوجه الى (مقر العمل) دون أن يثير الشبهات ، ليقوم بارسال واستقبال الاشارات في أوقات الصلاة .

فى غواصة :

تقول سجلات الحرب الألمانية السرية أن الفريق عزيز المصرى اقترح في بادىء الأمر أن يخرج من مصر داخل غواصة المانية عن طريق بحيرة (البرلس) الا انه ثبت أن ذلك أمر غير عملى ، لضحالة مياه البحيرة وامكانية اكتشافها ، واخيرا تقرر أن ترسل المخابرات الألمانية طائرة الى مكان معين في الصحراء لا يبعد كثيرا عن القاهرة ، لنقل الفريق عزيز المصرى الى خطوط روميل .

تدبير الطائرات :

وعقب استيلاء الألمان على جزيرة (كريت) ـ في ٢٠ مايو ١٩٤١ ـ تمكنت المخابرات الألمانية من تدبير طائرتين من طراز (هنيكل ٣) من الفيلق الجوى العاشر لتنفيذ مهمة اختطاف الفريق عزيز المصرى ، وتم الحاق الطائرتين على السرب رقم ٢٦ ، واختار (الماسزى) نقطة ـ على طريق الواحات ، قريبا من القاهرة ، وكان على الفريق عزيز المصرى الوصول الى نقطة المقابلة قبل الغروب بساعة ، في الوقت الذى تهبط فيه احدى طائرتى (الهنيكل) لتأخذه ، على أن تظل الطائرة الثانية في الجو للحراسة .

اين عزيز المصرى ؟

و فى يوم ٧ يونيو ١٩٤١ ، فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، طار الكابتن (هيللر) بطائرة الحراسة ومعه الميجر (ريتر) — مساعد مدير المخابرات الألمانية — **بينما طار الكابتن (الماسزى) بالطائرة الثانية** والتى كانت مكلفة بالتقاط الفريق عزيز المصرى .

وصلت الطائرتان فى الرابعة بعد الظهر الى المكان المتفق عليه ، الا أنهما لم يجدا شيئا .. واقترب (الماسزى) بطائرته من الأرض ، ليطير على ارتفاع منخفض للغاية فوق الطريق فى اتجاه القاهرة دون جدوى ، وكان التساؤل الذى فرض نفسه على الجميع وقتئذ : أين عزيز المصرى ؟ .. هل انكشفت الخطة ؟ ..

ولعل الأمر الذى لم يعلمه (الماسزى) — الا بعد نهاية الحرب — أن الفريق عزيز المصرى حاول بالفعل الطيران الى المكان المحدد ، بطائرة من سلاح الطيران المصرى ، الا أن الطائرة اصابها عطل طارىء ، مما اضطرها الى الهبوط الاضطرارى ، ولم يتمكن البريطانيون من اعتقاله الا بعد ثلاثة أشهر ! . (١) .

---

(١) تذكر بعض المراجع الاخرى — ان فشل الفريق عزيز المصرى فى الوصول الى نقطة المقابلة يرجع الى عطل أصاب سيارته أثناء توجهه الى المكان المتفق عليه .

الفصل الثالث

- القيادة البريطانية : ممنوع ذكر اسم روميل !
- روميل ياسر القائد العام وقائد الجيش معا .
- صمود خرافى لقلعة طبرق .
- تشرشل : البحث عن كبش فداء .
- بريطانيا العظمى تطلب معاونة الطيران المصرى !!
- الخطة الماكرة للفريق عزيز المصرى .
- عزيز المصرى : جيش مصر يدافع عن مصر !
- كيف عزل الانجليز عزيز المصرى ؟

السياسة والحرب

كيف تخلص الإنجليز من عـــزيــز المصـــرى ؟!

امر قتال يومى صادر عن القائد العام للجيوش البريطانية بالقاهرة الى جميع الضباط العظام والقادة فى القيادة العامة للشرق الأوسط :

« ان هنـاك خطرا حقيقيا فى ان يصبح اسم (روميل) بعبعا ترتعب منه قواتنا ، كما أصبح اسمه موضـوع مناقشات طويلة لا تنتهى ، ان (روميل) مهما كان قديرا أو كفـؤا ! فانه ليس انسانا خارقا للطبيعة ، وحتى لو كان كذلك فانه من غير المرغوب فيه أن تصفه قواتنا بتلك الصفات .

لذلك أرجو أن تبذلوا قصارى جهدكم لمحو هذه الفكرة عن روميل ، لانه لا يزيد فى الواقع عن ان يكون قائدا المانيا عاديا لذا يجب ملاحظة عدم ذكر اسمه عندما نشير الى العدو فى الصحراء الغربية ، فنقول الالمان ، أو قوات المحور ، أو العدو ، ولا نقـول (روميل) ! واننى أطلب منكم التأكد من تنفيذ هذا الأمر ومن صدور التعليمات اللازمة الى القادة الأصاغر بذلك ، علما بأن لهذا الأمر اهمية سيكولوجية عظمى » .

القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الاوسط
فيلد مارشال سير كلود اوكينلك
١٩٤٢/٥/١

عودة الى مسرح الحرب :

كالخيال والحلم ! :

فى اعقاب حملة الاسابيع العشرة المظفرة التى قادها الجنرال « أوكونور » وانهى خلالها التهديد الايطالى بغزو مصر نهائيا ، وبالتحديد فى يوم ١٢ فبراير من عام ١٩٤١ وصل الى مسرح الحرب فى شمال افريقية ، الجنرال (فون اروين رومّيل) على راس الفيلق الأفريقى المدرع .

وفى اليوم التالى مباشرة ، أدرك جنرال الجيش البريطانى « أوكونور » ـ والذى كان قد عين قائدا عاما للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط كما سلفنا ـ أن الجيش البريطانى قد خسر الحرب فى تلك الجبهة الحيوية !

لقد وجد ـ بعد الانتصارات الرائعة التى حققها بجيشه الصغير ـ أن آماله واحلامه فى احكام السيطرة على برقة ، قد تبخرت كالخيام والحلم ! .

القائد العام وقائد الجيش فى الأسر معا ! :

على أنه يبدو أن طالع النحس قد بدأ يلازم البريطانيين فى اعقاب وصول روميل الى مسرح الحرب مباشرة ، الأمر الذى وضع حداً لأحزان الجنرال « أوكونور » بعد أقل من شهرين ، وذلك عندما قام بتفقد جبهة القتال فى الصحراء الغربية ، مصطحبا معه قائد الجيش الجديد ـ الجنرال « نيم » ـ ففى السادس من ابريل ١٩٤١ على وجه التحديد ، ضل القائدان طريقهما فى الظلام ، بينما كانا يجوبان المنطقة بعربتهما ، ولم تطسبم قوات روميل وقتا ، فقامت بأسر هذا الصيد الثمين على الفور !

وهكذا فقدت بريطانيا واحدا من أعظم قادة حرب الصحراء حيث قضى مع زميله « نيم » بقية سنوات الحرب بين جدران معسكرات الاسر ، وليضيع بذلك كل امل فى ان تشهد الصحراء الغربية معارك عظيمة تدور بين قائد بريطانى يؤمن ويتفهم حرب الصحراء خفيفة الحركة وقائد المانى عظيم من طراز ثعلب الصحراء الشهير .. روميل ..

المصائب لا تأتى فرادى ..

فى الوقت الذى وصل فيه روميل الى مسرح القتال بشمال افريقية ، كان المشهد على الجانب البريطانى مثيرا للأسى حقا ..

فبناء على توجيهات تشرشل الصارمة بمساعدة جبهة اليونان على حساب قوات الصحراء الغربية ، تم حل قيادة هذه القوات ، لتنشـأ قيادة دفاعية ثابتة لمنطقة برقة بينما تبعثر أفراد الفرقة السابعة المدرعة للقيام بأعمـال ثانوية ، وبذلك تفككت القوة الضاربة البريطانية ، والتى انكمشت لتصبح مجموعة لواء استرالى ولواء مدرعا مسلحا بالدبابات الايطالية المستولى عليها .

ولم تكن وزارة الحرب البريطانية تشعر بتأنيب الضمير ، فبناء على تقديرات مخابراتها ، اعتقدت أن روميل لن يبدأ فى التحرك نحو مصر قبل شهر مايو ١٩٤١ ، الا أن روميل ـ الذى كان يعتمد على عنصر المفاجأة واستغلال الوقت الى أقصى حد ـ بدأ هجومه فى اليوم الأخير من شهر مارس ١٩٤١ ، تقدم بحذر فى بداية الأمر ، الا انه حينما وجد أن القوات التى تواجهه بهذا القدر من التفكك ، بدأ فى زيادة الضغط على جنرال الجيش الجديد « نيم » عديم الخبرة بحرب الصحراء ، وقواته حديثة الخدمة لينزل بها الفوضى والارتباك العام من خلال تقدم مشكل من طابورين : على الطريق الساحلى مارا ببنى غازى وعلى طريق (مسوس ـ المخيلي ـ درنة) .

وهكذا سقطت (بنى غازى) كما سقط الجبل الأخضر فى ايدى روميل ، بينما بقيت قلعة (طبرق) كالصخرة العاتية وسط المد الألمانى ! ..

السياسة والحرب :

كيف عزل الانجليز الفريق عزيز المصرى ؟ :

بريطانيا العظمى تطلب معاونة الطيران المصرى !

ولما كانت القيادة الألمانية العليا قد صممت بعد سحق الجيش الايطالى ، على تمزيق أوصال القوات البريطانية بكافة السبل ، فقد دبر الماريشـال (كيسلرنج) ـ قائد سلاح الجو الألمـانى ـ هجمة جوية قوية على مطارات الانجليز الأمامية بالصحراء الغربية تسبب عنها تدمير كافة الطائرات المقاتلة البريطانية فى الجو وعلى الأرض ، عـدا ٨ طائرات .. (من مجموع ٤٠ طائرة) (١) .

الحاكم بأمر الله يتوسل ! :

وهنا قام رئيس البعثة العسكرية البريطانية ـ والذى كان مشرفا على تدريب الجيش المصرى بموجب معاهدة ١٩٣٦ ـ بطلب اشراك أسراب المقاتلات المصرية (٢) الى جانب الطائرات الثمان المتبقية لدى الجيش الثامن فى الدفاع عن قواتهم التى باتت فريسة للهجمات الجوية الألمـانية القوية .

ويعطينا قائد السرب حسن عزت والذى كان مسئولا وقتذاك عن اعداد وصيانة المقاتلات المصرية للقتال ، صورة معبرة من صور الكفاح المصرى ضد الطغيان الانجليزى فى تلك الآونة ، فيقول (٣) :

(١) كانت هذه الارقام فى أوائل الحرب العالمية الثانية تمثل خسائر فادحة ، حيث كان ايقاع القتال حينئذ لا يزال يسير على وتيرة الحرب العالمية الاولى ، بطيئا لا يتميز بالسرعة أو ضخامة الخسائر فى الحروب الحديثة وعلى سبيل المثال فان هذا العدد من الطائرات الذى فقده الجيش الثامن (٢٠ ـ ٣٠ طائرة) يمثل فى حرب حديثة كحرب أكتوبر ١٩٧٣ مثلا خسائر متواضعة للغاية فى معركة جوية واحدة لا تستغرق أكثر من دقيقة !

(٢) كانت القوات الجوية المصرية فى أوائل الحرب العـالمية الثانية مشكلة من ٦ أسراب مقاتلات من طـراز (جلادييتور) البريطانيـة ، وعلى الرغم من أن حالة المقـاتلات كانت جيدة ، الا أنها كانت تعانى من عـدم توفر قطع الغيار اللازمة لها ، وقـد كانت بعض هذه الأسراب مكلفة فى تلك الفترة بالدفاع عن سماء القاهرة والبعض الآخـر بالدفاع عن السويس ومصافى البترول ، بينما ألقى على بقية الأسراب مهمـة حماية القـوات المصرية بالاسكندرية ومطروح ، وقد تسبب عدم توفر قطع الغيار لتلك المقـاتلات ، أن السرب الثانى وكانت قوته ٢٨ طائرة و ٣٠ طيارا لم يكن يصلح منه للقتال سوى عشر طائرات فقط وذلك على الرغم من مئات الطلبات التى قدمها سلاح الطيران المصرى الى رئيس البعثة العسكرية البريطانية لطلب قطع الغيار دون جدوى ، حيث ظلت اجاباته تتلخص على الدوام فى أن قطع الغيار المطلوبة غير متوفـرة ، أو انها شحنت ثم اغرقت السـفينة التى تحملهـا فى مكان ما بجبـل طارق أو غـيره ، وكان الأمر الذى يحز فى نفوس الضبـاط المصريين انهم كانوا يعلمون بأن مخازن سلاح الطيران البريطانى بمنطقة القناة مكدسة بقطع الغيار .

(٣) أسرار معركة الحرية ـ قائد سرب حسن عزت ـ ١٩٥٣ .

« كان القادة الانجليز يحقدون علينا لرفضنا التعاون معهم فى قصف قوات المحور حيث كان كل همنا وقتئذ يتركز فى الدفاع عن بلادنا وقواتنا ، بينما لم يكن لدى القيادة البريطانية فى ذلك الحين سوى ٣ أسراب قتال ، تمثل كل ما لديهم فى هذه المنطقة ، وبذلك أصبحوا فى أشد الحاجة لمعاونتنا الجوية . »

تحت ضغط رئيس البعثة البريطانية :

« وهنا وجدنا الفرصة سانحة لرد الصاع صاعين .. فرفضنا بإباء وشمم أن نقاتل مع محتلينا ، ولكن بعد ثلاثة أيام نجح رئيس البعثة العسكرية البريطانية فى الحصول على أمر من مدير عمليات الجيش المصرى (همت باشا) باشراك المقاتلات الجوية المصرية فى القتال الى جانب سلاح الطيران البريطانى ضد قوات المحور (١) ، وكان الأمر يقضى بتحريك السرب الثانى (بقيادة المرحوم الطيار أول سعودى) ، والخامس الى الصحراء الغربية للتعاون مع بقايا الطيران البريطانى لحماية قوات الجيش الثامن من الجو .

وكانت فرصتنا ! :

« قلنا لهم : نحن مستعدون للقتال ، ولكن أين الطيارين المدربين ؟ ان ٢٥ ٪ فقط من قواتنا مدربة على حرب الصحراء ، ولكن بقية الطيارين لم يتدربوا بعد على القتال الليلى ، والمعارك الجوية Dog Fight ، كما لم يجيدوا بعد اطلاق النيران من الجو للجو أو من الجو للأرض ، ثم أين قطع الغيار التى نمد بها طائراتنا ؟ !

« وهنا قاموا بفتح مخازنهم لنا على مصراعيها ، فذهبت أنا ووجيه أباظة سرا الى منزل الفريق عزيز المصرى رئيس هيئة أركان حرب الجيش حينذاك . .

الفريق عزيز المصرى : أنا لدى الترتيب ! :

« أطلعنا الفريق ، الأب الروحى للكفاح ومقاومة الاحتلال ، على الموقف بالنسبة لطائراتنا وطيارينا ، كما أطلعناه كذلك على الأمر الذى صدر الينا بواسطة مدير العمليات الفريق همت باشا للاشتراك مع الانجليز فى الدفاع عن قواتهم بالصحراء الغربية ..

---

(١) يلاحظ ان مصر لم تكن مشتركة فى القتال ـ بصفة رسمية ـ ضد قوات المحور (المانيا ـ ايطاليا) حيث لم تعلن مصر الحرب رسميا على المانيا الا فى عام ١٩٤٥ بواسطة المرحوم احمد ماهر باشا .

فكر الرجل العجوز طويلا ، بعد أن أطرق برأسه ، ثم قال :

« خذوا ما تريدون منهم ، ودربوا طياريكم جيدا ، قبل أن تتوجهوا للصحراء الغربية وبعد ذلك أنا لدى الترتيب اللازم . .

ماذا يخبىء الداهية العجوز ؟ :

لقد تساءلنا يومئذ : ما الذى يخبئه الداهية العجوز ؟ (١)

وفى صباح اليوم التالى ، فتح لنا الانجليز مخازنهم لنغترف منها بكل شراهة ، وكانت مكتظة بكل ما كنا نحلم به من قطع الغيار والمراوح والاطارات والمحركات ، قمنا بتغيير محركات الطائرات بمحركات جديدة وأخذنا نحو ٢٠ محركا جديدا بصفة احتياطية ، بالاضافة الى محركاتنا القديمة ، كما قمنا بتغيير الأجنحة القديمة بأخرى جديدة ، ثم حملنا مئات الأطنان من قطع الغيار بما يكفى أسرابنا لخمس سنوات كاملة وخلال أسبوع ، كانت جميع مقاتلاتنا مجددة تماما ، ومخازننا تضيق بما زودت به من قطع الغيار المطلوبة .

وذهبت مع وجيه أباظة الى الفريق عزيز المصرى وأطلعناه على الموقف ، فقال لنا : « روحوا ياولاد ، خلوهم يمرنوا الطيارين ويعطوكوا ذخيرة للتمرين ، وكمان خذوا خمسين مليون طلقة احتياطى » .

مقابلة مع رئيس البعثة البريطانية :

وفى اليوم التالى ، قابلنا رئيس البعثة البريطانية وأخبرناه بأننا نرغب فى تدريب طيارينا على الضرب من الجو للجو ، ومن الجو للأرض بالذخيرة الحية حتى يطيروا للصحراء وهم مدربين جيدا ، وللمرة الثانية ، أمر بفتح المخازن وتزويدنا منها بكل مانحتاج ، واتوجهنا الى الصحراء الشرقية بدهشور للتدريب على القتال الفعلى ، وقمنا بالتدريب بالذخيرة الحية لمدة ٤٠ يوما ، حيث قام كل طيار بعشرات الطلعات الجوية ، وأطلقوا ملايين الطلقات (كانت كل طائرة مزودة بأربع مدافع رشاشة من طراز براوننج يطلق كل منها ١١٥٠ طلقة فى الدقيقة) .

حقق طيارونا أرقاما قياسية :

وحقق طيارونا أرقاما قياسية ، حيث توافرت لدينا كل امكانيات التدريب ، فحصلنا على نتائج مدهشة أذهلت البريطانيين ، ولكن بعد أن استهلكنا أطنانا من الذخائر البريطانية . وبعد ستة أسابيع ، تم تدريب الطيارين ، وأصبحت طائراتنا جديدة ، بينما قطع الغيار تملأ مخازننا ، وحصلنا من الانجليز على خمسين مليون طلقة ذخيرة احتياطى .

---

(١) أسرار معركة الحرية ــ قائد سرب حسن عزت ــ ١٩٥٣

خطة الفريق عزيز المصرى ! :

وذهبنا للفريق عزيز المصرى وأبلغناه بما تم ، فظهرت على وجهه علامات السرور ، وبدا وكأنه يسر فى نفسه شيئا ، ثم سألنا عن موعد السفر ، فأخبرناه بأنه يوم الجمعة القادم .

وفى فجر نفس يوم الجمعة المحدد للطيران الى الصحراء الغربية ، كانت جميع طائراتنا جاهزة ومزودة بالذخيرة حيث وقف كل طيار أمام طائرته ، وكل قائد سرب أمام سربه ، وكان كل منهم يحمل تعليمات وأوامر الطيران المعدة بدقة وعناية ..

واتصل قائد المحطة بقائد سلاح الطيران المصرى ليستأذنه قبل الاقلاع كما هى العادة المتبعة فى سلاح الجو ، فحضر المدير وقام بالتفتيش على الطائرات والطيارين حتى يتأكد بنفسه من كل شىء .. ثم ذهب بدوره ليستأذن نائب هيئة أركان حرب الجيش (كان الطيران حينذاك يتبع الجيش) ، واتصل رئيس هيئة الأركان بالفريق عزيز المصرى الذى اظهر دهشته من هذا الاجراء وسأل : « من الذى اصدر هذه الأوامر ؟ » ولما قيل له أن الأمر صادر عن مدير العمليات ، قال : ولكن ليس لدى علم بهذه الأوامر .. كيف تشترك اسرابنا الجوية فى الدفاع عن القوات البريطانية فى الصحراء الغربية ونحن لسنا فى حالة حرب مع الألمان ؟

فلما اخبره مدير الطيران بأن الأوامر التى لديه صادرة من ادارة العمليات استدعاه الفريق عزيز المصرى لمقابلته هو ومدير العمليات ، حيث قام بتلقينهما درسا فى الوطنية ، وكيف أن مدير العمليات ينبغى الا يتلقى التعليمات من الانجليز ، بل من رئيس أركان حرب الجيش المصرى وحده ..

وهكذا حضر مدير سلاح الطيران الى المطار ونحن لا نزال على أهبة الاستعداد للسفر ، ليصدر الينا الأوامر بالانصراف والعودة بالطائرات الى السويس وحلوان للدفاع عن الأراضى والأهداف والقوات المصرية وحدها .

وطرنا للمرة الأولى بجميع قوة الأسراب وهى صالحة تماما للاستعمال وجن جنون الانجليز ، ولكن ماذا يصنعون أمام رجل كعزيز المصرى ؟ .

عزيز المصرى : هنا عنق الزجاجة ! :

وفى تلك الأثناء ، وبعد أن أصبحت مصر مهددة بغزو فيلق البانزر بقيادة روميل ، عقد الانجليز مؤتمرا خطيرا حضره على باشا ماهر رئيس الوزراء .

حينذاك ، وصالح باشا حرب وزير الدفاع والفريق عزيز باشا المصرى رئيس أركان حرب الجيش ، عن الجانب المصرى ،بينما حضر عن الجانب البريطانى الجنرال ولسون والسير مايلز لامبسون ــ سفير بريطانيا فى مصر ــ والجنرال ستون وكان الغرض من الاجتماع وضع خطط الدفاع عن مصر فى مواجهــة الغزو الألمانى المرتقب .

وفى بداية المؤتمر ، اقترح الجنرال (ستون) أن يتحرك الجيش المصرى بأجمعه الى سيوة لمواجهــة قوات المحور من جهة الجنوب ، مع ترك المنطقة الساحلية للجيش الثامن لحمايتها بالاشـــتراك مع الأسطول ، الا أن الفريق عزيز المصرى رفض هــذا الاقتراح قائلا أنه اذا انهـــزم الجيش المصرى فى (سيوة) فلن يكون هناك أمامه خط للانسحاب الى الدلتا وأضاف : كما اننا لا نملك الا عددا قليلا من الدبابات الخفيفة ، وليس لدينــا أية مدرعات ثقيلة يمكنها مواجهة المدرعات الألمانيـــة ومدفعية روميل المتفوقة وبذلك فانه لو وقعت معركة فاصلة فى (سيوة) ، فان الجيش المصرى لن يتمكن من التراجع الى قواعده ، لعدم توفر اللوارى وحاملات لنقل الجنـــد المدرعة ولا الطرق المناسبة ، مما قد يؤدى الى ابادته عن آخره ، الأمر الذى سيؤثر بالقطع على المعنويات وعلى مصر لأجيال عديدة قادمة ..

ثم وقف عزيز المصرى فى نشـــاط شباب فى الثلاثين ليعرض بدلا عن هذا الاقتراح البريطانى المدمر ، انشـــاء معسكرات تدريب على جنــاح السرعة لتدريب ٢/١ مليون جندى مصرى على أن يطير هو فورا الى الولايات المتحــدة الأمريكية لاختيار الأسلحة الحديثة والمدرعات ، على أن يتولى بنفسه تدريب الجيش لمدة شهور ســتة ثم يكون مسئولا بعد ذلك عن الدفاع عن الســاحل بأسره والقطاع الجنوبى وغيره ...

تجهم الانجليز ، الذين كانوا يهدفون من اقتراحهـم الى ضرب عصفورين بحجر ، القضــــاء على الجيش المصرى المناوىء لهم ، والتخلص من الفريق عزيز المصرى الذى كان يكن لهم كراهية الوطنى الذى يرى بلده محتلا مقهورا .

وحينما عارض الجنرال ســـتون اقتراح عزيز المصرى ، أجاب الأخير : اننى لا أرى جدوى من الدفاع فى السلوم أو مطروح ، فضحك الجنرال ستون بسخرية قائلا : ان مطروح هى البنــدقة الصعبة الكسر فى فم روميل ، وأنه اذا سقطت مطروح فينبغى تحصين مدينة الاسكندرية لمواجهة دخول روميل .

عزيز المصرى : العلمين هى عنق الزجاجة ! :

وهنا رد عليه عزيز المصرى :

((ان مطروح لا تصمد امام روميــل ٢٤ ساعة ، وانه لو كان مكانه لركز دفاعه هنا (واشار بقلمه على نقطة بالخريطة امام القــائد البريطانى) وقال لصالح باشا حرب : ما اسم هذه النقطة يا باشا ؟

فرد وزير الدفاع المصرى : اسمها العلمين .

فقال عزيز المصرى : يا جنرال « ستون » .. ركز دفاعك هنــا فى هــذه النقطة بالذات (وهذا هو ما حدث بالفعل بعد عام حين عين مونتجومرى قائدا للجيش الثامن وركز دفاعاته فى منطقة العلمين الشهيرة) ، فان هذه المنطقــة هى بمثابة عنق الزجاجة فى الصحراء كلها ، واذا حصنتها جيــدا فلن تتمكن قوات روميل من اقتحامها ، علاوة على أن قواته ستتجمع أمامهــــا ، وبذلك ستكون مكشوفة وقريبة من أهداف الطيران والأسطول » .

اجازة اجبارية لعزيز المصرى !

فى اليوم التــــالى لهذا المؤتمــر ، بعث سنـــير مايلز لامبسون ـ السفير البريطانى فى مصر والحاكم بأمره أنذاك ـ برسالة عاجلة الى على ماهر يطلب منه فيها اصدار تعليماته بتحريك قوات الجيش المصرى الى (سيوة) بنــاء على الاقتراح البريطانى فقام على ماهر (المعروف بكراهيته كذلك للانجليز) بتحويل الرســــالة الى وزير الدفاع لابداء الرأى ، الذى حــوله بدوره الى الفريق عزيز المصرى للتنفيذ .

ورفض الفريق عزيز المصرى أن يتحمل وزر ابادة الجيش المصرى من أجل الانجليز وهنا طلب السفير البريطانى ـ بعد الرجوع الى حكومته فى لنـــدن ـ عزل الفريق المصرى من منصبه ومنحه اجازة اجبـــارية ، ورضخ على ماهر ومنحه بالفعل اجازة اجبارية لأجل غير مسمى وهكذا فقد جيش مصر مكافحا عظيما ، وان لم يفقد مريديه ابوته ونصائحه ومبادئه .

طبرق تصمد أمام روميل

معـــارك ابريل ١٩٤١

فى ابريل ١٩٤١ ، وبعـــد أن قام روميل ـ على رأس فرقتيه المدرعتين ١٥ ، ٢١ بانزر بالتقدم نحو مصر ، لتسقط بنى غازى والجبل الأخضر فى يده، ركز ثعلب الصحراء جهوده نحـــو الاستيلاء على قلعة طبرق التى أصبحت كالشوكة فى ظهر قواته التى كانت تواصل تقدمها المظفر شرقا فى اتجاه مصر .

لا بد من الاحتفاظ بطبرق :

وفى ٩ ابريل ١٩٤١ قرر الجنرال ويفل ـ القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط ـ ان أفضل طريقة لايقاف تقدم روميل نحو مصر تتمثل فى الاحتفاظ بطبرق ، وهكذا صدرت التعليمات الى الجنرال هورسهيد (قائد الحامية الاسترالى) بالقتال حتى الموت وعدم التخلى عن طبرق .

ولمـا كان روميل يقدر قيمة وجود هذه القلعة فى طـريق مواصــــلاته وخطورتها عليه ، فقد هاجمها فى ١٦ ، ١٧ ابريل دون جدوى ، بينما كانت فرقه المدرعة قد وصلت الى الحدود المصرية يوم ٢٨ ابريل لتسقط كل من السلوم (١) وكابتزو فى يده .

روميل : البريطانيون عنيدون للغاية ! :

ويكتب روميل فى ١٤ ابريل ١٩٤١ رسالة الى زوجته ، يقول لها فيها : ان البريطانيين عنيدين للغاية وبحوزتهم كميات ضخمة من المدفعيـــة ، وفى الساعة التاسعة صباحا وصلت الى رئاسة الفيلق ، فوجدت تقريرا يتضمن ان الهجوم على طبرق قد توقف لأن منطقة اختراق الفرقة الخامسة الخفيفة كان على جبهة ضيقة للغاية فى خطوط الانجليز ، وبعد فترة قصيرة وصـل الى رئاستى الجنرال سترايخ والعقيد أولبريخ الذى قرر أنه وصل بالفعـل بمدرعاته الى نقطة تبعد ميلين ونصف جنوبى المدينة ، ولكنه تعرض هنـاك

---

(١) تعتبر هضبة السلوم منطقة ذات أهمية استراتيجية كبرى حيث تتحكم فى الطريق الوحيد الصالح لعبور قوات كبيرة من الصحراء المصرية الى صحراء ليبيا ، وترتفع عن سطح البحر بنحو ٦٠٠ قدم ، كما تسيطر على الطريق الساحلى سيطرة تامة .

لنيران مميتة من المدفعية البريطانية ، مما اضطره للانسحاب بعد أن أصيبت نسبة كبيرة من مشاته وتحت وطأة العناد البريطاني الشديد ، لم يكن أمامي سوى التخلي عن الهجوم على طبرق ومتابعة التقدم نحو مصر » .

السياسة مرة أخرى !

وبينما كان الجنرال « ويفل » وسط المعارك الخاسرة المتلاحقة والأخطار الجديدة (١) ظل تشرشل يضغط عليه للهجوم على قوات روميل المتقدمة ، بدأ سيل برقيات رئيس الحكومة ينهال على « ويفل » : لا بد من احراز نصر سريع في الصحراء الغربية لتدمير جيش روميل .

وهكذا ـ وبسبب تدخل تشرشل والموقف السياسي ـ أصبح كل شيء معدا لهزيمة بريطانية حيث اضطر « ويفل » للقيام بهجوم فاشل منذ البداية ـ في ١٥ يونيو ١٩٤١ ـ على القوات الألمانية ، وكانت مواجهة غير متكافئة بين القوات البريطانية المفتقرة الى الحملة الميكانيكية والأفراد المدربين وتتميز بسوء التنظيم والنقص في قطع الغيار ، ازاء قوات روميل المدربة جيدا على حرب الصحراء ، بجانب تفوقها في التسليح وبخاصة بالنسبة للدبابات والمدافع المضادة للدبابات من عيار ٨٨ ملم الشهيرة (٢) .

الجنرال ويفل : كبش الفداء ! :

انتاب الغضب الجائح تشرشل نتيجة فشل الهجوم البريطاني فيما عرف بمعركة (باتل آكس) ، لم يحاول رئيس الوزراء أن يعترف بأنه هو بذاته كان العامل الرئيسي لفشلها (٣) ، مرة بعد أن قام بتفتيت جيش « أوكونور »

---

(١) كانت بريطانيا تمر في ذلك الحين بفترة حرجة للغاية ، ففي ٢٩ أبريل ١٩٤١ تم طرد القوات البريطانية من اليونان بخسائر بالغة ، وفي ٥ مايو قامت ثورة موالية لألمانيا في العراق تحت قيادة رشيد عالي الكيلاني ، وفي ٢٠ مايو هاجم الألمان كريت في أعظم عملية للقوات المحمولة جوا خلال الحرب ، كما أصبح من الواضح أن التسلل الألماني في سوريا قد يصبح خطيرا .

(٢) جاء في الوثائق الحربية البريطانية الرسمية عن الحرب في شمال أفريقية ـ والتي نشرت بمعرفة الحكومة البريطانية عام ١٩٥٦ :

« لقد فشل الهجوم البريطاني في معركة يونيه ١٩٤١ والتي بدأت بأمل كبير في تحقيق نصر ، بسبب عدم امكان القوات البريطانية السيطرة على ممر حلفاية نظرا لصلابة الدفاع الألماني العنيد عنه ، وشدة النيران ، كما برهنت المدافع الألمانية الشهيرة من عيار ٨٨ ملم والتي كانت مخفاة تماما على أنها مؤثرة على كافة الدبابات البريطانية .

(٣) على الرغم من انه يعترف جزئيا بذلك ، حين كتب في ١٧ يونيه ١٩٤١ في مذكراته : « في هذه المعركة .. كان كل شيء يسير في طريق الخطأ ! » .

المدرب وارسال معظمه الى اليونان ، ومرة ثانية بسبب تسرعه فى اصدار تعليمات الدخول فى معركة عاجلة مع جيش روميل قبل أن تتوفر عناصر النجاح لمثل هذه المعركة ، وهكذا لم يقم تشرشل بالقاء اللوم على نفسه ، ولكنه صبه على الجنرال « ويفل » ..

ففي ٢١ يونيو ١٩٤١ ، أبرق تشرشل الى ويفل بالتخلي عن القيادة لسير كلود أوكنيلك (الذى كان يشغل منصب القائد العام فى الهند) ، وهكذا كان « ويفل » يمثل صورة كبش الفداء لأخطاء تشرشل السياسية بأجلى معانيها !

وبوصول « فيلد مارشال سير كلود أوكنيلك » لتولى قيادة القوات البريطانية فى الشرق الأوسط ، بدأت حلقة جديدة من حلقات الصراع فى شمال افريقية .

جنرال جديد للجيش البريطانى :

بعد أن فقد الحلفاء فى شمال افريقية كان من الجنرالين « أوكونور » و « نيم » ، قرر الجنرال « أوكنيلك » ، قائد عام القوات البريطانية الجديد ، تعيين الجنرال « آلان كننجهام » قائدا للجيش ، ويكتب أوكنلك عن سبب اختياره لكننجهام :

« لقد طلبت تعيين كننجهام ، لأننى أعجبت بقيادته السريعة الجريئة فى الحبشة ، وبالنظر الى ميله الواضح الى العمليات الخفيفة الحركة ، حيث كنت قد قررت عدم الالتزام بالقتال فى مجرد الشريط الساحلى للصحراء الغربية ، بل الانتقال الى العمليات المتحركة فى عمق واجناب العدو وتدمير طرق مواصلاته » .

الجنرال الجديد فى المحنة :

وهكذا تولى الجنرال « كننجهام » قيادة الجيش البريطاني على الحدود المصرية ، ذلك الجيش الذى رأينا كيف تسببت تعليمات تشرشل بمساعدة جبهة اليونان فى تمزيق أوصاله وبعثرة أفضل تشكيلاته المدربة على حرب الصحراء ، والذى لم يعد يواجه اعتبارا منذ الآن ، القوات الايطالية التى أطاح بها سلفه « أوكونور » فى معركة « سيدى برانى » الفاصلة ، بل يواجه فيلق البانزر المدرع الألمانى تحت قيادة القائد ذائع الصيت (روميل) ..

ما ان بدأ « كننجهام » فى استيعاب ضخامة المسئوليات التى كان عليه أن يواجهها ، حتى شعر بثقل العبء الملقى على عاتقـــه ، وفى ذلك يكتب فى مذكـراته :

« لقد وصلت الى مصر لقيادة جيش الصـحراء فى أغسطس ١٩٤١ ، فى الوقت الذى اخطرت فيه بأن هجوما لا بد لى من القيام به فى نوفمبر ، لم يكن لدى سوى شهرين فحسب لاعادة تشكيل الجيش وتدريبه ، فى الوقت الذى كانت فيه بعض فرقه غير موجودة الا على الورق فقط ، وبخلاف الفرقة الرابعة الهندية والفرقة السابعة المدرعة كانت جميع القوات غير مدربة على الاطلاق ، كان الوقت قصيرا .. وكانت هذه هى مشكلتى الرئيسية » ..

والى جانب ضيق الوقت ، الذى كان يمثل مشكلة كبرى لقـائد الجيش الثامن الجديد ـ فقد كانت لديه مشكلة أخرى ، فلم يكن يعلم سوى القليل عن المدرعات وأسلوب استخدامها ، كما لم يسبق له أن قاد وحدة مدرعة من قبل ، وهاهو الآن يجد نفسه مطالبا بقيادة معركة مدرعات سريعة الايقاع، تعج بالتحضيرات والتجهيز مع التوسع السريع فى الجيش ، ضد قوات روميل المدرعة والتى ظلت توالى تدريبها واستعداداتها فى ميادين التدريب الصحراوية منذ عام ١٩٣٦ ، (قبل نشوب الحرب) ومع أن ذلك لم يكن خطأ الرجـل ، الا أنه وجد نفسه فى مركز دقيق للغاية ليتعلم حرب المدرعات ، فى ذات الوقت الذى كان ينبغى عليه فيه أن يصدر الأوامر لمعلميه من خبراء وقادة المدرعات الذين أصبحوا الآن مرءوسين له !

لقد كانت النتيجة المنطقية لهذه الظروف ، أن ضعفت سلطاته واهتـزت شخصيته وانتابته الاضطرابات العصبية (١) .

المعركة مع من ؟ !

وهكذا كان من الواضح أن الجنرال « كننجهام » لم يكن قادرا على تحمل ادارة وقيادة معركة دبابات كبرى بكفاءة ، فمنذ فبراير ١٩٤١ ، وروميـل يضعه تحت ضغط متواصل ، ذلك الضغط الذى استمر نحو عشرة أسـابيع من العمل المضنى والانفعال النفسى نال فيها التعب والاجهاد من حالة الجنرال البريطانى الصحية وأعصابه ، وقدرته على اتخاذ القرارات والأوامر ، حتى

---

(١) يكتب الجنرال « جودوين أوستن » ـ الذى عمـل تحت قيـادة « كننجهـام » فى الصحراء الغربية : « لقد شعرت بان « كننجهام » لم يكن سعيدا فى قيادته للجيش الثامن ، كمـا لم يكن مسـيطرا بما فيه الكفاية على المؤتمـرات والاجتمـاعات كما كان الحـال فى شرق افريقية ! » .

وصل فى ليلة الهجوم الكبير (١٨ نوفمبر ١٩٤١) الى الدرجة التى بدأ ينظر فيها الى القرارات والواجبات العادية باعتبارها مشكلات كبرى .. الا أن كننجهام لم يستسلم لهواجسه ، فقد كان عليه قيادة الجيش الثامن ، كما كان عليه الا يسمح للمرض بمداهمته ليلة المعركة ، وهكذا ، وبينما كان الجيش الثامن يتقدم نحو الحدود الليبية ، صباح الثامن عشر من نوفمبر من عام ١٩٤١ ، كان « كننجهام » يخوض معركة أخرى مع نفسه ضد الاجهاد العصبى والنفسى ! ..

كارثة الاسكندرية :

لم تترك القيادة الألمانية الجنرال « كننجهام » مشتبكا فى تلك المعارك مع نفسه ومع قلة خبرته فى حرب المدرعات ، بل عمدت ـ قبيل بدء الهجوم البريطانى الوشيك ـ الى وضعه تحت حالة أخرى من الضغط العسكرى ..

ففى ١٥ نوفمبر ١٩٤١ قامت غواصة المانية باصابة حاملة الطائرات البريطانية « آرك رويال » Ark Royal بطوربيد ، وفشلت كل محاولة لانقاذها ، وبعد قليل أصيبت البارجة البريطانية « برهام » Barham بطوربيدات المانية ثلاثة فغرقت وعلى ظهرها خمسمائة رجل ..

وفى ليلة ١٨ ديسمبر ١٩٤١ (أثناء احتدام المعركة) ، اقتربت غواصة ايطالية من ميناء الاسكندرية وقذفت بثلاثة طوربيدات حية بكل منها رجلان، وضعوا قنابل زمنية انفجرت صباح اليوم التالى أسفل البارجتين البريطانيتين الملكة اليزابيت وفاليانت فعطلتهما عن العمل شهورا عديدة .

وفى ذات اليوم الذى حدثت فيه كارثة الاسكندرية ، حاولت القيادة البريطانية الانتقام فدفعت بقافلة قوية مكونة من ٣ طرادات و ٤ مدمرات لاصطياد قافلة بحرية للمحور كانت فى طريقها الى طرابلس (لتوصيل امدادات الى جيش روميل) الا ان القافلة البريطانية وقعت فى كمين (حقل الغام قرب الميناء) فأصيب الطرادان وغرق الثالث ببحارته الذين تجاوزوا سبعمائة رجل الا واحد وقع فى اسر الألمان) وهكذا لم يبق من أسطول شرق البحر المتوسط سوى ٣ طرادات وقليل من المدمرات .

الفصل الرابع

- رجل لا يموت !
- روميل : الأسطورة والقائد !
- معبود القوات الألمانية والبريطانية معا ! !
- المرضة التى أدارت الحرب ..
- ماذا حدث داخل مركز قيادة روميل ؟
- ٤٠ دقيقة أنقذت حياة الثعلب !

بات واضحا للقيادة البريطانية ــ فى أعقــــاب وصول روميل الى مسرح القتال بالصحراء الغربيــــة ــ وما قام به من تمزيق تشكيلات الجيش الثامن البريطانى وبث الذعر فى نفوس أفراده جميعا على الرغم من تفوق البريطانيين فى التعداد والتسليح والامكانيات وقرب قواعد امدادهم (فى الدلتا والقناة) ، ان سر تفوق فيلق البانزر الألمـــانى المدرع (الذى كانت دباباته تمثل ثلث عدد دبابات الجيش الثامن) انما يرجع الى براعة قيــادة عقــله المفكر ، الجنرال « فون أروين روميــــل » ، ثعلب الصحراء الشــــهير ، وهكذا قامت ادارة المخابرات البريطانية باعداد خطــة جريئة ــ درست بدقة شديدة ــ لمهاجمة مقر قيادة روميل فى برقة بهدف أسره أو قتله ، وذلك بواسطة مجموعة من الفدائيين دربت بعناية للقيام بهذه المغامرة التى لم يقدر لها النجاح ، ومنيت بفشل ذريع ، ولعل هذا ما دعا ونستون تشرشل الى الاشــــارة اليهــا فى جملتين أو ثلاثة ــ وفى غموض شديد ــ فى مذكراته التى أفاض خلالهــــا فى وصف بقية العمليات التى قدر لها النجاح ! .

ونحن هنا نستقى حقائق هذه المغامرة البريطانيـــة من الملفــات السرية لوزارة الحرب الألمانية ، كذلك من الضباط والجنود الذين بقوا أحياء ، وكتبوا أو تحدثوا عنها بعد انتهاء الحرب .. ، ولعلنا بذلك ، وبعد مقارنتها بما جاء كذلك فى يوميات الحرب البريطانية ، نكون قد حاولنا اعطــاء صورة قريبة ــ بقدر الامكان ــ لأحداث هذه المغامرة الفريدة !

الرصاصة التى لم تطلق بعد ! :

لقد اعتاد جنود روميل أن يعتبروه رجلا له مناعة خاصة ، كانوا يقولون : « لم تطلق بعد الرصاصــــة التى يمكن أن تصيب الثعلب العجــوز ! » ، وقد دعمت أفكارهم هذه ، العـــديد من الأحداث التى شاهدوها وتناقلوها عن روميل فى حرب الصحراء (١٩٤١ ــ ١٩٤٢) بشمال أفريقية .

فذات مرة ، لم يكد يغــادر عربته المدرعــة حتى انفجرت على التو بفعل قذيفة بريطانية أصابتها اصابة مباشرة ..

وفى مرة ثانية ، كانت المعركة ناشــبة وقد رقد رجاله فى الصحراء دون حراك حيث كانوا واقعين تحت وابل من نيران الرشاشات البريطانية ، وكان من يتجرأ منهم على رفع رأســه خارج الخنــدق يتعرض لأن يدرج اسمه فى كشوفات القتلى ، وتوقف الرمى قليلا ليروا روميل يقف منتصبا دون وجل داخل خندق واضعا كفيه على عينيه لحمايتها من وهج الشمس وهو يصيح

بهم : « ماذا دهاكم بحق الشيطان أيها الرجال ؟ .. هل كلما حمى الوطيس ارتميتم على بطونكم ؟ » ، يقول أحد هؤلاء الجنود : ولم يكد القائد يغادرنا حتى فقدت معظم رفاقى بتأثير الرمى البريطانى الكثيف .. !

وكان من المنطقى أن تنتشر أسطورة مناعة روميل بين خطوط القتال ، تلك الأسطورة التى حملها الأسرى الألمان الى القوات البريطانية واذاعوها بينهم حتى اعتقدوا هم كذلك فى صحتها ، الأمر الذى دفع بقيادتهم الى توزيع أمر قتال يومى على القادة جاء فيه أن اسم روميل وأسطورته أصبحا فى الطريق الى أن يشكلا خطرا سيكولوجيا على نفسية القوات البريطانية بشمال أفريقية !

ولما كانت القيادة البريطانية ــ بعد وصول روميل ــ الى مسرح الحرب فى صحراء برقة ــ تعزو كل هزيمة للجيش الثامن الى انخفاض الروح المعنوية لجنوده بتأثير روميل وقيادته الفذة ، فقد فكرت ، منذ تولى الجنرال (فيلد مارشال فيما بعد) أو كنلك قيادة القوات البريطانية فى مصر ــ فى خطف روميل من مقر قيادته بالصحراء أو قتله ..

روميل : الأسطورة والقائد !

بالنسبة للقادة العظام ، نجد أن هناك نوعان من العبقرية العسكرية : عبقرية فكرية وعبقرية تنفيذية .. ، وعلى الرغم من أن الكثيرين من القادة العسكريين عبر التاريخ كانوا يجمعون بين احدى هاتين العبقريتين ، الا أن روميل كان يجمعهما معا كوجهى عملة لا ينفصلان ، ومن الغريب حقا أن استراتيجية الحرب الخاطفة (بليتز كريج) والتى تعتمد على الأسلوب المتطرف فى خفة الحركة باستخدام المدرعات والقوات الميكانيكية قد وضعت أصلا فى بريطانيا منذ أمد طويل ، الا أن المام روميل السريع بهذه الاستراتيجية ، والأسلوب الذى طورها بها ، توضح لنا بجلاء مدى استعداده العقلى الواسع وقدراته الفكرية الفذة ، كما أنه مما يثير الدهشة أنه فى فبراير عام ١٩٤٠ حينما عين روميل قائدا لفرقة البانزر السابعة ، لم تكن لديه أية خبرة سابقة بالدبابات ، وبذلك لم يتوفر له سوى أشهر ثلاثة لدراسة أسلوب استخدام المدرعات والالمام بأحسن الطرق لقيادة هذه القوات ، حيث أظهر الثعلب الماكر دهاء عظيما فى تطبيق نظرياته الحديثة فى مسرح الحرب بشمال أفريقية حين مزج الدفاع بالهجوم ، وعمل على اجتذاب المدرعات البريطانية الى كمائن

مضادة للدبابات معدة باحكام تمهيدا للقيام بمدرعاته بضربات خاطفة وساحقة للقضـاء عليها (١) .

ما يدور فى الجانب الآخر :

لقد كان روميل يتمتع كذلك بما يطلق عليه : القـدرة على التنبؤ ، اى القدرة على اختراق خطوط الأعداء ببصيرة القائد الفذ ، تلك القدرة التى عبر عنها القائد البريطانى العظيم (دوق ولنجتون) بانهـا : (معرفة ما يدور فى الجانب الآخر للتل) أى ما يجرى خلف خطوط العدو ، كذلك ما يجول بعقلية قادتهـم .

الاخلال بتوازن الخصم :

كذلك كان روميل يمتلك القـدرة الفائقة ـ على العكس من القـادة البريطانيين الذين واجههم فى معاركه ـ على استغلال عنصر المفاجأة مع القيام بالأعمال غير المتوقعة التى تخل بتوازن الخصم ، الى جانب احساس عميق بعامل الزمن والقدرة على ايجاد أقصى درجة من درجات خفة الحركة والسرعة فى اتخاذ القرارات الفورية دون الاعتماد على التقارير المكتوبة التى كان يصفها بانها ترد دائما مشوهة ومتأخرة من الخطوط الأمامية الى القيادات فى الخلف ، كما كان يحدث بالنسبة للبريطانيين بصفة خاصة .

الراس البـاردة :

على أن الأمر الذى نود أن نلفت اليه النظر فى هذا المجال ، انه يجب على القائد فى الميدان ـ عند قيامه بمحاولة الاخلال بتوازن خصمه ـ الا يسمح بأن يختل توازنه هو أيضا ، وهنا ينبغى عليـه أن يتصف بالصفة التى كانت **السر وراء نجاح (مارلبورو) : « الشجاعة الهادئة فى وسط الزوبعة وصفاء الروح اثناء الخطر » ، تلك الصفات التى يطلق عليها الانجليز : « الراس الباردة » .**

معبود القوات المقاتلة :

وأخيرا ، وبغض النظر عن قضـاء قوات الحلفـاء فى نهاية الأمـر (عام ١٩٤٢) على قوات روميـل ـ بسبب سوء موقفـه الادارى ونقص الامدادات ـ فانه ليس هناك أدنى شك فى أن روميل كان مثال القائد العظيم ، وذلك على الرغم من اثارته ومضايقاته لضباط أركان حربه ـ بسبب كثرة مطالبه وسرعته الدائمة ـ الا انه ـ كما يقول المؤرخ البريطانى ليدل هارت ـ

---

(١) مذكرات روميل ـ ٦ اجزاء ـ تعريب العقيد فتحى عبـد الله النمر ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة .

كان معبود القوات المقاتلة لانه تمكن من أن يستخلص منها خلال القتال أقصى طاقة ممكنة ، وتعتبر أكبر وأعظم من أى تقدير معقول .

الممرضة التى أدارت الحرب ! :

ومنذ صيف عام ١٩٤١ ، كان الأمر الذى يشغل تفكير كل من روميل وأوكينلك يتمثل فى البدء بالهجوم ، فبينما كان الجيش الثامن البريطانى يعد للهجوم المرتقب ، بينما تسيطر عليه روح القلق كان الأميرال (كناريس) ــ مدير المخابرات الألمانية فى برلين ــ يلح على روميل فى الاسراع بالبدء فى الهجوم للاستيلاء على طبرق بأسرع ما يمكن ، خاصة بعد أن أبلغه بأنه ــ عن طريق عميل ممتاز له ، ممرضة تعمل فى المستشفى البريطانى فى القدس ــ كانت تقوم بجمع المعلومات الهامة من الجنود الجرحى الانجليز ، ومن ضمنها التقطت جملة من ضابط بريطانى موثوق به عن هجوم بريطانى وشيك فى شمال أفريقية ، وبذلك يمكننا اعتبار أن ممرضة المستشفى فى القدس قد أدارت دفة الحرب لفترة ما .

وهكذا بدأت القيادة البريطانية تعد للهجوم المنتظر ، وقد تسلطت عليها فكرة ابعاد روميل عن قيادة فيلق البانزر الألمانى ، يجب شل عقل الجيش الألمانى فى شمال أفريقية ، اما بقتل رأسه المفكر أو اسره .

كان لدى « أوكنلك » مجموعة الصحراء بعيدة المدى (١) المخصصة للقيام بالعمل خلف خطوط العدو فى الصحراء ، والتى كان يقابلها على الجانب الألمانى وحدة (البراندبورجر) الشهيرة فلو أمكن استخدام قوة من هذه المجموعة للقيام بقتل أو خطف هذا الثعلب الماكر ، فلا شك أن مثل هذا العمل سيؤثر بدرجة كبيرة على نتيجة المعركة الوشيكة ..

وهكذا أصبحت المشكلة تتركز فى اكتشاف عادات روميل ، وخط سيره ، واماكن اقامته ، ومراكز قيادته التى كان يقوم بتغييرها بصفة مستمرة ..

---

(١) مجموعة الصحراء بعيدة المدى : شكلتها القيادة البريطانية للعمل فى الصحراء الغربية ، وتتكون من الفدائيين المتطوعين ، يقع مركز قيادتها فى كهف بواحة (سيوة) ، الذى انتقل فيما بعد الى واحة (الكفرة) ومن هناك كانت تقوم بغارات جريئة بعيدة المدى خلف خطوط روميل ، كما كانت غارتها الجريئة على المطارات الالمانية الواقعة على مسافة ٣٥٠ ميلا خلف الجبهة من عملياتها الممتازة ، حيث كان على قوة الاغارة البقاء فى عدد قليل من الوادى لعدة اسابيع ، كانهم فى قوارب فى عرض البحر ، ووصلوا اخيرا الى هدفهم ودمروا كل قاذفة قنابل وكل طائرة مقاتلة فى المطار ، كما نسفوا مخازن البترول واحدثوا خسائر كبيرة فى الافراد ، كما اسروا ستة من الجنود وعادوا بهم فى رحلتهم الطويلة عائدين الى مقر قيادتهم فى (سيوة) .

داخل مركز قيادة روميل :

كانت القيادة الألمانية لجيش البانزر في شـتاء ١٩٤١ أثناء الاستعداد للهجوم الألماني تقع خلف الخطوط الألمانية في منطقـة (سيرين) الأثرية (بالصحراء الليبية) .

وفي ١٧ نوفمبر ١٩٤١ ، كانت أعاصير الشـتاء والرياح العاصفة على أشدها لبضعة أيام مضت في منطقة (بيدا ليتوريا) مصحوبة بأمطار غزيرة ..

لم يكن (شلوسنر) — رئيس الامداد والتموين لفيالق البانزر — موجودا في مركز القيادة في ذاك الوقت ، كذلك مساعده القدير كابتن (أوتو) ، حيث كان الاثنان في مستشفى (أبولونيا) ، كان الأول مصابا بالدوسنتاريا ، والثاني يعالج من حالة التهاب رئوى حاد ، أما روميل فقد كان قد غير مكان قيادته الشخصية في آخر أغسطس الى مستعمرة (عين الغزالة) — التي تبعد ٤٠ ميلا غربي طبرق — ثم نقله للمرة الثانية الى (جمبوت) — بين طبرق والبردية — وترك مقر قيادته في (بيدا ليتوريا) لرئاسة الامداد والتموين (وهكذا لم تكتشف المخابرات البريطانية المقر الجديد لروميل) .

ونتيجة لذلك ، فقد كان الكابتن (ج . ريتر) في تلك الليلة هو قائد مقر القيادة الالمانية في (بيدا ليتوريا) في نوفمبر ١٩٤١ ، كما كان (بسكول) هو نائبه في المقر بينما جلس باقي أفراد مركز القيادة من ضباط ومراسـلات راكبين وسائقو الدبابات في المبنى المظـلم (الذى كان قبل الحـرب مبنى للبلدية) يستمعون الى اصوات المطر المنهمر (١) ..

الأشباح يصلون في غواصتين :

وقبيل منتصف الليل ، انسحب كل الى غرفته في الطابق الأرضي أو الأول حيث راح الجميع في نوم عميق ، لم تكن هناك حراسة مشددة لمقر القيادة ، « ما جدواها في مكان بعيد كل هذا البعد عن خطوط القتال ؟ »

كان أحد رجال الشرطة العسكرية يقوم بأعمال المراقبة في الممر السفلي ، مسلحا بسونكي فقط ، بينما كان الجندى (ماتي بوكسهامر) يقوم بأعمـال الحراسة الليلية في خيمة الحراسة ، حيث كانت التعليمات التي لديه تسمح له بأن يرقد على فراشه بعد منتصف الليل .

وفي الوقت الذى كانت فيه (بيدا ليتوريا) تبدو هاجعة نائمة ، كانت هناك أشـباح سوداء ، دهنوا وجوههم باللون الأسود ، ويرتدون ملابس الميدان البريطانية ، يتربصون بين شجيرات والأعشاب على المرتفعات القريبة ،

---

(١) يوميات الحرب الالمانية — برلين — ١٩٥٥ .

وقبل منتصف الليل بعشر دقائق ، والرعد يرعد بشدة أطفئت آخر أضــواء (بيدا ليتوريا) ..

كان هؤلاء الأشباح المختفين فى غابة السرو الصغيرة ، قادمين من رحلة بعيدة بعد أن انزلتهم الغواصتان البريطانيتان (توربى) و (تالزمان) ليلة ١٥ نوفمبر ١٩٤١ فى خليج صغير مهجور على ساحل برقة ، وقـــد كانت التعليمات لديهم : قتل أو أسر روميل ـ قبل شن الهجوم البريطانى باثنى عشر ساعة فحسب !

يقول تشرشل (١) :

«لكى نشل العقل المفكر للعـــدو ، ومركز أعصـــابه فى أحرج اللحظات ، نقلنا بالغواصات ٥٠ مقاتلا من الفدائيين الأسكتلنديين تحت قيادة الكولونيل (ليكوك) الى نقطة على الساحل الليبى تبعد مائة ميل خلف خطوط العدو ، وتمكن ٣٠ منهم من الوصول الى الشاطىء رغم الأمواج العاليـــة ، حيث كونوا جماعتين احداهما لقطع المواصلات السلكية والتلغرافية ، والأخرى بقيادة الليفتنانت كولونيل (كيز) ـ ابن الأميرال (كيز) لمهاجمة مقر روميل ومحاولة القضاء عليه » .

كان كل شيء قد تم تخطيطه ، فى مكتب أميرال الأسطول سير (روجرز كيز) (٢) **الذى كان يقود عمليات الفدائيين وجماعات الاغارة البريطانية ، تم اختيار ٥٣ فردا من بين مائة ضابط وجندى مارسوا التدريب الشاق فى لندن لأسابيع عديدة ، اختارهم الميجر (كيز) من أصلبهم عودا ، وكان قائده الثانى الكابتن (كامبل) يتحدث الألمانية والعربية بطلاقة .**

وفى مســاء ١٥ نوفمبر ١٩٤١ ، نزلوا على شاطىء برقة أثناء عاصفة هوجاء ، كانت الأمواج العالية تزمجر فوق الغواصة (توربى) التى أخــذت تتأرجح فى المياه كعلبة من الكبريت لتنقلب قوارب المطاط مرات عديدة ، وفى كل مرة كانت تتم عمليات الانقاذ ، وأخيرا أمر (كيز) الرجال بالتمسك بحبال القوارب مع المناضلة للوصول الى الشـــاطىء ، ونجحت المجموعة بقيادة ميجر (كيز) و ٢٢ من رجاله من الوصول الى الشاطى ..

---

(١) Churchill. Winston. The Second World War, London, 1951.

(٢) سير روجرز كيز : قاد الهجــوم البحرى البريطانى الجرىء على قاعــدة الغواصات الألمانية بميناء (اوستند) عام ١٩١٨ واغلق الميناء بواسطة سفن محملة بالإسمنت المسلح ، واصاب البحرية الالمانية بضربة قاصمة ، وكان يتوق لتكرار هذا النجاح عام ١٩٤١ .

أما بالنسبة للغواصة الثانية (تلزمان) فقد ساءت الأمور بالنسبة للمجموعة تحت قيادة الكولونيل (ليكوك) ، غرق رجلان ، بينما عاد الى الغواصة عدد كبير من الفدائيين بسبب هذا الصراع العنيف ضد الأمواج ، فلم يصل الى الشاطىء منهم سوى سبعة رجال فحسب ، وهكذا انخفضت قوة الفدائيين الى النصف ، لذلك كان قرار ميجر (كيز) أن يقتصر عمل القوة على خطف روميل فقط (مع اهمال الشق الثانى من المهمة وهو قطع الاتصالات التليفونية والتلغرافية) .

٣ ضباط و٢٥ جنديا يرتجفون من البرد ! :

بقى الكولونيل (ليكوك) ومعه ٣ رجال فى الخلف عند نقطة الانزال على الساحل لستر عملية عودة الفدائيين بعد انتهاء العملية ، بينما اتجهت باقى القوة وعددها ٣ ضباط و ٢٥ جنديا الى الصحراء سيرا على الأقدام ، وهم يرتعدون من البرد نتيجة ابتلال ملابسهم وبرد الصحراء الشديد فى تلك الليلة .

الاعرابى « جون هزلدين » !

وبعد مسيرة ١٥ دقيقة ، كان هناك اعرابى فى انتظارهم ، هذا الاعرابى هو الليفتنانت كولونيل (جون هزلدين) — الضابط فى قوة مجموعة الصحراء بعيدة المدى (وكان منذ مدة يعيش كاعرابى متخفيا فى زى بدوى) —

شرح لهم (هزلدين) الموقف والطريق الى مقر قيادة (روميل) ، ثم أعطى ميجور (كيز) ثلاثة من المرشدين العرب ، وهكذا سارت المجموعة فى طريقها . .

ضحايا لخطأ جسيم :

وفى ليلة ١٧ نوفمبر ١٩٤١ وقف (كيز) ورجاله فوق التلال الرملية بالقرب من (بيدا ليتوريا) ليحددوا موقعهم واتجاههم ، فى الأمام مباشرة كانت الأكواخ الخشبية ، وبعدها بمسافة قليلة غابة السرو ، وفى الوسط تقع المبانى الحجرية الضخمة — هدفهم المنشود — حيث يعمل وينام الهدف : روميل . . طبقا لمعلومات ادارة المخابرات البريطانية ، والتى تأكدت بواسطة معلومات (جون هزلدين) من عملائه فى الصحراء .

كان (كيز) ورجاله على ثقة تامة من هذه المعلومات ، ولكن الجميع كانوا ضحايا لخطأ جسيم ، وليس من العسير اكتشاف سبب هذا الخطأ الذى وقعت فيه المخابرات البريطانية .

ففى آخر يوليه ١٩٤١ تقلد الجنرال روميل قيادة فيلق البانزر الأفريقى (الذى كان حديث الانشاء وقتذاك) ـ وكانت القيادة العامة تعسكر فى منطقة (بيدا ليتوريا) روميل، ورئيس أركانه الميجر جنرال (جوس) كذلك الجنرال (وستفال) وأركان حرب العمليات، فى مبنى البلدية السابق وعدة مبان اخرى مجاورة، وضعت عليها الوظائف لتمييزها بواسطة اللافتات التى وضعت على الأبواب مثل (القائد العام ـ اركان حرب عمليات رقم ١ ـ اركان حرب التخطيط .. الخ) وكانت هذه اللافتات معروفة بالنسبة لادارة المخابرات البريطانية (ويعتقد ان العملاء البريطانيين قد التقطوا صورا فوتوغرافية للمبانى واللافتات)

هل قام الأعراب بخداع الانجليز عمدا ؟ :

ان التساءل الذى يفرض نفسه الآن .. وبعد ان غير روميل مركز قيادته مرتين كما تقدم، منذ آخر يوليه ١٩٤١، يتركز فيما يلى : هل خدع العملاء العرب البريطانيين عن عمد ؟، وكيف لم يخبروهم بنبأ انتقال روميل الى مقره الجديد مرتين ؟

على الرغم من ميلى الشخصى الى تاييد هذا الاحتمال، الا انه ليس هناك من الوثائق ما يدعم ذلك، وعليه فسيظل هذا رأيا شخصيا ..

على اية حال، كان هناك اقتناع تام فى كل من القاهرة ولندن بوجود روميل فى مبنى القيادة فى (بيدا ليتوريا)، ذلك الأمر الذى تصفه الوثائق البريطانية بأنه «كان خطأ مؤسفا».

اما الميجر (كيز) ـ قائد قوة الاغارة ـ فقد كان سعيدا بطبيعة الحال لوصوله الى هدفه حيث لم يكن يعلم هذا الخطأ، كان قد ترك رسالة وداع لوالده اميرال الأسطول البريطانى قبل قيامه بمغامراته كتب فيها : اذا نجحت الاغارة، تكون بريطانيا قد تقدمت خطوة للامام وهو أمر يستحق الكثير حتى لو فقدت حياتى فى سبيله».

النجدة ! :

انهمرت الأمطار بغزارة، وكأنما كان الرعد والبرق هما الموسيقى المصاحبة لهذه المغامرة .. وفى منتصف الليل بالضبط، كان ميجر (كيز) يشرح لرجاله اللمسات الأخيرة للهجوم .. كان عليه هو و (كامبل) والرقيب (تيرى) وستة أفراد آخرين الزحف الى مدخل مبنى البلدية، بينما يقوم ثلاثة آخرين بالدوران حول المبنى للوصول الى الباب الخلفى أما الحارس

الألمانى الذى كان يقف فى منتصف فتحة الباب الأمامى ، فقد كان على الرقيب (تيرى) أن يقتله بخنجره ، الا ان الجندى تحرك مصادفة ، فأخطأ الخنجر طريقه اليه ، وفى لمح البصر اشتبك الاثنان فى صراع عنيف فى الممر .

وصاح الجندى الألمانى : النجدة ! .. ولكن أصوات الرعد والمطر أضاعت صياحه كما غطت على أصوات تدمير محطة توليد الكهرباء والتى كانت تبعد نحو ٣٠٠ خطوة من المبنى .

لم يتمكن المغيرون خلال الاشتباك الذى دار فى الممر الضيق من استخدام رشاشاتهم التومى ، حاولوا خنق الحارس واسكاته ، ولكن الجندى الألمانى كان قوى البنية ودافع عن نفسه ببسالة ، ليسقط فى النهاية وهو يصرخ أمام الباب الأول .

لقائد الاغارة : خمس رصاصات ! :

ان « دزموند يونج » ــ الكاتب البريطانى الذى كتب قصة حياة روميل ، يعطينا وصفا أكثر تفصيلا فى كتابه عن الاغارة على مركز قيادة روميل ، الا انه كذلك لم يتمكن من تفسير عدم معرفة المخابرات البريطانية بمكان وجود روميل الحقيقى ، أما أكثر الروايات دقة عن هذه العملية والتى نشرت حتى الآن ، يمكننا معرفته مما جاء فى مجلة (للرجال فقط) ــ عدد يناير ١٩٥٧ ــ والتى استمدت معلوماتها من مناقشة الأحياء من أبطال المغامرة من الجانبين : البريطانى والألمانى بعد انتهاء الحرب ، وبحسب ما جاء بها ، فقد نادى (كامبل) ــ الذى يتحدث الألمانيــة ــ الحارس الألمـانى ، الذى ما أن خرج ليرى من الهاتف ، حتى أطلق عليه (كيز) الرصـاص ، ثم قفز (كيز) **و (كامبل) و (تيرى) فوق جثة القتيل وأداروا مقبض باب الحجرة الأولى وفتحوه ليواجههم ضوء يعمى الأبصار ، فاخذ الضباط الألمان الذين كانوا يجلسون حول المائدة يحملقون بدهشة نحو هؤلاء (المتطفلين) ، ودون اى كلمة ، حصد (كيز) رقاب اقدر الرجال فى الفيلق الألمانى برشاشه التومى ، ثم اتجهوا نحو الغرفة التالية ليفتحوا بابها عنوة ، ولكن الظلام ساد المبنى فجاة ، فقابلتهم نيران مركزة من مسدسات الضباط الألمان ، وهنا أصيب ميجر (كيز) برصاصات خمسة ، ليقفز (تيرى) للامام ويطلق عدة دفعات من رشاشه فى الحجرة وخارجها .**

وادرك (كامبل) أن ميجر (كيز) قد أصيب اصابة قاتلة ، وأنه هو كذلك قد أصيب في ساقة (١) ، لذلك سلم القيادة للملازم (كوك) الذى كان عليه مهمة قيادة المجموعة ليعود بهم الى الشاطىء .

٤٠ دقيقة أنقذت روميل ! :

وطبقا لرواية مجلة (للرجال فقط) ، فالمعتقد أن أربعة ضباط من هيئة الأركان الألمانية قد قتلوا ، وأصيب عدد أكبر ، أما روميل ، فكان قد غادر (بيدا ليتوريا) الساعة ٨٣٠ مساء نفس اليوم — ١٨ نوفمبر — لحضور حفل زواج أحد الشيوخ ليعود ثانية بعد منتصف الليل بأربعين دقيقة ، ليقوم بمناقشة أخيرة مع مدير الامدادات والتموين فى موقف الامداد للمعركة . اى أنه عاد بعد الاغارة بنحو نصف ساعة فقط أنقذت حياته !

وهكذا انتهت المغامرة الكبرى بالفشل نتيجة لظروف غير متوقعة ، ومقاومة أبداها بضعة أفراد من الفيلق الألمانى .. ولا يمكن التفكير فيما كان سيحدث لو كان المغيرون الانجليز قد تمكنوا من دخول مبنى البلدية فى صمت وسكون ودمروا رئاسة الامدادات والتموين تدميرا كاملا ، قبل ابتداء الهجوم البريطانى بخمس ساعات فقط عندئذ كان وضع الامداد والتموين للفيلق الأفريقى سيصبح فى موقف لا يحسد عليه على الاطلاق ..

تبقى نقطة أخيرة فى هذه المغامرة البريطانية الفاشلة .. ..

ماذا كان مصير باقى أفراد القوة ؟ :

لم يجرؤ الجنود الانجليز المنسحبين ، بعد أن فقدوا قائدهم ونائبه ولم يقتلوا روميل ، على العودة مباشرة الى الغواصة التى كانت تنتظرهم ، خوفا من تعقبهم بواسطة قوة ألمانية كبرى قد ترسل للبحث عنهم ، لذلك فقد قاموا بالاختباء لدى الأعراب ، وحين خرجت القوة الألمانية — الايطالية فجر

---

(١) يروى الطبيب الجراح الألمانى دكتور (جنج) قصته مع (كامبل) فيكتب :

« لقد تلقى الكابتن (كامبل) طلقة فى ساقه من رشاش تومى او من مسدس قريب هشمت تماما عظمة الساق من وسطها ، ولم يصب بجراح أخرى ، وكان من الصواب بتر الساق طالما ان احتمالات الشفاء كانت ضعيفة جدا ، أما خطر الالتهاب فقد كان عظيما ، ولكن بناء على طلب الكابتن لم اقم ببتر ساقه ، وحاولت انقاذها ، ولما كنت اتحدث الانجليزية بطلاقة ، فقد امرت باستجوابه ولم يحاول انكار اجادته للغة الالمانية ، ولم يكشف (كامبل) عن آية معلومات بل على العكس قام بالتوقف عن المناقشة قائلا لى بالالمانية : لا داعى للمحاورة فلا يمكنك ان تستخلص منى اية معلومات لقد ابقيت الأسير البريطانى فى الجبس لمدة اسبوعين فى المستشفى حتى حان الوقت الذى كان ينبغى فيه اخلاء درنة ، فارسلت الكابتن جوا الى احد المستشفيات الايطالية ، لقد كان (كامبل) رجلا لطيفا ، وكطبيب يهمنى أن أعرف ان كانت ساقه قد انقذت أم لا ؟ » .

اليوم التالى للبحث عنهم ، وقامت بتفتيش دقيق لكافة المنطقة المجاورة لعدة أيام ، لم يمكنها استخلاص أية معلومات من الأعراب عن أفراد القوة البريطانية .

وبعد عدة أيام قبض على أول جندى بريطانى فى نفس الكوخ الذى كانت الشرطة العسكرية قد فتشته منذ وقت قصير ، كان يرتدى ملابس الأعراب ، وما لبث باقى الفدائيين الانجليز أن وقعوا فى أسر الألمان ، ولم ينجح فى الافلات منهم سوى الرقيب الداهية (تيرى) الذى تمكن من تدبير هروبه مع رجلين حيث وجد طريقه الى الخطوط البريطانية .

دفنوا جنبا الى جنب :

لم يعامل الأسرى معاملة العملاء ، (لأن معنى ذلك كان اعدامهم رميا بالرصاص) حيث أمر الجنرال روميل ــ بعد أن حصل على تصديق من هتلر شخصيا بذلك ــ بمعاملتهم كاسرى حرب ، ودفن قائد الاغارة (ميجر كيز) فى مقبرة (بيدا ليتوريا) مع الأربعة الألمان القتلى الذين شيعوا فى جنازة عسكرية ! .

الفصل الخامس

- الصراع من أجل طبرق
- روميل : عناد الانجليز !
- التهام المدرعات البريطانية بالقطاعى !!
- كيف وقع الانجليز فى الفخ ؟
- ۹۰۰۰ اسير بريطانى و ۳ جنرالات !

معارك نوفمبر ۱۹٤۱

لم ينجح أحد !

الصراع من اجل طبرق

فى فجر الثامن عشر من نوفمبر ١٩٤١ ، بدات وحدات الجيش الثامن البريطانى المكونة من مائة الف جندى فى التقدم غربا فى اتجاه الحدود الليبية للدخول مع قوات روميل فى معركة فاصلة (التى عرفت فى التاريخ العسكرى باسم الكروسيدر) وبينما واصلت المدرعات البريطانية تقدمها حتى الليل ، كانت القوات الألمانية تنسحب امامها فى هدوء نحو الغرب ، كان من الواضح أن ثعلب الصحراء يستدرج الجيش الثامن ، على حين لم تتمكن عناصر الاستطلاع البريطانية من اعطاء أية معلومات عن نوايا روميل الذى كان يقوم فى الوقت نفسه باعادة تجميع فرقتيه المدرعتين استعدادا القيام بضربة مضادة ساحقة !

رجل لا يستجيب للاغراء ! :

وبعد ثمان واربعين ساعة من مواصلة تقدم الجيش الثامن غربا ، لم يتمكن « كننجهام » من اغراء روميل بالدخول فى المعركة (١) ، وبذلك أضيفت الى هموم القائد البريطانى هما جديدا ، تمثل فى حيرته وفشله – وفشل مخابراته كذلك – فى اعطاء تصور واضح عن رد الفعل الألمانى وطبيعته ! .

طبرق : مفتاح الموقف :

كانت طبرق هى الهدف الذى لم يرفع روميل عينيه عنه قط منذ بدأت المعركة فهو لم ينس بعد محاولاته المتتالية للاستيلاء عليها فى ابريل ١٩٤١ ، والتى باءت جميعها بالفشل (نتيجة التفوق العددى للبريطانيين وسوء

---

(١) يعلق المؤرخ العسكرى البريطانى (سير ليدل هارت) على موقف القوات المتضادة فيقول : كانت القوة البريطانية المهاجمة مكونة من ٧ فرق بما فيها حامية طبرق نفسها فى مقابل ٣ فرق المانية و ٧ فرق ايطالية ، غير ان المقارنة الحقيقية تتضح من قوة المدرعات والطيران ، سلاحى حرب الصحراء الحاكمين فقد كان لدى البريطانيين ٥ لواءات مدرعة مقابل لواءين مدرعين لدى روميل ولواء ايطالى (٧٢٤ دبابة + ٢٠٠ احتياط) مقابل ٤١٤ لدى روميل منها ١٥٤ ايطالية عديمة القيمة كذلك ٥٠ تحت الاصلاح ولم يكن لديه احتياط على الاطلاق .

اما بالنسبة للقوات الجوية ، فكان التفوق الجوى للانجليز عظيما جدا (١١٠٠ طائرة فى مواجهة ١٢٠ المانية و ٢٠٠ ايطالية) .

موقف روميل الادارى من حيث الامدادات ، الى جانب البسالة الرائعة التى أبدتها الفرقة الاسترالية داخل طبرق فى الدفاع) .

وبذلك ظلت طبرق هى الشوكة القوية (مثل كعب أخيل) فى ظهر روميل وفى ذات الوقت ، كان احتفاظ الجيش الثامن بها يحرم الألمان من ميناء مناسب لتزويد الفيلق الأفريقى بالامدادات والأسلحة ، واخيرا فقد كانت طبرق فى ذلك الحين تمثل هيبة العسكرية البريطانية فى مسرح القتال الوحيد الذى كان مشتعلا والذى كانت أنظار العالم بأسره منسلطة عليه .

على طبرق يتوقف مصير الحرب :

وهكذا كان مصير الحرب فى شمال افريقية متوقفا ـ فى نوفمبر ١٩٤١ ـ على مدى نجاح الجيش الثامن البريطانى فى الاحتفاظ بطبرق ، لمنع روميل من الوصول الى دلتا النيل ، وعلى الجانب الآخر ، فقد كان استيلاء روميل على تلك القلعة الصامدة بما فيها من مستودعات ضخمة للتموين والذخائر ، يمثل ـ الى جانب الأثر العسكري ـ ضربة معنوية قاتلة للامبراطورية البريطانية .

تشرشل : طبرق تمنع روميل من دخول مصر :

يؤكد ما نذهب اليه هنا ، ما دونه « ونستون تشرشل » فى مذكراته عن طبرق وجاء فيه :

« وعلى بعد ٧٠ ميلا من مؤخرة روميل ، كانت توجد حامية طبرق المشكلة من ٥ مجموعات الوية ، ولواء مدرع .. وكانت هذه القلعة هى شغل روميل الشاغل ، حيث كانت بموقعها الأستراتيجى تحول دون توغله فى عمق الأراضى المصرية . »

« ولهذا فقد أبرقت الى الجنرال « أوكنلك » بالقاهرة ، أؤكد له على أهمية الاحتاظ بطبرق بأى ثمن ، قلت له فيها :

« لقد سررنا لتأكيدك لنا بأنك لا تعتزم التخلى عن طبرق ، وقد فهمت وزارة الحرب من برقيتك ، أنك تعنى أن الجنرال (ريتشى) سيترك ـ اذا اقتضى الأمر ـ قوات كافية للدفاع عنها بكل قوة وحزم . »

روميل يصف مناعة طبرق :

ويعطينا الجنرال روميل ، وصفا لدفاعات طبرق (١) ، يقول فيه :

« كانت طبرق تعد حصنا من امنع الحصون فى شمال افريقية بأسرها ، كما كانت بها حامية بريطانية تميزت بالشجاعة والعناد ، مما سبب لنا متاعب جمة ، والمدينة يحدها من الشرق والغرب أراض صخرية وعرة ، تمتد فى الجنوب لتصبح سهلا رمليا منبسطا ، وكانت قد حصنت بقوة كبيرة من الجنود الايطاليين (قبل استيلاء أوكونور عليها عام ١٩٤٠) تحت قيادة الماريشال (بالبو) الذى وضع فى حسبانه كل الوسائل الحديثة لمنع اختراق دفاعاتها الحصينة للغاية ،

كانت المواقع الدفاعية العديدة الموجودة فى النطاق الدفاعى حول الحصن الرئيسى مدفونة تحت الأرض بحيث يتعذر اكتشافها ، كما كان كل موقع دفاعى مكونا من خندق تحت الأرض أو نفق يؤدى الى مرابض الرشاشات الثقيلة والمدافع المضادة للدبابات ، وكانت هذه المدافع والرشاشات تحبس نيرانها حتى اللحظات الأخيرة ، ثم تبدأ فى صب نيرانها القاتلة على قواتنا المهاجمة ، فى الوقت الذى كانت فيه مدفعيتنا لا تتمكن من قصف تحصينات طبرق بالضرب المباشر ، بالنظر الى عدم وجود اية علامات مميزة يمكن التنشين بمساعدتها .

كما كان كل موقع محاطا بخندق مضاد للدبابات ، وموانع الأسلاك الشائكة العميقة المتتالية ، يضاف الى ذلك أن كل المنطقة المحصنة كانت محاطة بأسرها بخندق عميق مضاد للدبابات كذلك ، وخلف النطاق الخارجى لكل هذه الدفاعات ــ التى كانت عميقة ومكونة من خطوط متتالية ــ كانت توجد حشود ضخمة من المدفعية البريطانية والمواقع الدفاعية والنقط القوية المحاطة بحقول كثيفة من الألغام . »

التهام المدرعات البريطانية بالقطاعى ! :

كانت خطة روميل فى معارك نوفمبر ١٩٤١ تعتمد على تدمير القوة الضاربة المدرعة البريطانية مع الاستيلاء على طبرق ، وبذلك يصبح الطريق امامه مفتوحا ــ دون عائق ــ الى الدلتا . فبالنسبة للمدرعات قرر تجميع كل تشكيلاته المدرعة فى أعظم حشد ، ثم القيام بمهاجمة العدو لتدمير مدرعاته متفرقة بأسلوب ما يسمى بالـ Piece Meal

وعلى ذلك فقد دارت المعارك بعنف بالغ بين قوات البانزر الالمانية تحت القيادة المباشرة لروميل ــ حين قام بمهاجمة التشكيلات المدرعة

---

(١) مذكرات روميل ــ تعريب العقيد فتحى النمر ــ مكتبة الانجلو المصرية ــ القاهرة ـ

البريطانية بجرأة مذهلة ، ليحدث بينها ارتباك عظيم ، حيث خسر اللواء ٢٢ المدرع معظم دباباته مما اضطره للانسحاب جنوبا ، وهكذا سقط مطار (سيدى رزق) فى يد روميل ، أما اللواء الرابع المدرع ، فقد لازمه سوء الحظ كذلك ، حين قام روميل بمفاجأة مركز قيادته فى الظلام : فأسر معظم أفراد قيادته ومواصلاته اللاسلكية وسط الدبابات التى اشتعلت فيها النيران : وبذلك فقد اللواء البريطانى عقله المفكر وأجهزة سيطرته ، لتبقى دباباته المائة خارج المعركة .

وقع الانجليز فى الشرك :

وهكذا وقعت القيادة البريطانية فى الشرك الذى نصبه لها روميل بدهاء ، حيث ظلت تدفع بلواءاتها المدرعة الى القتال فى وحدات منفصلة (١) ، الأمر الذى مكنه من تحقيق سلسلة من الانتصارات الساحقة فى معارك مدرعات مثالية ، انتهت به الى تحقيق انتصار عظيم فى أكبر معارك الدروع الصحراوية ، حين تمكن من تدمير كل الدبابات البريطانية (تبقى منها مساء يوم القتال ٤٤ دبابة فقط !) ، حتى أصبح الوادى الفسيح جنوب « سيدى رزق » يمثل بحرا من الغبار والدخان والنار ، لتصبح الرؤية متعذرة تماما فى ساحة القتال الواسعة ،

الأمر الذى يصفه الجنرال (فريتز بايرلين) — رئيس أركان روميل — بقوله :

« تمكنت بعض الأعداد القليلة من المدرعات البريطانية والمدافع من الافلات ولكن ظل الجزء الأعظم منها داخل حلقة الحصار لقواتنا المدرعة ، وفى المساء ، كان ميدان القتال قد أصبح مضاء بنيران مئات العربات والدبابات البريطانية والمدافع المحترقة ، كما كانت أهم نتائج قتال هذا اليوم ، تتمثل فى قضائنا على التهديد البريطانى المباشر لجبهتنا حول طبرق ، الى جانب ما قمنا به من تدمير الغالبية العظمى من مدرعات العدو ، والقضاء على روحه المعنوية ، وذلك بافشالنا لخططه بالكامل » .

روميل قدر خسائر الانجليز بدقة :

فى مساء نفس اليوم ، قدر روميل — نتيجة لقتال يوم ٢٢ نوفمبر — خسائر البريطانيين بدقة بمائتى وسبعة دبابات ، الأمر الذى دفعه الى

---

(١) قامت القيادة المصرية فى معركة اكتوبر ١٩٧٣ المجيدة ، باستدراج المدرعات الاسرائيلية بنفس الاسلوب ، لتدمرها جزءا جزءا وبذلك أوقعت القيادة الاسرائيلية فى فخ الحائط المضاد للدبابات .

التفكير في تتويج انتصاره بمهاجمة بقايا المدرعات البريطانية فى اليوم التالى وبأقصى حشد ممكن لسحق القوة الضاربة للجيش الثامن بصفة نهائية .

ولكنه فشل فى اقتحام طبرق ! :

اما بالنسبة لمحاولات روميل المتعددة لاختراق دفاعات طبرق والاستيلاء عليها ، فقد دارت المعارك بعنف بالغ كادت فيها بعض وحدات البانزر المدرعة من النجاح الا أن البسالة التى دافعت بها حامية القلعة الصامدة ، والفشل المتتالى الذى لازم قوات روميل فى اقتحام المدينـــة المحصنة ، اجبره على التخلى عن فكرة الاستيلاء عليها مع الاكتفاء باستمرار حصارها (١) .

ونقرأ فى خطاب للعريف (جونثر) ــ حارس روميل الخاص ــ أرسله لزوجته خلال المعركة ، ختام المحاولة الثانية لاقتحام طبرق ، جاء فيها :

« وهكذا ، وبالنظر الى التفوق العــددى الكبير الذى كان يتمتــع به العدو ، علاوة على حالة الارهاق التى وصلت اليها قواتنا ، قرر الجنرال روميل التخلى عن محاولة اقتحام طبرق ، مع القتال فى معركة للانسحاب الى مواقعنا فى الغزالة (١) ، كان قراره مؤلما لنا جميعا ، لأن قواتنا قد قاتلت ببسالة ، وكبدت البريطانيين خسائر فادحة للغاية ، ولكن البقاء أكثر من هذا أمام طبرق كان سيؤدى الى دمار فيلقنــا تدريجيــا ، والذى لم تكن تصله أية امدادات من المانيا أو ايطاليا الأمر الذى كان سيؤدى فى النهاية الى ضياع ليبيا كلها . »

ذكريات الفشل الأليمة :

اننا نلاحظ المرارة التى انتابت قوات البانزر فى الفشل الذى لازمهـا خلال ربيــع ١٩٤١ بالنسبة للاســتيلاء على طبرق من مذكرات الجنرال « فريتز بايرلين » ــ رئيس أركان روميل ، يقول :

« لقد فشلنا فى الاستيلاء على طبرق فى هجمات ابريل الماضى رغم كل المجهودات التى بذلناها ، وكان ذلك سيعطينا ميناء طيبا للامداد والتموين

---

(١) جاء فى يوميات الحرب البريطانية عن محاولات روميل اقتحام طبرق وفشله فى ذلك : « قامت المدفعية البريطانية بجميع آلاياتها (الموجودة داخل طبرق) بصد الهجوم تلو الهجوم، أثنــاء تعرضهــا لقصف مدفعيــة روميل وقصف طيرانه ونيران رشاشاته ، لكنها استمرت فى القتــال بشراسة بالغة ، كانت المدفعية البريطانية أفضل الأسلحة تدريبا وقيادة ، وقد أثبت هؤلاء الرجال كفاءتهم العظيمة فى المعركة » .

بالقرب من الجبهة ، حيث كانت (بنى غازى) تبعد عن طبرق نحو ٣٠٠ ميل وعن طرابلس ألف ميل أخرى ، أما البريطانيون فقد قدروا طبرق بقيمتها الحقيقية ودافعوا عنها دفاعا مستميتا ، وكان الموقف العسكرى فى الجبهة خلال هجوم الشتاء سيتحدد بناء على الطرف الذى يستولى على تلك القلعة ، لأن العدو لو هاجم من مصر وطبرق فى وقت واحد لأصبح موقفنا حرجا للغاية حيث كانت جبهتنا محددة بالبحر المتوسط من الغرب، والسلوم من الشمال وطبرق من الخلف » .

جنرال الجيش الثامن خارج الصورة ! :

واذا انتقلنا الى مقر قيادة الجنرال (كننجهام) ـ قائد الجيش الثامن البريطانى ـ فقد كان وجوده فى الخلف (على عادة الانجليز) سببا فى اعتقاده بأنه فى الطريق لاستكمال ترتيبات النصر ! ، الا أنه حينما وردت اليه التقارير من الخطوط الأمامية ، أدرك على الفور أنه وسط كارثة حقيقية !

فقد أنبأته التقارير أن اللواء السابع المدرع الذى دخل المعركة بمائة اثنين وتسعين دبابة ، خرج منها بعد ساعات (٢٠ ساعة) بدون دبابة واحدة ! ، وأن اللواء ٢٢ المدرع الذى دخل المعركة بمائة وثمان وخمسين دبابة لم يتبق لديه فى المساء منها سوى ٣٠ دبابة ، أما اللواء الرابع المدرع (الذى دمر روميل قيادته ليلا) ، فلا معلومات عنه اطلاقا .

يعلق الجنرال « كننجهام » على ذلك الموقف فى مذكراته قائلا :

« كان الهدف الرئيسى لى ينحصر فى تدمير مدرعات روميل ، لقد دخلت المعركة بهذا الهدف ، فاذا بى أفقد ونبلة تحقيقه ، ففى ليلة واحدة يتضح من موقف مدرعاتى أنه لم يبق منها سوى ٤٤ دبابة صالحة للقتال ! »

على أية حال ، فقد كانت مأساة يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٤١ تحمل معان عميقة جدا ـ أكثر من كونها مجرد معركة فاشلة ـ دفع الجنرال «كننجهام» ثمنا باهظا لها من مستقبله العسكرى .

روميل أيضا فى مأزق ! :

يكتب « أوكينلك » فى يوميات الحرب البريطانية عن مقابلته لكننجهام وسط هذا الموقف المضطرب :

« ان فكرتي كانت تختلف تماما عن قرار « كننجهام » (١) ، كنت أعتقد ان روميل أيضا في موقف قتالي سيىء ، كموقفنا تماما ، خاصة وان (طبرق) لا زالت كالشوكة في ظهره ، لذلك أمرت بالاستمرار في الهجوم ونبذ فكرة الانسحاب أو الدفاع . . كنت أقامر بذلك ، اذ قد نفقد كل شيء ، وكان من الممكن في هذه الحالة أن يكون « كننجهام » على حق ، وأنا المخطىء » .

وبالرجوع الى يوميات الحرب الألمانية ، يتضح لنا أن استنتاج ((أوكينلك)) كان سليما تماما ، فيما يختص بضعف موقف روميل ، حيث كانت قوته المدرعة قد انخفضت الى مائة دبابة فقط ، كما كان جيشه كذلك في حالة شديدة من الفوضى ، والانهاك .

بعيدا عن مخالب روميل ! :

ويعلق المؤرخ العسكري البريطاني الشهير (سير ليدل هارت) على فقدان الجنرال كننجهام ـ قائد الجيش الثامن البريطاني ـ لمعظم مدرعاته خلال القتال الذي دار ضد قوات البانزر حول طبرق بقوله :

((لقد أوشكت قيادة روميل البارعة على حسم المعركة ، حيث أثرت ضرباته على نفسية الجنرال كننجهام وقواته تأثيرا بالغا في فالهزيمة الساحقة التي تعرضت لها مدرعاته حول ((سيدى رزق)) أدت بالفعل الى تفكير كننجهام ـ يوم ٢٣ نوفمبر ـ في التخلي عن الهجوم وايقاف المعركة والانسحاب الى الحدود المصرية لاعادة تنظيم قواته التي تبعثرت بعيدا عن مخالب روميل ، حيث كان القائد البريطاني يخشى من المخاطرة بالقضاء على جيشه بالكامل ، الا أن ميله هذا للانسحاب واتخاذ موقف الدفاع لم يرض ((أوكنلك)) الذى وصل الى ميدان القتال جوا من القاهرة في اللحظة المناسبة ، ليقوم بعزل كننجهام من القيادة ويعين الجنرال ((ريتشي)) بدلا منه .

٩٠٠٠ اسير بريطاني و ٣ جنرالات ! :

وفي الأول من ديسمبر ١٩٤١ أرسل روميل تقريره الى القيادة الألمانية العليا بنتيجة القتال ، والذى جاء فيه :

((خلال القتال العنيف الذى استمر ما بين ١٨ نوفمبر والأول من ديسمبر ، امكن لنا تدمير ٨١٤ مركبة قتال مدرعةللعدو واسقطنا له ١٢٧

(١) كان الجنرال ((كننجهام)) قائد الجيش الثامن البريطاني قد قرر أن يتحول من الهجوم الى الدفاع عقب تدمير روميل لمدرعاته على هذا النحو .

طائرة ، ولم نقم بعد باحصاء كل الغنائم من الأسلحة والذخائر والعربات ، ولكن عدد الأسرى يزيد على ٩٠٠٠ بينهم ثلاثة جنرالات . »

رسول من الدوتشي ! :

وفى منتصف يوم ٥ ديسمبر ١٩٤١ ، وصل ضابط من هيئة أركان حرب القيادة العليا الايطالية ، أوفده موسولينى بنفسه الى روميل ، وأخطره بألا يتوقع أية نجدات أو تدعيم قبل يناير ١٩٤٢ ، تلك الأنباء التى علق عليها روميل بقوله « وبالطبع لم تساهم مثل هذه المعلومات فى رفع روحنا المعنوية ، فى الوقت الذى نجح فيه الجنرال أوكينلك فى تدعيم جيشه بلواءين مشاة اضافيين والايين سيارات مدرعة بالاضافة الى أن الفرقة الأولى المدرعة كانت قد وصلت لتوها من انجلترا وتحركت الى منطقة السلوم حيث شرعت على الفور فى القيام بتدريبات عنيفة على حرب الصحراء . »

تعادلوا بالنقط ! :

وهكذا انتهت معارك نوفمبر ١٩٤١ بين الجانب البريطانى والألمانى نهاية مثيرة للدهشة حقا ! ..

لقد دخل الجيش الثامن البريطانى المعركة بهدف تدمير فيلق بانزر افريقية وانهاء خطر الغزو الألمانى عن مصر ، كما فعل (أوكونور) منذ عام مضى (بتدمير الجيش العاشر الايطالى) — فاذا بروميل يقوم بكسر العمود الفقرى لمدرعات الجيش البريطانى ..

أما روميل ، فقد خاض المعركة بهدف احتلال طبرق — التى كان البريطانيون يتمسكون بها بعناد وتصميم — وذلك لتأمين ظهره ، ثم الاندفاع نحو الدلتا بقواته المدرعة ، ولكنه نجح فقط فى تدمير مدرعات كننجهام ليفشل فى احتلال طبرق .. (١)

ان هذه المعركة — التى عرفت باسم (الكروسيدر) — وبطريقة الحساب بالنقط — تصبح نتيجتها النهائية : لم ينجح أحد ! !

---

(١) وصلت قوات البانزر الألمانية الى مواقعها فى الغزالة بعد فشلها فى اختراق طبرق يوم ١٢ ديسمبر ١٩٤١ دون أن يتمكن الجيش الثامن البريطانى من الحاق خسائر ذات قيمة بها أو عزل أى قسم منها .

الفصل السادس

- روميل يتوغل داخل مصر !
- عزل قائد الجيش الثامن .
- روميل يأسر جميع قادة الفرق البريطانية !
- ثعلب الصحراء داخل موقع بريطانى !

فرصة ضاعت الى الابد !

روميل داخل موقع بريطانى !

يا لمفارقات الحظ الغريبة التي تحدث في حروب الصحراء ! ..

لقد فشلت قوة الصحراء بعيدة المدى ، عقب تحضيرات معقدة ومتعددة في محاولة اختطاف أو قتل روميل في مقر قيادته بصحراء برقة في الثامن عشر من نوفمبر ١٩٤١ ، لتنتهي هذه المغامرة تلك النهاية الدرامية التي قتل فيها قائدها ودفن الى جانب قتلاه من الألمان كما رأينا ..

وبعد أقل من أسبوع واحد على هذه المغامرة الفاشلة ، في ٢٤ نوفمبر على وجه التحديد ، وفي وسط القتال الذي كان قد بدأ منذ ستة أيام بين قوات (كننجهام) وفيلق البانزر المدرع الألماني ، قرر روميل فجاة القيام بعمل مماثل للمغامرة البريطانية ولكن على مستوى أكبر : بفرقتيه المدرعتين كاملتين وبأسلوب روميل الجرىء .. تقدم في الصحراء للوصول خلف خطوط القوات البريطانية بهدف تدمير مناطقه الادارية وبث حالة من الذعر بين قياداته وقواته ، وذلك للتأثير على نتيجة المعركة التي كانت قد هدأت قليلا حتى يلتقط كل من الطرفين أنفاسه المرهقة ..

ففي صباح ذلك اليوم — ٢٤ نوفمبر ١٩٤١ — قفز روميل الى عربة قيادته ، ليصيح في اركان حرب عملياته ((ليفتنانت كولونيل وستفال)) :

((وستفال .. ساتوجه الى ((سيدي عمر)) لاقود الفرقة ٢١ بانزر الى ممر حلفاية)) (١) .

ويفتح ((وستفال)) فاه دهشة واستغرابا : سيدى .. ان المعركة على اشدها ومعي تقارير استطلاع الطيران التي تشير الى أن العدو قد اتخذ بالفعل مواقعه عند ((بير الجوبي)) ..

لم يستمع روميل الى ما قاله رئيس اركانه ، بل قام بجذب الميجر جنرال ((جوس)) الى عربته ، ليقودها بأقصى سرعة على الطريق الذي كانت القوات البريطانية تتقهقر عليه في اتجاه الحدود المصرية ..

خاطب روميل الميجر جنرال ((جوس)) قائلا ، وكأنما كان يتحدث مع نفسه أو يفكر بصوت عال :

((ساقوم بهجوم مفاجىء على الفرقة الثانية نيوزيلندية والفرقة الرابعة هندية (في منطقة السلوم) قبل أن تتمكن قوات العدو المنسحبة من الانضمام

---

(١) على الحدود المصرية — الليبية .

اليها ، ثم اعبر الحدود المصرية واهاجم ((مادالينا)) ، ثم ادمر القيادة العامة البريطانية وقواعد التموين الضخمة للجيش الثامن ، وبذلك نكون قد عزلنا الجيش البريطاني باسره عن قواعد تموينه ، ثم نقضي عليه . »

وهكذا قاد روميل الفرقتين ١٥ و ٢١ بانزر المدرعتين في اتجاه « سيدي عمر » بينما كان طيف مصر ، يتراقص في خياله ، قناة السويس .. النيل .. النصر العظيم ..

ولكن امرا واحدا لم يدر بخلده ، في تلك اللحظة .. لقد امر «أوكنشيللك» بايقاف الانسحاب البريطاني ، وبدأ يفكر في عزل الجنرال « كننجهام » والتحول الى الهجوم من جديد ..

من اين جاء الألمان ؟ :

أسرع روميل بعربة قيادته ، يتبعه أفراد اشارته ، بسرعة ٥٠ ميلا في الساعة ، حيث وصل الى « سيدي عمر » في المساء ، بوغت القادة البريطانيين .. من أين جاء هؤلاء الألمان بحق السماء ؟! ما هو هدفهم ؟

أجاب روميل اجابة عملية على الفور : دفع بالفرقة ٢١ بانزر الى « سيدي سليمان » لعزل جبهة « حلفاية » عن الشرق ، بينما قاد بنفسه الفرقة ١٥ بانزر خلال الأسلاك الشائكة في منطقة (قصر العبد) على الحدود المصرية من خلال الثغرات التي أعدها الجيش الثامن استعدادا لهجومه ، وأصدر روميل أوامره بالهجوم ..

الجثث المحترقة في كل مكان :

ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن .. لم تدر المعركة طبقا للخطة ، ويبدو أن النحس كان طالع روميل في هذا اليوم ، كانت الفرقة ٤ هندية قد اتمت حفر خنادقها الحصينة حول « سيدي عمر » قبل هجوم روميل مباشرة ، والتي كانت قواته قد وصلت الى اقصى حالات الانهاك ، ومرة أخرى تبين « وستفال » أن خطة روميل كانت اكثر جرأة وطموحا عن الحد المطلوب ..

وفشلت هذه الهجمة الالمانية ، ليتحمل الآلاي الخامس بانزر الألماني خسائر فادحة وقتل قائده الشجاع ليفتانت كولونيل « ستيفان » ، وحينما حل الظلام كان حطام الدبابات المحترقة والجثث من الجانبين يغطيان أرض الصحراء .. الصديق والعدو .. جنبا الى جنب ..

وفى ذات الوقت قاد روميل الفـرقة ٢١ بانزر شمالا لمهـاجمة الفرقة النيوزيلندية التي كانت تقوم وقتذاك باكتساح منطقة السلوم .. بينما كان على الميجر جنرال « رافنشتين » قيادة الاختراق العميق داخل الحـدود المصرية بالفرقة ٢١ بانزر بعد أن يقضي على القوات النيوزيلندية ..

فوجئوا وهم يستمتعون باشعة الشمس الدافئة ! :

على الرغم من عدم نجاح خطة روميل الطموحة لتدمير لواءات الفرقـة النيوزيلندية والهندية الا أن تقدمه الكاسح هذا ، قد سبب ذعرا هائلا بين صفوف الجيش الثامن البريطاني حيث فاجأ خلال اغارته كل من قيـادة الفيلق ٣٠ والفرقة السابعة المدرعة والفرقة الأولى جنوب أفريقية ، ثم مجموعة المعاونة السابعة ، فاللواء السابع المدرع على التوالى ، ليأسر معظم افرادها ، بينما كانوا يستمتعون بأشعة شمس ذلك اليوم الدافىء !.

وبينما اسرع الجنرال (كننجهام) قائد الجيش الثامن الى مقر قيـادة الفيلق ٣٠ لمناقشة اصرار القائد العام (أوكنلك) على مواصلة المعركة ، اذ بروميل فى طريقه اليهما ، حيث سقطت عليهم أولى قذائفه ، ركب «كننجهام» عربة قيادته ليسرع بها عبر الصحراء فى اتجـاه مهبط الطائرات وسـط انفجارات القنابل والطلقات والعربات البريطانية المذعورة ، وركب طائرته التى نجت من الاصطدام بأحد اللوارى بأعجوبة ..

وحينما وصل روميل على رأس فرقه المدرعةعلى مسافة ١٥ ميلا من القاعدة الرئيسية الضخمة للجيش الثامن البريطانى ، (والتى لم يكن يعلم مكانها بالدقة) توقف ـ ويا للحظ السيء ! ـ لقد كان تدميرها كفيلا باصابة الجيش البريطانى بكارثة جديدة لم يكن بحاجة اليها ..

وحيدا فى الصحراء .. :

وتعطلت عربة روميل وهو فى طريق عودته الى « سيدى عمر » ليلا ، للانضمام الى الفرقة ١٥ بانزر ، ليبقى ثعلب الصحراء وحيـدا فى الصحراء مع (جوس) فى وسط ساحة المعركة الواسعة ، وبصدفة عجيبة ، شاهدوا عربة (بايرلين) المدرعة ، الذى توقف ليصيح : « يالله .. روميل وحيدا فى الصحراء ! »

وضحك روميل وصاح : « خذنا معك » .. وكان يرتعد من البرد !.

فرصة ضاعت الى الأبد !

لم تصبح الأمور حسنة بعد ركوب روميل وجوس مع كرويل وبايرلين ، فقد كان الأخيرين بدون حراسة كذلك ، وهكذا اجتمع قادة قوات البانزر المدرع الآن فى عربة واحدة ، وقد انفصلوا عن باقى فرقهم !..

وفجأة شوهدت دبابات على مقربة .. كانت دبابات الفرقة ٤ هندية وكانت ضربة حظ لا تحدث كثيرا . أن العربة الألمانية — الكنز — لم تثر فضول القوات الهندية التى مرت عن يمينهم ويسارهم على بعد بضعة أمتار فحسب ..

واخيرا وصلت عربة روميل ومعه هيئـــة أركان حربه ، الى الأســلاك الشائكة البريطانية الكثيفة ، لم تكن هناك ثغرات للنفوذ منها ..

وصاح روميل : ((ياللعنة .. سأتكفل بها)) .. وأزاح الضابط المرافق له ، ليوجه السائق : يمينا .. يسارا قليلا .. ولكن فى هذه المرة خانت روميل حاسته السادسة ، قابلت عربته مجموعة من اللوارى البريطانية من طراز (دودج) فيالهـا من سخرية .. ان القـــائد الألمانى الشهير الذى يحاولون القضاء عليه بأى ثمن على مرمى حجر منهم ، ولكنها طبيعة الحروب الصحراوية ..

فى مستشفى بريطانى ! :

بعد أن عبر روميل بعض الكثبان الرمليـــة بأقصى سرعة ، وجد نفســه فجأة فى مستشفى ميدان نيوزيلندى .. لم يبد عليه أقل اضطراب .. أمر سائقه وضباط أركان حربه بالدوران حول الخيمـــة وانتظاره فى الجانب الآخر ، ليتجه بجرأة مذهلة الى داخل المستشفى ، .. مثل دور المنتصر وتصرف كما لو كانت المستشفى وما حولها من مناطق قد سقطت فى أيدى قواته ..

نادى على قائد المستشفى — البريطانى — والأطباء وأمرهم بالاصطفاف أمامه ليسألهم بلهجة الواثق ، ان كان ينقصهم أية أدوية ، ثم وعدهم بارسالها فى الحال ((حالما ينظم المنطقة التى استولى عليها !)) ، وعندما غادر المستشفى أدى له الاطباء البريطانيون التحية العسكرية ، ليرد عليهم ، ثم ينصرف ..

وبعد عشرة دقائق ، أدرك الانجليز والنيوزيلنديين ضخامة الخدعة التى انطلت عليهم حينما وصلت العربات البريطانية الى المستشـــفى ، وانتشرت القصة انتشار النار فى الهشيم ! ..

الموقف فى الجانب البريطانى :

اهتزت اعصاب الجنرال « كننجهام » ــ قائد الجيش البريطاني ــ اهتزازاً عظيما نتيجة اغارة روميل الخاطفة خلف خطوط جيشــه ، وعلى النقيض من ذلك تماما ، لم يعبأ الجنرال « أوكنلك » ــ القائد العام بذلك .. تؤيد ذلك « ايف كورى » المراسلة الحربية التى توجهت لمقابلة « أوكنيلك » فى أعقاب هذه الاغارة مباشرة ، حين تكتب :

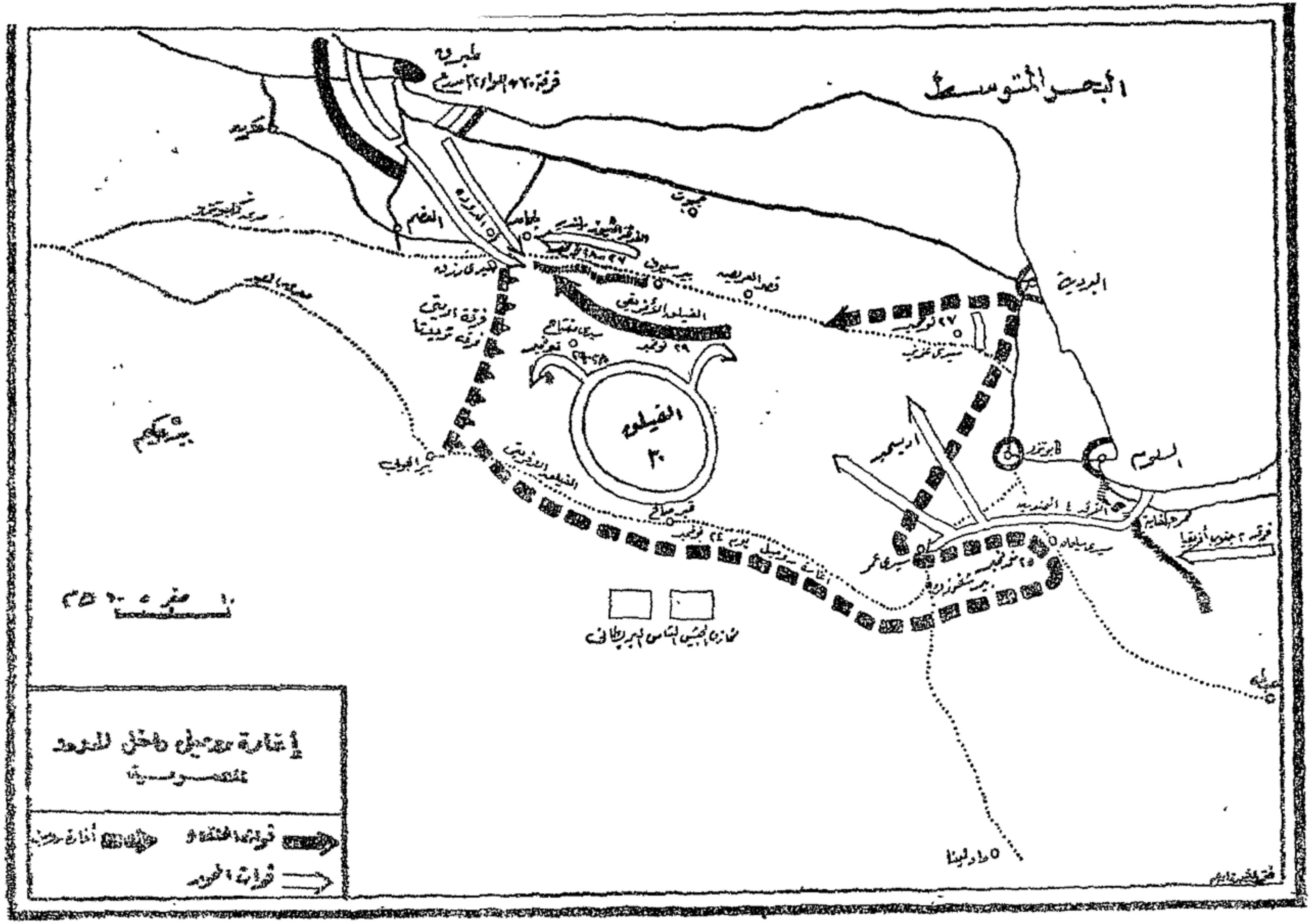
« وجدت نفسى أمام رجل لفحت وجهة الشمس ، ذو شعر بنى فاتح وعينان زرقاوان يجلس فى هدوء تام ، كان هذا هو القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط جنرال سير كلود جون أوكنيلك .. احتسى شرابه بهدوء ، واستمع .. أو ربما لم يستمع الى محادثتنا ! »

« وبعد لحظة ، أشــار الى السؤال الذى كان يدور فى خلد كل منــا عن تقدم روميل قائلا : انه يقوم بمجهود يائس ، ولكن الثعلب العجوز لن يذهب بعيدا ، ان مدرعاته لن تتمكن من الحصول على الوقود والامداد ، اننى واثق من ذلك تماما » .

تقول تقارير الحرب الألمانية ، أن « أوكينلك » كان محقا فى تفكيره ، لقد تحرك فيلق البانزر حول (ســـيدى عمر) خلال يومى ٢٤ ، ٢٥ نوفمبر ، فأخذت وحداته تتوقف نتيجة الحاجة الى الوقود (ولم يكن روميل يدرى بطبيعة الحال انه يمر فوق بحيرة هائلة من البترول فى الصحراء الليبية) فكان جنوده يسعون بحثا عن البترول بدلا من السعى وراء تنفيذ أوامر روميل .

ولكن على الرغم من ذلك كله ، ومن عودة روميل من اغارته دون تحقيق الهدف منها (تدمير المنطقة الادارية للجيش الثامن) الا أن الذعر انتاب كافة وحدات قوات كننجهام ، وهنا قرر (أوكنيلك) العودة الى القاهرة بعد أن أصدر أمر قتال الى الجيش الثامن جاء فيه :

« خلال الأيام الثلاثة التى قضــيتها معكم ، رأيت وسمعت ما يكفى لاقناعى وان كنت فى غير حاجة الى اقناع بأن لدى قادتكم وقواتكم التصميم على تدمير قوات روميل بدرجــة كبيرة ، وليس لدى شك فى أنكم ستدمرونه انه فى موقف يائس ، ويحاول أن يحولنــــا عن هدفنا الأصلى وهو القضــاء عليه تماما ، بالضرب هنا وهناك .. انه لن يتمكن من تحويلنا وسندمره ، لقد امسكتم به بين انيابكم ، فاستمروا فى القبض عليه وعضوه بعمق ، واستمروا فى ذلك حتى القضاء عليه ، لا تعطوه أى راحة ، ان الموقف فى شمال افريقيا ممتاز بالنسبة لنا ، يجب أن يكون لنا هدف واحد ، هـــو الهجوم والمطاردة لكل جندى فى فيلق البانزر »



الخطوط المتقطعة توضح توغل قوات روميل داخل الحدود المصرية خلف القوات البريطانية ، ذلك العمل الذى نجح فى تأثيره المعنوى وفشل فى تدمير القاعدة الادارية للجيش الثامن البريطانى !

قائد العام يعزل « كننجهام » :

وهكذا ، وفى صباح يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٤١ ، لم يكن أمام قائد الجيش الثامن ــ الجنرال « كننجهام » ــ سوى التوصل الى استنتاج واحد :

« لقد خسرنا المعركة ، ويجب التخلص منهــا ، فمن بين الأربعمــائة **خمسين دبابة التى كانت لديه منذ يومين فحسب ، فقد منها ٣٠٠ على الأقل ، واذا استمر القتال يومين آخرين على هذا النحو ، فلن يتبق لديه دبابة واحدة »** .

لذلك أرسل « كننجهام » ــ وسط موجة من اليأس والعجز معا ــ طالبا عاجلا الى القائد العام بالقاهرة ، ليطير اليه على الفور ليقرر ما اذا كان من الواجب الاستمرار فى الهجوم أو اعادة تجميع الجيش الثامن فى مواقع دفاعية خلفية .

وفى نفس الوقت وصلته أنباء أخرى زادت من هول الكارثة ، كانت تلك الأنباء تتحدث عن حالة الفوضى التى حدثت للواء الرابع المدرع الذى دمر روميل قيادته ، وتدمير اللواء الخامس جنوب أفريقية بواسطة مدرعات البانزر (١) .

وصل « أوكنيلك » ــ القائد العام ــ فى المساء ، بقامته الفارعة ومنكبيه العريضين ليتوجه على الفــور الى قيادة « كننجهام » الذى بادر بشرح حقائق الكارثة التى حاقت بقـــواته ، كمــا أوضح له قراره فى التخلص من المعركة ، والانسحاب الى الحدود المصرية تحت ستر بعض القوات المدرعة كحل وحيد يبقى على الجيش وعلى مصر .

استمع « اوكنيلك » الى قائد الجيش بهدوء تام ، ثم توجه الى طائرته متوجها الى القاهرة ، كان قد قرر اعفـــاء « كننجهام » الذى بدا واضحــا للجميع أنه مجهد عقليا وجسمانيا نتيجة المعركة . .

لم يكن هذا القرار ســهلا ، كما أن « أوكنيلك » لم يتخذه الا بعد تفكير عميق ومناقشات طويلة مع وزير الدولة البريطانى لشئون الشرق الأوسط سير « أوليفر ليتلتون » . .

وفى صباح ٢٦ نوفمبر ١٩٤١ ، وصل الجنرال « سير آرثر سميث » ــ رئيس أركان حرب قيادة الشرق الأوسط ــ ومعه فى ذات الطائرة الماجور جنرال « ريتشى » ، الذى عين لتولى قيـــــادة الجيش الثـــامن بدلا من كننجهام » . .

Desert generals : Barnett Covelli, William Kimber, London. 1960.

وما ان هبطت الطائرة فى مقر قيادة الجيش الثامن ، حتى سلم « سميث » الى « كننجهام » خطابا من « أوكنيلك » يخطره فيه بأنه مضطر لأن يقرر عزله من القيادة ، نظرا لانه بدأ يفكر فى الدفاع ..

جمع « كننجهام » حاجياته الشخصية فى هدوء ، ليستقل الطائرة مع « سميث » عائدا الى الدلتا ..

كانت رحلة مؤلمة لكلا الرجلين .. كان « سميث » متأثرا بسبب عطفه على « كننجهام » والاعجاب به ، حيث كان يعتقد أنه « قائد عظيم ولكنه سيء الحظ ، اذ انه بسبب اعتلال صحته فى تلك اللحظات الحاسمة ، فقد سيطرته على الجيش ، لم يكن هذا هو « كننجهام » الذى كنت أعرفه !. »

تشرشل : كنا سنتوقف عن القتال :

يعلق ونستون تشرشل ، على اغارة روميل على الخطوط الخلفية للجيش الثامن قائلا :

« وهنا تمت مسرحية تذكرنا بطواف (جيب ستيوارت) حول ماكميلان عام ١٨٦٢ فى شبه جزيرة (يورك تاون) ـ ابان الحرب الأهلية الأمريكية ـ ولكن قوة مدرعة هى التى قامت بالعمل هذه المرة ، وهى فى حد ذاتها جيش قائم بذاته .. كان تدميره سيعرض قوات المحور فى شمال أفريقية كلها لأعظم الأخطار ، فقد قرر روميل أن يتولى زمام المبادرة التكتيكية ، وأن يشق طريقه خلف خطوطنا فى صحراء مصر الغربية بمدرعاته آملا أن يخلق حالة من الفوضى والذعر بين صفوف قواتنا وقيادتنا ، ليرغمها على التخلى عن الهجوم والانسحاب ، ولعل روميل وهو يخطط لخطته الجريئة هذه قد عاد بذاكرته الى ما واتاه من حظ حسن فى اندفاعه المدرع فى معركة الصحراء السابقة فى ١٥ يولية ١٩٤١ ، وهو الاندفاع الذى أدى الى تراجعنا بسرعة فى تلك الفترة الحرجة ..

فقد جمع روميل القسم الأكبر من قوات فيلقه البانزر ، وأخطأ بأعجوبة تدمير الفيلق ٣٠ (نصف قوة الجيش الثامن الذى كان يتكون من الفيلق ١٣ ، والفيلق ٣٠) كما أخطأ فى تدمير مستودعين هائلين للذخيرة ، لم يكن بوسعنا بدونهما مواصلة القتال ، ثم وصل الى الحدود المصرية ، وهنا قسم روميل قواته الى عدد من المجموعات اتجه بعضها شمالا والآخر جنوبا ، بينما مضى بعضها متوغلا لمسافة ٢٠ ميلا داخل الأراضى المصرية ، ليوقع الاضطراب والفوضى فى مناطقنا الخلفية ، وأسر عددا كبيرا من الرجال لكن طوابيره لم تستطع أن تحدث أى تأثير على الفرقة الرابعة الهندية التى واصلت

مطاردتها بوحدات تم تنظيمها على عجل . يضاف الى ذلك ان سلاحنا الجوى الذى كان قد أحرز الآن التفوق والسيادة على أرض المعركة ، قد واصل تعقبه لمجموعات روميل وقصفها من الجو ، وهكذا عانت قوات روميل التى لم يكن لها غطاء جوى الكثير من المتاعب التى طالما عانتها قواتنا وتحملتها فى الماضى عندما كانت المانيا هى المسيطرة على أجواء مسرح الحرب ، واتجهت جميع مدرعات العدو فى السادس والعشرين من نوفمبر شمالا ، باحثة عن المأوى فى البردية من قصف طيراننا ، وعلى مقربة منها ، وسارعت فى اليوم التالى الى الاتجاه غربا عائدة من حيث جاءت الى « سيدى رزق » ، حيث استدعيت على عجل الى هناك .

وهكذا فشلت اغارة روميل الجريئة ، وكان الفضل الأكبر فى فشلها يرجع الى قوة شكيمة رجل واحد .. وهو القائد البريطانى المقابل له ، واعنى به الجنرال « اوكنيلك » الذى أمر بوقف كل تراجع والدخول فى المعركة .



((عاهدت الله وعاهدتكم على أن جيلنا لن يسلم أعلامه الى جيل سوف يجيء بعده منكسة أو ذليلة ، وانما سوف نسلم أعلامنا مرتفعة هاماتها ، عزيزة صواريها قد تكون مخضبة بالدماء ، ولكننا ظللنا نحتفظ برؤوسنا عالية فى السماء وقت أن كانت جباهنا تنزف الدم والألم والمرارة))

الرئيس محمد أنور السادات
فى خطابه التاريخى بمجلس الشعب
١٦ اكتوبر ١٩٧٣



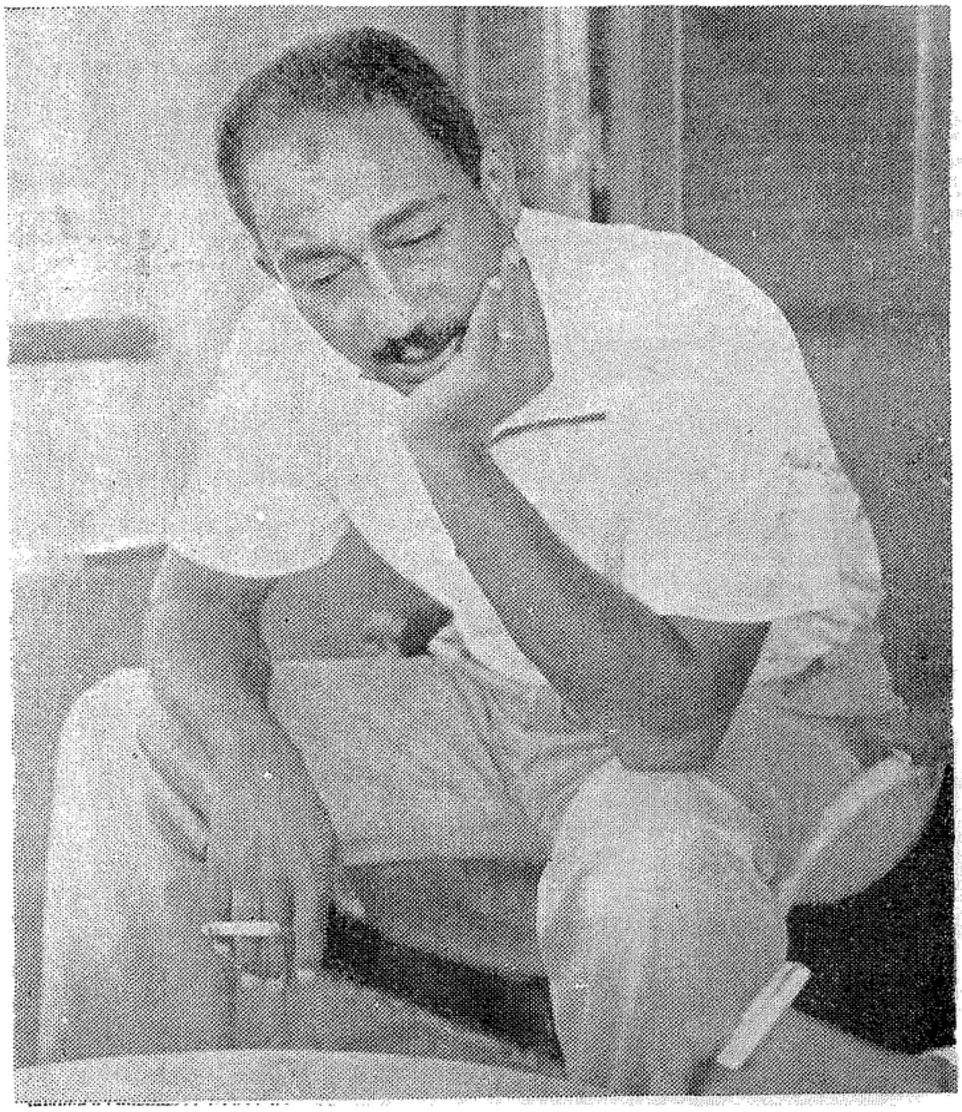
((لن نستطيع أن نغفل ما مضى من تاريخنـــا ، فلكى نعيش اللحظة التى نحياها اليوم ، ولكى نفكر فى وضع الطريق والوسيلة للمستقبل ، علينا أن نعود الى تاريخنا ، علينا أن نعتبر بما مضى بنا من أحداث ، علينا أن نربط ماضينا بحاضرنا ، لكى نخرج بالدروس التى نستطيع بها أن نبنى مستقبلا متحررا من كل أخطاء الماضى ، مستقبل يقوم على أسس متينة أهمها : أن الشعب هو مصدر السلطات))

من كتاب ((القاعدة الشعبية))
محمد أنور السادات



« يوم ٢٦ رمضان سنة ١٩٤٢ ، ليلة القدر ، كنت موقوفا فى ميس المدفعية ، عملوا لوالدى حرب أعصاب ، رئيس ادارة الجيش فى ذاك الوقت كان اللواء على باشـا موافى ، ذهب وزار والدى فى القسم الطبى ، وقال له أنصحك تروح لابنك وتكلمه ، وهو الآن فى الميس ، فلو يعترف حيكون الجزاء مخفف ، وأنا كصديق بانصحك ، لأنهم كانوا بيخدموا معا فى السودان ، وفى رمضان هذا بالذات جاء والدى لزيارتى منزعجا ، لأن على باشـا موافى قال له ان فرقة الاعدام جاهزة لابنه ، فأخبرته بأن هذه مجرد حرب أعصاب ضده والا كانوا أعدمونى ، وأنا موقفى طيب ، وبعدها ذهب اليه اللواء على موافى فقال له والدى : ابنى كبير ، وضـابط ، ورجل يعرف حياته »

من حديث الرئيس محمد أنور السادات
يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥
بمناسبة عيد ميلاده



« ان قصة حرب فلسطين على حقيقتها ، قصة مثيرة مفجعة ، هى مأساة حقا من النوع الذى لا ينسى .

وعندما أتذكر ما كنت أسمعه خلال تلك الأيام من مآسى الحرب وسوء القيادات ، ترتبط هذه الذكريات بأيامى الخاصة ، ومتاعبى الشخصية .

اذ كنت اذ ذاك سجينا ، وكأنما لم يكفنى حبس حريتى ، ولكن كان مقدرا على أيضا أن أحرم من خوض هذه الحرب المقدسة التى طالما تاقت نفسى الى خوضها »

« محمد أنور السادات »
صحيفة الجمهورية فى ٣٠ مارس ١٩٥٤


أيام وليال فى سجن مصر ..

قدرته على كتمان السر !

يكتب احسان عبد القدوس :

« ان أول ما أثار انتباهى فى شخصية الرئيس السادات ، هو قوة الارادة ، والقدرة الواضحة على التخطيط والتنظيم .

شىء آخر أثار انتباهى منذ بداية معرفتى بالرئيس السادات ، هو ذكاؤه الحاد ، وقدرته على الكتمان ، والاحتفاظ بالسر ، سره أو سر غيره ... »

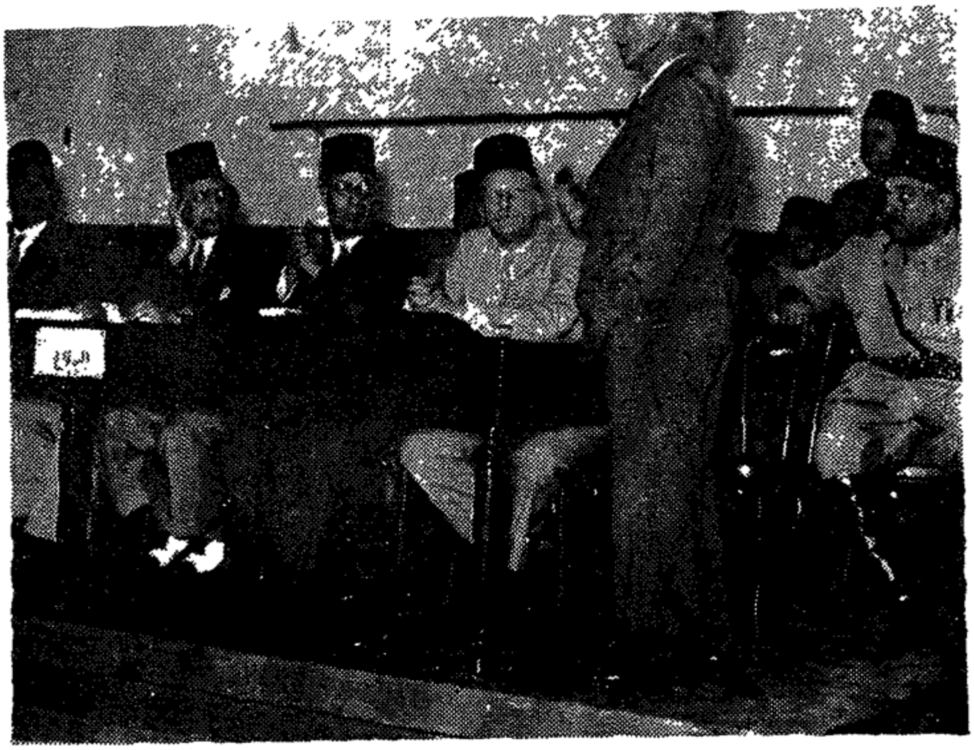
ويكتب (اميل زيدان) فى تقديمه لمذكرات الرئيس (٣٠ شهرا فى السجن) ، والتى نشرت فى مجلة المصور عام ١٩٤٨ :

« ان السادات هو أكبر المتهمين سنا ، وأقواهم شخصية ، وأوسعهم ثقافة ، وأنضجهم عقلا ، وأكثرهم تجربة »



الفريق عزيز المصرى وعلى ماهر

الصورة تجمع بين عدوين لدودين للاحتلال البريطانى ، حوكم الفريق عزيزالمصرى بعد أن عزله الانجليز بسبب وقوفه ضدتحكمهم فى الجيش المصرى ، أما على ماهر ، فقد ضغط الانجليز ، حتى تم اعتقاله أثناء اشتعال الحرب فى صحراء مصر الغربية .

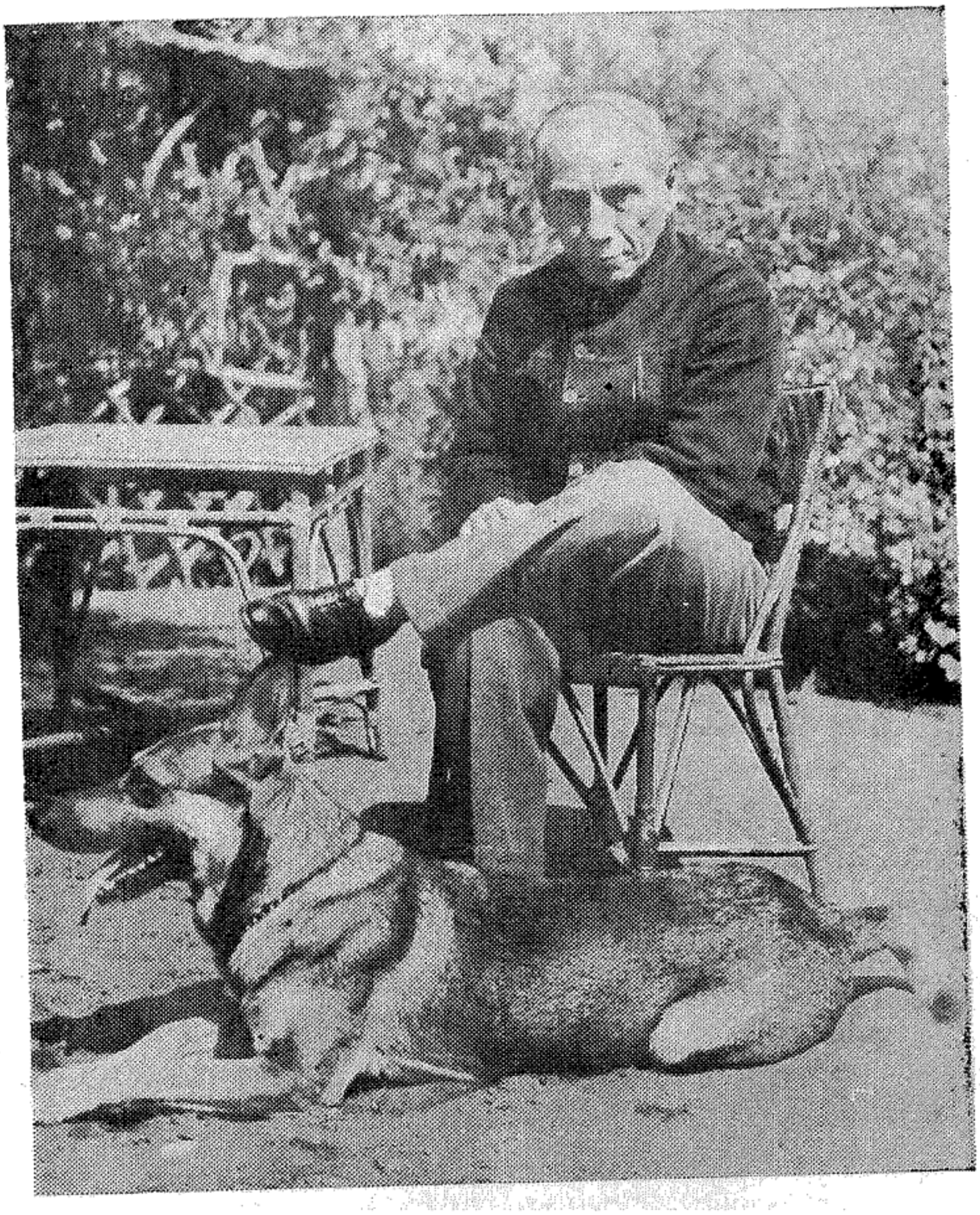


الفريق عزيز المصرى أمام المحكمة يدافع عن تهمة حب الوطن ورفضه ابادة الجيش المصرى كتعليمات القيادة البريطانية



« كيلرن » يستعرض الجيش المصرى !

معالم السعادة ترتسم على وجه السفير البريطانى فى مصر ، بينما امسك بيده آلة التصوير السينمائى ، ليسجل استعراضا للجيش المصرى كان يجرى أمامه !.



الأب الروحى للكفاح يسترجع ذكريات الجهاد

الفريق عزيز المصرى ، الذى كان أول قائد مصرى يتولى رئاسة الأركان ، بعد خروج (سفنكس باشا) من قيادة الجيش ، فى جلسة هادئة بحديقة منزله بعد الافراج عنه وشطب القضية الخاصة بمحاولاته الطيران الى ألمانيا .



ملك مصر غير المتوج

صورة مهداة الى شباب مصر

صورة اللورد كيلرن (سير مايلز لامبسون) ـ سفير بريطانيا فى مصر ـ ابان الاحتلال البريطانى وقبل أن تتحرر مصر من الاستعمار ، وقد وقف كبار رجالات مصر قبل الثورة ، يستقبلونه عند وصوله الى أحد الاحتفالات الرسمية (عام ١٩٤٢) .

لقد ظل هذا الرجل يجسد صورة ملك لمصر ـ غير متوج ـ يسقط الوزارات ، ويقيم الحكومات ، باشارة من يده .

هذه الصورة مهداة لشباب هذا الجيل ، حتى يعرفوا كيف كانت مصر ، وكيف أصبحت اليوم ، تمتلك ناصية أمرها بايدى أبنائها ، ولكى لا ينسى هذا الجيل أن رئيسها ، حينما أصدر قرار العبور العظيم ، كان قرارا مصريا خالصا ، رغم ارادة القوى العظمى !..



السفير البريطانى ورئيس البعثة العسكرية فى مصر

كلا الرجلين كانا يديران دفة الأمور فى مصر ، الأول يوجه السياسة ، والثانى يسيطر على الجيش المصرى .

فى اكتوبر ١٩٥٤ أنهت اتفاقية الجلاء هذه السيطرة المزدوجة .



مصطفى النحاس
أين الحقيقة ؟

خلال الاجتماع الذى عقد فى العاشرة مساء يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ فى قصر عابدين ــ بحضور الملك السابق فاروق ــ صاح الدكتور أحمد ماهر باشا قائلا للنحاس :

« انك يا نحاس باشا ، تؤلف الوزارة على أسنة الحراب البريطانية ، بعد أن رأيت الدبابات بعينى رأسك »

فاعترض الملك قائلا :

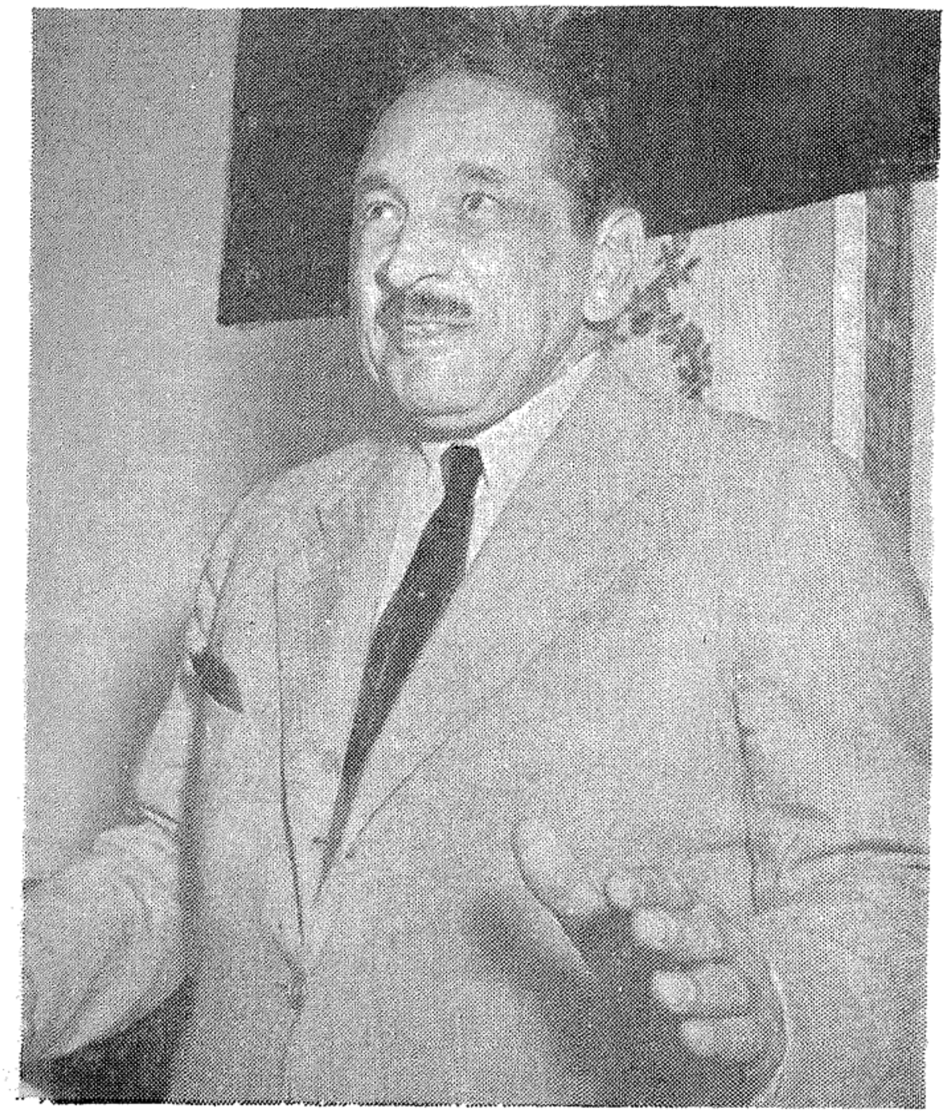
« بل أنا الذى كلفته بتأليف الوزارة »



كيلرن والنحاس فى حالة تحفز

الصورة تعبر عن حالة مصر أثناء العمليات الحربية فى صحراء مصر الغربية (١٩٤٢) ..

علاقات متوترة بين الجانى ، والمجنى عليه (مصر) أو بين بريطانيا والبقرة الحلوب التى كانت تعطى خيراتها ــ مرغمة ــ الى المحتلين .



« على ماهر »

« ان مصر كلها تعرف ، وليس على ماهر وحده فقط ، أننا قد طلبنا طرده من رئاسة الحكومة ، وفى هذه الظروف ، فمن المستحيل تماما بالنسبه لنا أن نستمر فى التعامل معه ، ولقد طلبت من فاروق اقالته فورا ، فاذا تم ذلك ، فلن نستخدم القوة ، واذا لم يقم الملك باقالته ، سيكون علينا ادارة مصر تحت الأحكام العسكرية البريطانية ، وقد وافق كلا من القائد العام لقوات الشرق الأوسط وقائد الطيران على رأيى هذا ! » .

• من خطاب لورد كيلرن الى وزارة الخارجية البريطانية ٢١ يونية ١٩٤٠



الملك السابق فاروق

«اننى أشعر بخزى وعار شديدين، لأن جيشنا سكت على هذا العدوان وارتضاه ، ولكنى مسرور على كل حال ، لأن ضباطنا بعد هذا الحادث ــ ٤ فبراير بدأوا يتحدثون عن الانتقام والثأر ، وكان هذا درسا قاسيا » .

من رسالة للرئيس الراحل
جمال عبد الناصر
١٠ فبراير ١٩٤٢

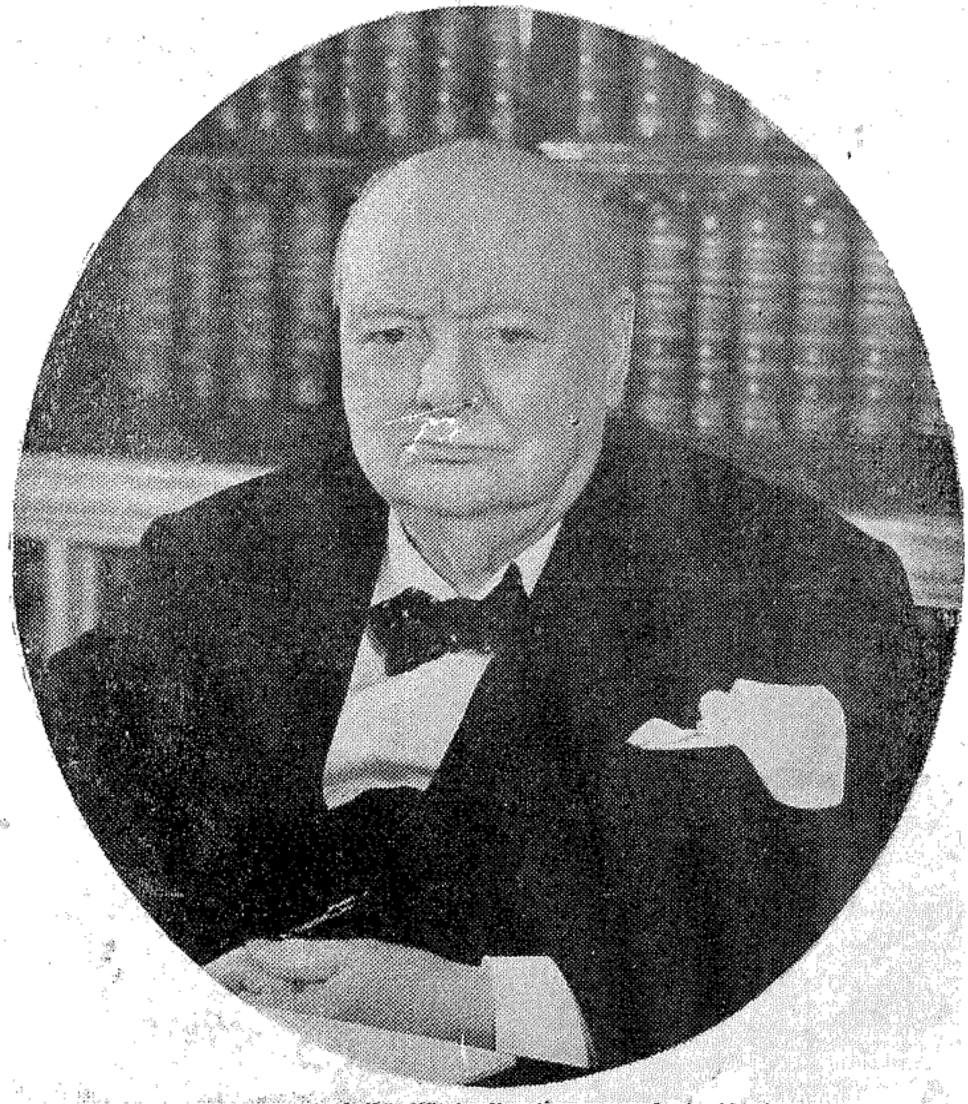


أحمد حسنين
رئيس الديوان الملكى السابق

هل كان على علم بأن الدبابات البريطانية ستقوم بمحاصرة قصر عابدين مساء يوم ٤ فبراير ؟ .

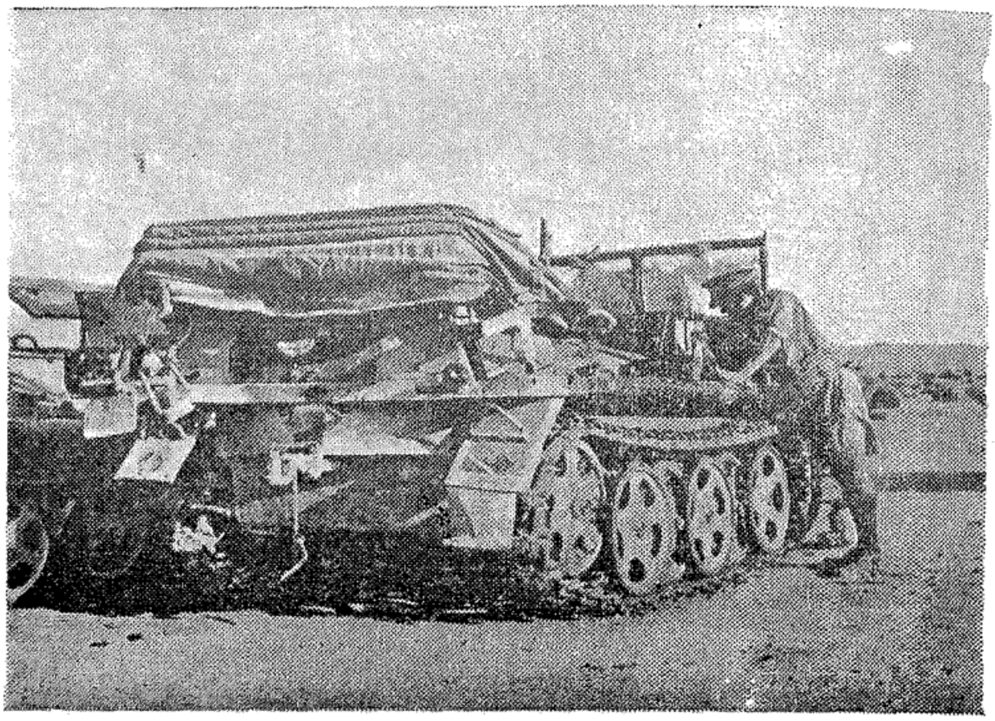


أنواع المدرعات والعربات المدرعة البريطانية التى استخدمت خلال معارك الصحراء فى مسرح الحرب بشمال أفريقية (١٩٤٠ — ١٩٤٢) .



سير ونستون تشرتشل

فرضت عليه السياسة الاطاحة بالعديد من القـادة العظام ، بدءا بالفيلد مارشال « ويفل » وانتهاء بالفيلد مارشال « أوكلنك »



عربة مجنزرة ألمانية دمرتها قـذيفة طائرة مقاتلة بريطانية من طراز ((سبيتفاير)) خلال الهجوم الألمانى الأول (الذى فشل) على قلعة طبرق الحصينة فى أبريل ١٩٤١



« فيلد مارشال سير كلود أوكينلك »

- قاد الجيش الثامن فى أحلك فترات القتال ، فى أعقاب سقوط (طبرق) فى أيدى قوات روميل ، ليشرع على الفور فى معالجة أوجه الضعف التى كانت تسود القيادة البريطانية ، « ان جزءا من طريقتى يتمثــل فى السيطرة القريبة بواسطة قادة الفرق الذين يجب أن يشعروا جنودهم بوجودهم فى أرض المعركة ، للمحافظة على القوة الدافعة للهجوم » .

- أعجب به (روميل) كذلك ، والذى كتب الى زوجته فى أحــد خطاباته : « لقد أظهرت القيادة البريطانية فى الايام الأخـيرة الماضية قدرا كبيرا من الفطنة والذكاء والاقدام ، وان أوكنلك يستخدم تفوقه وبخاصة فى المشاة ، لتدمير التشكيلات الايطالية الواحدة بعد الأخرى ، بينما اصبحت القوات الالمانية أضعف من أن تقف وحدها .. ان ذلك ليكفى لأن يجعل المرء يبكى »

- كتب عنه تشرشل : « أما بالنسبة للجنرال أوكنيلك ، فلن أقول انه ضابط يتمتع بأفضل الصفات العسكرية فحسب ، ولكنه كذلك جنرال فريد فى مستواه »



فيلد مارشال سير أرشيبالد ويفل

● القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط في بداية القتال بمسرح شمال أفريقية .

● عزل من القيـــادة عام ١٩٤١ بسبب الحاح تشرشل عليه في القيام بهجوم متعجل ضد قوات روميل فور وصولها الى مسرح القتال ، الأمر الذى تسبب فى الحاق هزيمة فادحة بالقوات البريطانية فى الصـــحراء الغربية .

● خلفه الجنرال (فيلد مارشال فيما بعد) أو كنلك لقيادة القوات البريطانية فى الشرق الأوسط .



فيلد مارشال (فون اروين روميل)

« يجب على القائد أن يدرك أن مكانه ليس فى الخلف مع هيئة أركان حربه ، وانما فى أقصى الأمام مع قواته .. فالجنود لا يشعرون بالصلة بينهم وبين قائد يقبع فى الخلف فى مقر قيادته ، ان وجوده فى الأمام وسط جنوده ـ وخاصـــة فى لحظات الذعر والارهاق أو الانحلال ، أو عندما يتطلب الأمر مجهودا غير عادى فان المثل الذى يضربه القائد بوجوده تحت نفس الظروف يفعل المعجزات »

روميل

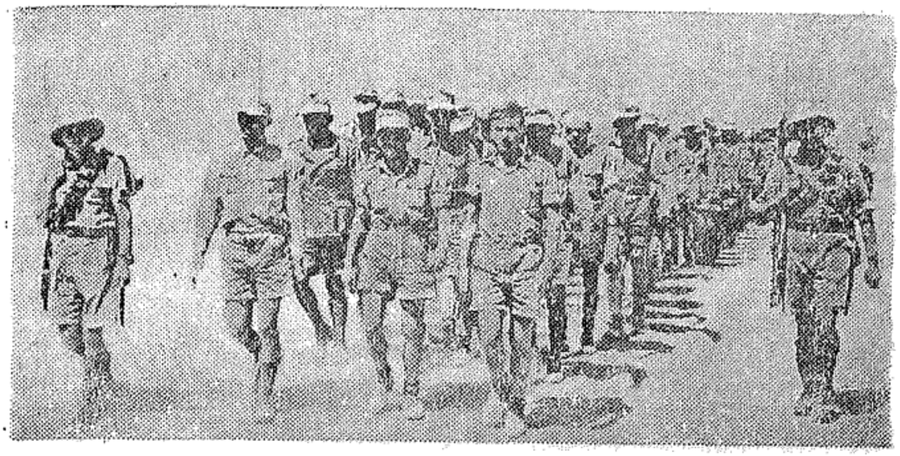


روميل يشرب نخب الاستيلاء
على طبرق

« كانت طبرق حصنا من أمنع الحصون فى شمال أفريقية ، وفى عام ١٩٤١ سببت لنا مصاعب جمة ، فقد انهارت هجماتنا المتتابية أمام دفاعاتها ، ويمكن القول دون مبالغة ، أن النطاق الخارجى لهذه الدفاعات كان غارقا فى الدماء .. وأحيانا كان القتال يدور حول ياردة مربعة واحدة ..

وفى هذه المرة ، قررت مهاجمة (طبرق) واقتحامها ، بالقيام بهجوم خداعى فى الجنوب الغربى لاخفاء نوايانا الحقيقية ، وتثبيت الحامية عند هذه النقطة . بينما كان على التشكيلات المكلفة بالهجوم الرئيسى الوصول فجأة الى مسرح الأحداث ، وبدون أية مقدمات ، ولهذا الغرض قررت التحرك حول طبرق فى اتجاه الدلتا ، بهدف تضليل الانجليز عن نوايانا وايهامهم بأننا سنقوم بحصارها كما حدث فى عام ١٩٤١ ثم بعد ذلك التحول عائدا فجأة نحو طبرق وأهاجمها ليلا بعد تمهيد جوى عنيف وقصف مدفعى ثقيل ، وهكذا انطلقنا فى اقتحام القلعة الحصينة فى الفجر لنكتسح العدو المذهول ، وبالنسبة لكل فرد منا ، فقد كانت طبرق تمثل رمز المقاومة البريطانية »

روميل
من خطاب لزوجته فى ١٨ يونية ١٩٤٢



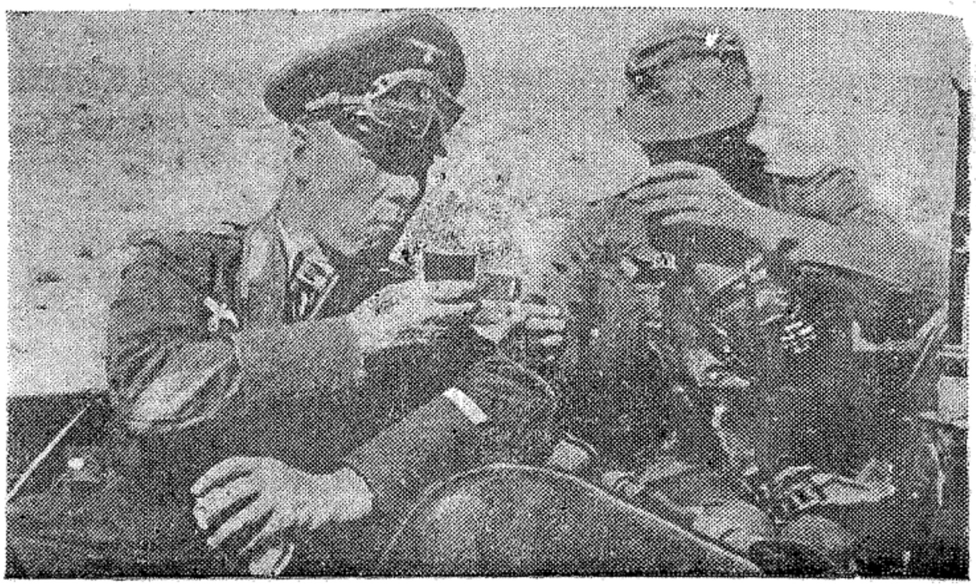
طابور من الأسرى الالمان
فى معركة طبرق الأولى

كان دفاع القوات الاسترالية ، التى كانت محاصرة داخل قلعة طبرق خلال الهجوم الألمانى الأول عليها (ابريل ١٩٤١) ، عنيدا وصلبا بدرجة أذهلت روميل ذاته الذى كتب يقول :

« كان القتال عنيفا أمام طبرق .. وازداد حرج موقفنا ، وما زالت قواتى أقل من أن تسيطر على الجبهة الطويلة حول هذه القلعة .. وبعد أن تمكنت بعض الوحدات من اختراق دفاعاتها ، ووصلت الى مسافة ٣ كم داخلها ، جوبهنا بقتال العدو العنيد ودفاعه حتى النهاية لتدور الاشتباكات الوحشية فى نقاط عديدة ، فقدنا خلالها أكثر من ١٢٠٠ قتيل وجريح ،

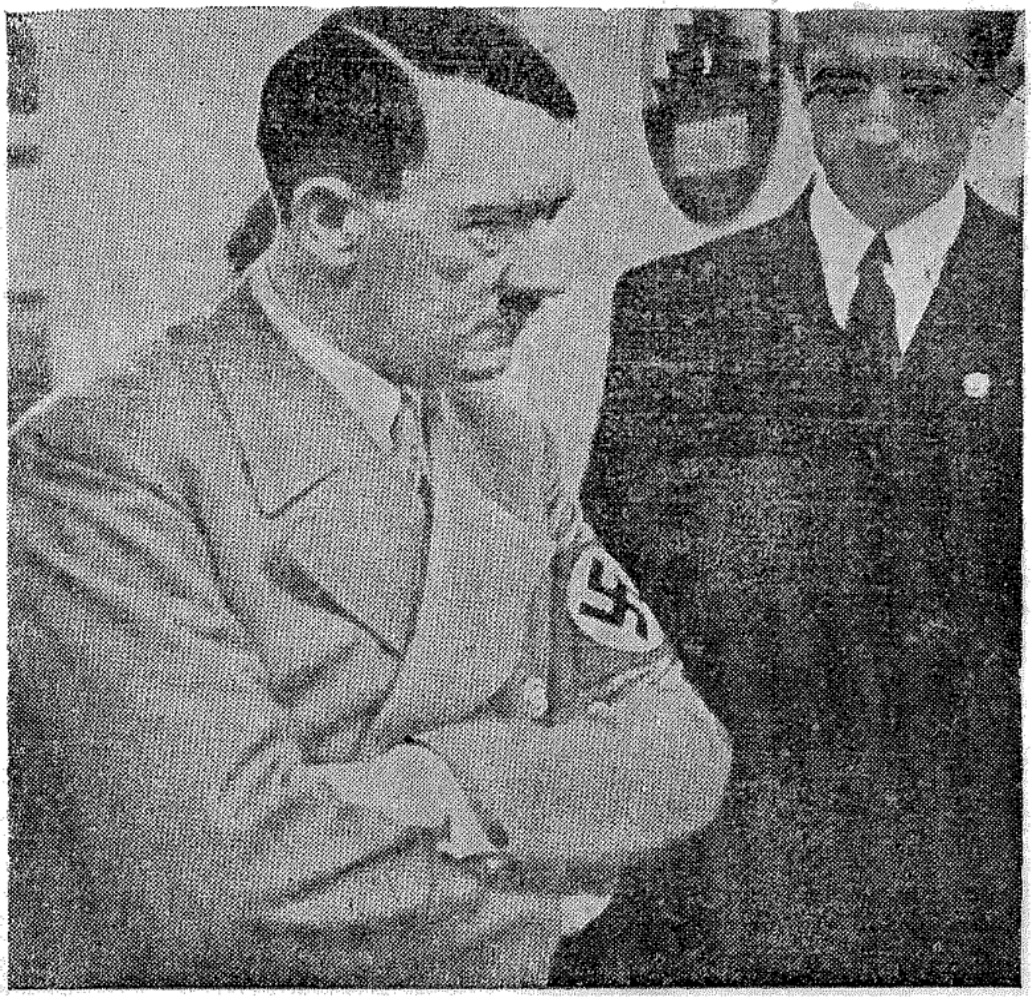
لقد اكتشفت خلال القتال الأول حول طبرق ، أن قواتى من المشاة لم تكن جيدة التدريب على حرب الخنادق ، بعكس الانجليز والاستراليين ، وقد قمت بعد هذه المعركة بعلاج هذا الوضع »

جنرال روميل
٣٠ ابريل ١٩٤١



روميل يتناول قدحا من القهوة وطبرق تحتضر !

الجنرال روميل وياوره فى عربتهما يتناولان قدحا من القهـــوة صباح يوم ٢١ يونية ١٩٤٢ ، فى فترة راحة ، أثناء مراقبته لسير القتال الوحشى للاستيلاء على قلعة (طبرق) الحصينة .



قائد السفينة الغارقة

أدولف هتلر ، قاد العالم الى حرب عدوانية توسعية مدمرة ، بدعوى عنصرية بغيضة ، فغرق مع السفينة ، لتشرق الشمس على العالم من جديد !

الفصل السابع

- أسرار مغامرة توصيل الجواسيس للقاهرة ..
- روميل : لابد من عيون فى القاهرة ..
- رحلة الأهوال !
- فيلا فاخرة لروميل فى القاهرة ! !
- الراقصة حكمت فهمى وحسين جعفر ..
- فى عوامة على النيل ..
- السادات : حاولت الكشف على الجهاز ..
- سر الخرس الذى أصاب جهاز اللاسلكى !

عيون روميل فى القاهرة

« فى يوم جاء الطيار حسن عزت ، وقال ان روميل أرسل ضابطين ألمان الى القاهرة ، وصلوا فعلا وان احدهم كان أصله يعيش فى مصر وسمى نفسه حسين جعفر ، جاءوا من خطوط روميل عبر الصحراء الغربية والواحات ثم أسيوط ومنها ركبا القطار : ودخلوا القاهرة بملابس الجيش البريطانى للاتصال بحركة المقاومة فى القاهرة تمهيدا لدخول روميل ..

رحت قابلتهم ، وسألت : انتم حضرتوا من روميل ؟ .. قالوا : نعم .. قلت : لقد حاولنا الاتصال بروميل ، وارسلنا طيار معه كذا وكذا ونريد الاتصال بروميل لاننا حركة المقاومة داخل الجيش » .

من حديث الرئيس محمد أنور السادات
فى ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥ بمناسبة عيد ميلاده

أسرار مغامرة توصيل الجواسيس الالمان الى القاهرة

عقب فشل فكرة اختطاف الفريق عزيز المصرى ونقله الى المانيا ، كما سالف ذكره ، عقد الأميرال « كناريس » ـ مدير المخابرات الألمانية السرية ـ مؤتمرا هاما فى برلين ، لمجموعة الكوماندوز التى خصصت للقيام بالعمل فى مصر ، استهله قائلا :

« ان روميل محتاج الى معلومات موثوق منها عن القاعدة البريطانية فى مصر ، ولما كانت استراتيجيته فى حرب صحراء شمال أفريقية مبنية على الحيلة والمفاجأة ، فان هذه المعلومات ستساعده بشكل فعال فى الوصول الى مصر ، لذا يجب ارسال جاسوسين أحدهما الى القاهرة والثانى الى حيفا . »

وقع اختيار المخابرات الألمانية على وجه جديد انضم الى مجموعة الكوماندوز ، رجل فى نحو الخمسين من عمره ، مرحا بشوشا ، يدعى (كلين) يتكلم العربية بطلاقة ، كان (كلين) هذا يعيش فى الاسكندرية قبل الحرب ، وكان على الجاسوسين الألمانيين هذه المرة دخول القاهرة سرا والقيام بتركيب جهاز لاسلكى ليكون بمثابة مركز للتجسس لصالح روميل .

كيف يصل الجاسوسان الى القاهرة ؟

ولما كان اختيار المخابرات الالمانية قد وقع على كل من (كلين) و (موليزوخ) للتسلل الى القاهرة للقيام بهذا العمل ، فقد ثارت فى برلين مناقشات سرية طويلة عن الوسيلة التى يمكن استخدامها لتوصيلهما .. هل بغواصة أم بسيارة عبر الصحراء .. وقد تبين للاميرال « كناريس » تعذر هاتين الوسيلتين ، وهكذا لم يبق امامه سوى اسقاطهما من الجو ..

وتحدث (الماسزى) عن طريق للقوافل يصل واحة (الفرافرة) بديروط على النيل ، وعن علامة أرضية مميزة على مسافة ٦٠ ميلا من النيل ، عبارة عن تل متوسط الارتفاع فى جنوبه شريط متسع من الأرض الممهدة التى تصلح لهبوط الطائرات عليه ، كانت الرحلة تستغرق الى هذا المكان ـ بالطائرة ـ اربعة ساعات ونصف الساعة من (درنة) بليبيا وبالتالى فالمطلوب هو من ٩ ـ ١٠ ساعات للذهاب والأياب ..

ولكن ((كناريس)) سأله : كيف يستطيع الجواسيس قطع الستين ميلا ميلا عبر الصحراء القاحلة حتى وادى النيل عند (ديروط) ؟ .. ان سيرهم على الأقدام معناه الموت المحقق ، ولكن (الماسزى) لديه الحلول دائما ! .. كان هو نفسه قد قطع نفس هذه الرحلة بالسيارة قبل الحرب ، حسنا ولكن كيف يمكن حمل سيارة فى الطائرة ؟ ..

« الماسزى » يعطى الحل : « ماذا عن موتوسيكل ؟ » .. ان هذا أمر يمكن ترتيبه ..

وهكذا تم تحديد خطة العمل وحساب الوزن والوقود والطعام والملابس وأوراق البنكنوت .. الخ . وبعد بحث شاق ، أمكن الحصول على موتوسيكل خفيف الوزن ، وجهزت الطائرة فى ١٦ يولية ١٩٤١ .

نهاية درامية للمحاولة الأولى :

كان الجو فوق (درنة) بالصحراء الليبية ملتهبا ، فى ذلك اليوم من شهر يولية ، كما بدأت الرحلة الفدائية بداية غير مواتية ، حيث انفجرت احدى عجلات الطائرة التى كانت مشتركة فى العملية ، فاستقر الرأى على أن تحمل الطائرة المكلفة بالحراسة ، الجواسيس الألمان ، بينما تقوم الطائرة ذات العجلة المعطوبة بمهمة الحراسة .

أقلعت الطائرتان ، لتطيرا على ارتفاع منخفض فى بداية الأمر ، وبعد نحو خمس ساعات تمكن الطيار القائد من تمييز التل المتفق عليه ، وهبطت الطائرة حتى أصبحت على ارتفاع قمم الأشجار بينما كانت أشعة الشمس قد مالت فى الأفق ، ينبغى الاسراع فى العمل قبل حلول الظلام ..

وبينما كان قائد طائرة الحراسة يدور على ارتفاع ٣٠٠٠ قدم فى عصبية وهو يزمجر : « لماذا لا يهبط هذا المخلوق بحق السماء ؟ » كان قائد الطائرة المقلة للجواسيس لا يزال يبحث عن أرض تصلح للهبوط ، وعلى حين استعد للهبوط ، قبل أن يحل الظلام ، اذ به يرتفع فجأة ليصيح نائب المخابرات الألمانية (ميجر ريتر) : « ماذا حدث بحق الشيطان ؟ » !

كانت عربة استطلاع مدرعة بريطانية تتقدم ببطء مخلفة خلفها سحابة من الأتربة تحت الطائرتان ، ولما كانت الطائرة قد أزيلت منها خزانات الوقود الاحتياطى والمدافع والألواح المدرعة قبل اقلاعها ، فقد كان من السذاجة ـ أن تقامر بالدخول فى قتال مع العربة المدرعة المسلحة البريطانية ، لذلك ، فقد ابتعدت كما رأينا ، طارت فى دورة واسعة ، ثم استعد الطيار للهبوط للمرة

الثانية ، بينما كانت الشمس الغـــاربة تلقى ظلالا غريبة المنظر على الأرض الصحراوية المتعرجة.، مرة اخرى ارتفعت الطائرة القائدة ، : « الأرض مليئة بالتعـــاريج ، واذا هبطت ستتهشم الطائرة » ! هـــكذا صاح قائد طائرة الجواسيس .

وما أن حل الظلام حتى بدت الأرض كقطعة من ثوب اسود طويل لا نهاية له ، وبطبيعة الحال — لم يجرؤ الطيار الشاب على الهبوط ، وحين اقترح (ريتر) ان يقفز الجواسيس .. ثار اعتراض هام : وماذا عن الموتوسيكل .. انهما لا يتمكنان من السير على الاقدام ٦٠ ميلا عبر الصـــحراء القاحلة الى (ديروط) .. فان حساب الطعام والمياه معهما لا يكفى الا لثلاثة أيام فقط وليس لأسبوع ! ..

وهنا صاح الميجر (ريتر) : لا يمكنهم القفز فى مثل هذه الظروف ، فلنؤجل العملية ، ولنأمل أن يقدم لنا السرب طائرات لاجراء محاولة ثانية .. ثم صاح مزمجرا فى الطيار : الى مطار « درنة » ..

واتجهت الطائرتان فى اتجاه مطار ((درنة)) حسب الأوامر .. ولكن عامل اللاسلكى التقط اشارة لاسلكية من قيادة المطار : ((غير مصرح بالهبوط فى درنة .. المطار واقع تحت هجوم بريطانى جـــوى كثيف ، طيروا الى مكان آخر !))

انظار الجميع على خزانات الوقود ! :

وهنا اتجهت ابصار الجميع — فى الطائرتين — الى عـــدادات خزانات الوقود — أصيب الجميع بنوبة من اليأس ، ليس لديهم وقود يكفى للوصول الى مطار (بنى غازى) — وكان لا يزال فى أيدى قوات روميل —

كان تعليق (الماسزى) الوحيـــد على هذا الموقف : ان كل الظروف قد تكاتفت لافشال المغامرة ! ثم أصدر توجيهاته لقائد الطائرة بالبحث عن شريط على الشاطىء والقيام بعملية هبوط اضطرارى فان لدينا وقودا يكفى للطيران لمدة ٢٠ دقيقة ، ونحن الآن فوق الماء ! »

وجاءته اجابة الطيار فى برود قاتل : « ارسل اشارة استغاثة الى جماعة الانقاذ الجوى البحرى » حينئذ قال الميجر (ريتر) : لا تنس أيها الطيار ان تجعل ذيل الطائرة لأسفل عند هبوطك فى مياه البحر ..

وفى الظلام الحالك ، توقفت المحركات ، ليشعر الجميع بصدمة عنيفة ، لكن طائرة القيادة من طراز (هنيكل ٣) طفت فوق الماء ، وقد ساعـــدتها

خزانات الوقود الفارغة على الطفو .. قام الطقم باخراج القارب المطاط ، بينما تحطم راس الجاسوس (موليبنبروخ) الذى كان مكلفا بالتوجه من مصر الى حيفا ، بينما تحطم ذراع ميجر (ريتر) ، أما الباقون فقد ظلوا فى ميـــاه البحر ١٢ ساعة لأن القارب لم يكن يتسع لأكثر من أربعة أشخاص ..

وقام الثلاثة الذين لم يصابوا بالتجديف طوال الليل حتى منتصف النهار التالى ، حين القت بهم الأمواج العالية على الشـــــاطىء فى مكان بالقرب من (درنة) ، وبعد مسير شاق مرهق خلال الصحراء وصلوا الى قرية عربيـــة والعطش يكاد يقتلهم ، حيث أنقذتهم طائرة من سرب الانقـــاذ الصحراوى ، أما الطائرة الثانية (طائرة الحراســـــة) فقد تمكنت من النزول فى مطـــــار (بنى غازى) وفى خزاناتها بضع قطرات من البترول .

وهكذا انتهت المحاولة الأولى للمخابرات الألمانية لتوصيل الجواسيس الى القاهرة نهاية درامية !!

روميل يصر على ارسال الجاسوسين الى القاهرة !

كان (الماسزى) ينتابه الفزع كلما تذكر أن « روميل » قد يفقد مصدر معلوماته فى القاهرة (عن طريق الراقصة حكمت فهمى) .

أما روميل فقد كان لديه الكثير من أسرار الجيش البريطانى خلال شتاء عام ١٩٤١ ، كما كان فى أجندته لعام ١٩٤٢ ــ على جدول أعماله ــ وصول فيلق البانزر الألمانى المدرع الى النيل ، الأمر الذى دفعه الى الاصرار ــ بعد فشل المحاولة الأولى لتوصيل عيونه الى القاهرة ــ على طلب معلومات أكثر دقة وتفصيلا عن أوضاع القوات البريطانية فى مصر ، بحيث تشمل ترتيبات احتلالها للمراكز الحيوية والنقط الاستراتيجية والاقتصادية الهامة ، كذا اجراءات القيادة البريطانية الخاصة بالوقاية ضد عمليات التخريب والمفاجأة فى حالة دخوله دلتا النيل .

وبعناد روميل الطبيعى ، فقد أصر على تلبية رغباته ، ولكن بعد التجربة الفاشلة لالتقاط الفريق عزيز المصرى ، ومحاولة اسقاط العميلين الألمانيين فى الصحراء ، فقد توصل (الماسزى) الى حل وحيد يتركز فى توصيل الجاسوسين الى القاهرة خلال الصحراء مباشرة على الطريق البرى .

وبناء عليه ، فقد عهد الأميرال (كناريس) بتنفيذ هذه المهمة الى (الماسزى) الذى اختار لها من رئاسة المخبرات فى برلين اثنين ممن سبق لهم الحياة فى مصر ، وهما (ابلر) و (ساندستد ست) ، أما التفاصيل الفنية للمحاولة الجديدة فقد عهد بها الى الآلاى ٨٠٠ براند بورجر (الذى أخذ اسمه من مدينة براندبورج) (١) .

---

(١) كان الآلاى ٨٠٠ براند بورجر متخصصا فى العمل فى مختلف مسارح الحرب حيثما تكون هناك حاجة ملحة الى مهام خاصة ، او اغارات فدائيين ، أو عمليات داخل أراضى العدو ، وكان معظم أفراد هذا الآلاى من الألمان الذين عاشوا خارج ألمانيا وأتقنوا اللغات الأجنبية ، كما كان معظمهم لا يزال يحمل جوازات السفر الأصلية التى كانت دول الأعداء قد منحتها لهم قبل نشوب الحرب .

صعوبات جديدة !

ومما زاد من صعوبة ترتيبات العملية الجديدة ، والتى استغرقت نحو مائة يوم ، ذلك التراجع العسكرى الذى أقدم عليه روميل فى شتاء ١٩٤١ من طبرق والسلوم الى (العجيلة) ، حيث كان ينبغى على العملاء قطع نحو ١٧٠٠ ميل برا من طرابلس حتى أسيوط (وهى نفس المسافة بين مدريد وموسكو) والتى يخترق جزء كبير منها أراض معادية ، وصحراء لم يسبق القدم انسان أن وطأتها .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد كان مطلوبا اخفاء طابور العربات لبضعة أيام عند نهاية الرحلة والتى كانت قد جهزت بتموينات تكفى ستة أسابيع ، كما امدهم سلاح الطيران بتجهيزات خاصة للتغلب على العقبات فى بحر الرمال الأعظم ، من مشايات مرنة للعربات توضع تحت العجلات فى مناطق الرمال الناعمة ، الى جهاز لاسلكى ذو مدى طويل ، وقصير فى نفس الوقت ، بحيث يكون كذلك محدود الحجم والوزن .

الألمان فى عربات بريطانية ! :

وهكذا وصلت قوة الكوماندوز ومعها جهاز اللاسلكى فى بداية فبراير ١٩٤٢ ، والجاسوسين (ابلر) و (ساندستدست) الى طرابلس ، حيث خصصت لهم فيللا للاقامة ، ليبدأ العمل على الفور فى اعداد العربات ، فتم اعداد لوارى عسكرية بريطانية (من المستولى عليها) من طراز فورد وجهزت برشاشات بجوار السائق ، كما جهزت ببوصلات من طراز (اسكانيا) الكروية ، كما رسمت على اللوارى علامات الجيش الألمانى ولكنهما لطخت بالرمال اللزجة بحيث أصبح لا يمكن ملاحظتها ، وبهذه الطريقة روعيت نصوص اتفاقية (هيج) ، ولبس العملاء الملابس العسكرية لتجنب اعدامهم رميا بالرصاص كجواسيس فى حالة القبض عليهم .

بداية رحلة الأهوال :

وفى يوم ٢٩ أبريل عام ١٩٤٢ بدأت رحلة المتاعب ، حيث أمكن لقوة الكوماندوز قطع الطريق حتى واحة (جالو) — التى كانت تحت السيطرة الايطالية العسكرية — وهناك قابلتهم أول المفاجآت السيئة ، فقد كانت الخرائط الايطالية غير دقيقة ، حيث أوضحت أن الأرض صلبة وصالحة لسير جميع أنواع الحملات بسهولة حتى واحة (الداخلة) ، وتبعا لروايات الأهالى وخبرة (الماسزى) ، فقد كان يوجد على مسافة ٣٠ ميلا شرقى (جالو)

كثبانا رملية متعرجة لا يمكن اجتيازها الا بالسير المتعرج ، وقد أكد استطلاع (الماسزى) أن هذه الكثبان الرملية الوعرة تمتد لعدة مئات من الأميال ، الأمر الذى يقلب تماما حسابات الوقود رأسا على عقب .

وجاءتهم المفاجأة الثانية ، مياه الشرب فى الواحة تفسد اذا ما حفظت فى اوعية ، وبذلك كانوا مضطرين الى ملء الأوعية من آبار تبعد ١٢ ميلا .

قاد (الماسزى) قوة الكوماندوز ، كل رجلين فى لورى (وكان عددهم جميعا ثمانية) بدت الأرض متماسكة مستوية حتى كان بامكانهم التحرك بسرعة ٦٠ ميلا فى الساعة ، دون مخاطرة .

لم تكن هناك أعمدة تلغراف أو حفر ولا أرصفة ، بينما الطريق الترابى يمتد الى مدى البصر .

وفى اليوم التالى ، بدأت المتاعب ، حيث كانت الكثبان الرملية تحدد طريقهم كالأمواج العاتية فى المحيط الأمر الذى اضطرهم الى السير ببطء شديد لمدة يومين تقدموا خلالهما ٢٠ ميلا فقط .

الشمس رفيقهم المؤلم :

اقتنع (الماسزى) أنه لا يمكن عبور بحر الرمال الأعظم ، لذلك فقد استخدم طريقا آخر ، بعد أن ترك طبيب المجموعة والرقيب أول ستيفن لاصابتهم بالمرض ، كان (الماسزى) يعرف أن الايطاليين قد ميزوه بأعمدة طويلة من الحديد وعلامات المساحة ، وهكذا ظلت الشمس المحرقة هى رفيقهم المؤلم .

وفى اليوم السادس ، قابلوا شيئا جديدا ، شيئا كتب عنه الرحالة الألمانى (فريدريك هورتمان) فى عام ١٧٩٨ : ((لقد رحلنا لمدة سبعة أيام خلال صحراء سوداء صخرية من المؤكد أنها أكثر الأماكن وحشة فى العالم ، ومن الجائز أن يكون المظهر المخيف لهذا السهل يرجع الى ثوران بركانى فى العصور القديمة)) .

كان هذا السهل الصحراوى مليئا بكتل البازلت التى بدت كأنما ألقيت بيد عملاق وحجمها يماثل حجم اللورى ، وبالقرب منها ، كانت توجد كتل يتراوح أحجامها ما بين قبضة اليد ورأس الانسان .

قام (الماسزى) باستطلاع المنطقة ، غاب عدة ساعات ، ليعود فى النهاية بعد أن وجد طريقا حالته متوسطة ويمكن عبوره ، وتابع الفدائيون طريقهم خلال هذا التيه بسرعة خمسة أميال فى الساعة ، اجتازوه فى ٦ ساعات ليظهر أمامهم على خط الأفق جبل هائل ، يرتفع ٢٥٠٠ قدم ثم يهبط بانحدار شديد لجهة الشرق حتى يصل الى رمال الصحراء .

ومرة أخرى تقدم (الماسزى) ـ ذلك المغامر الذى اقترن اسمه بجيش البانزر ـ لقد كان يتحرك فى الصحراء كبدوى قضى كل حياته فيها ، كانت لديه حاسة اتجاه غير عادية ، وكان كل ما يراه مرة واحدة ينطبع فى ذاكرته الى الأبد ، التفت الى رفاقه ليقول لهم بلهجته النمساوية ((لقد تجولت حول هذا المكان فى عام ١٩٣٠)) .

هذا المغامر الثائر ! :

ان سجلات الحرب الألمانيــة تصف الكابتن (الماسزى) بأنه رجل مرح ، مغامر ، ذلك الهنجارى الملكى النزعة الثـــائر والموالى للامبراطور كارل بعد الحـــرب العالمية الأولى ، والمغامر الطيار ، وسائق ســـيارات السباق ، ومستكشف الصحراء والمقاتل الى جانب المانيا » .

وها هو الآن يقود احد دوريات روميل الصحراوية ، كان عليه أن يعثر على الممر الذى يخترق الجبل الكبير .

قال (الماسزى) لرفاقه : « لقد هبطنا هنا فى ١٩٣٧ قادمين من الشرق والآن على ان أجد المدخل من الجانب الغربى ! » لقد كان هـذا المستكشف يبدأ رحلاته دائما من الشرق ـ من دلتا النيل ـ عندما كان يعمل كدليل طرق للمصريين والبريطانيين والمستكشفين والسياح والاستراتيجيين ، كان هـذا الكونت أفضل دليل للصحراء بالفعل ، وها هو الآن يقود رفاقه من الغرب الى الشرق فى اتجاه نيل مصر .

وما لبث (الماسزى) ـ بحاسته السادسة ـ أن وجد مخزنا للميــاه كان قد تركه فى عام ١٩٣٧ عند أسفل الجرف الكبير ، وكانت المياه المدفونة داخل صفائح محكمة لا تزال صالحة للشرب .

فتح (الماسزى) احدى الصفائح وصبها فى راحة أيدى الرجال المفتوحة ، فتذوقوها بحـذر ثم ما لبثوا أن شربوا منها وغســلوا وجوههم ، فياله من تبـــذير !

وفى هذا المكان بالدقة ، اخفى (الماسزى) أحد اللوارى وزوده بالمؤن التى تكفى لرحلة العودة .

ثم أرسل اشــارة لاســـلكية بالشـفرة لابلاغ جيش بانزر روميـــل عن مدى تقدم الرحلة تلك الاشارة التى التقطها بالفعل كل من عاملى اللاسلكى (أيرل) و (وير) (من آلاى البراندبورجر) فى خيمة بالقرب من (ماملين) فى برقة ، وبذلك أمكن لجيش البانزر متابعة نجاح رحلة الفدائيين .

باقى ٤٠٠ ميل حتى النيل :

بعد ثلاث ساعات وجد (الماسزى) الممر الذى يعبر الجبل الكبير ، وبعد قايل أمر بوقفه ليقول : « ما أبدعه من مطار طبيعى .. لقد بهرنى كذلك فى عام ١٩٣٧ ، ان اسطولا جويا كاملا يمكنه ان يهبط هنا .. أيها الرفاق باق ٤٠٠ ميل حتى النيل . »

وعند غروب يوم ٢٢ مايو ، شاهدت المجموعة أضواء واحات (الشارقة) تلمع فى الخلاء تحت أقدامهم ، وفى الصباح بدت لهم الأكواخ الخشبية ، كان من المستحيل المرور عبرها حيث كان بها العــدو ، وعلى ذلك فقــد امر (الماسزى) بتحرك اللوارى تحت ستر غصون الأشجار تقدموا فى لوريين - فى كل منها ٣ رجال ، وزمجر (الماسزى) : يجب ان نأمل خيرا يا رجال !.. ولكن اتضح لهم العكس ، فقد كانت الواحــة الصغيرة محتلة ، وقد تجمــع عدد من اللوارى وكذلك عدد من الجنود تحت النخيل ، فأصدر (الماسزى) تعليماته : « استمروا فى التقدم وارفعوا سقاطات الأمان برشاشاتكم » .

انهم من الجنود المصريين :

وعندما وصلت المجموعة اتضح لها أن هؤلاء الجنود من المصريين ، (من قوات الحامية التى تحرس الواحات) ، ورفع الحارس المصرى يده صائحاً : قف !..

وهنا قال (الماســزى) لابلر بالانجليزية : « تقدم يا ابلر وأبلغهم بأننــا الحرس الأمامى لفرقة بريطانية » .

فتوقف (ابلر) وقال للجندى بالعربية : « اننا الحرس الأمامى لقــائد الفرقة » ثم أشار الى المرتفع خلفه ، وقال : ربما كان الجنرال شخصيا قادما من هذا الطريق ..

تقول سجلات الحرب الألمانية :

« وكان من الطبيعى ألا يرتاب الحارس المصرى الذى يبعد الف ميل عن الخطوط الأمامية عندما يبلغه جندى بوصول الجنرال باللغة العربية » .

لوح لهم الجنــدى المصرى سامحا بالمرور ، ليقودوا سياراتهم بأقصى سرعة ، وعند ظهر اليوم التالى ، شاهدوا أسيوط على وادى النيل ، بينما كان النخيل يهتز وحقول القطن تمتد على مدى البصر ، ورفع (الماسزى) آلة التصوير التى لم تكن تفارقه ، ليقوم بتصوير علامة الطريق (أسيوط ـــ ٥ ميل) وبجانبها لوحة كتب عليها بالعربية والانجليزية : (خطر .. منحدر حاد .. القيادة ببطء) .

وبدأ الجاسوسان (ابلر) و (ساند ستدست) في ارتداء الملابس المدنيـــة ، ولم تنس ادارة المخابرات في برلين أن تضع علامة أحد مصانع الملابس بالقاهرة عليها ، ولم تترك شيئا للظروف ، حتى حافظتي نقودهما ، جهزتا بالخطابات الشخصية والصور الفوتوغرافية وايصالات فنـــادق مصرية ، وحلقة مفاتيح ومفتاح سيارة بويك أمريكية ، ونقد مصرى صغير ومفكرة نادي السيارات المصرى حافلة بالمذكرات والملاحظات والمواعيد.. الخ

نراكم قريبا في القاهرة مع روميل ! :

اخذ الجاسوسان حقيبتي ملابسهما من اللورى وبداخل احداها كان يرقد جهاز اللاسلكي ، وفي الثانية عشرين الفا من الجنيهات المصرية ، كان الوداع قصيرا وسريعا ، وقال (الماسزى) : « لا يوجد وقت للعواطف .. نراكم قريبا في القاهرة مع جيش البانزر » . ثم ســار الرجلان في اتجاه النيل ...

لقاء مع روميل ... :

عاد (الماسزى) مع رجاله لمسافة ١٥٠٠ ميل عبر الصحراء ، ليتجه الى مركز قيادة روميل في (بير حكيم) ، حياه التحية العسكرية وقال : سـيدى الجنرال لقد تم تنفيذ العملية بسلام ، ولقد كان بامكاني ان اصحب معى فرقة كاملة الى وادى النيل .

فربت ((روميل)) على كتفه ، وأمر بترقيته الى رتبة ميجر (رائد) وقال له ضاحكا : ((كونت الماسزى .. وأنا أرجو أن أصل الى هناك قريبا بفرقى الثلاث من طريق الاقصر !))

فاجاب الكونت (الماسزى) : ((سيدى الجنرال .. من المؤكد انه حينئذ سيجهز لك رجالنا هناك فيلا فاخرة ، هذا اذا وصلت قبـل أن يأسرك البريطانيين)) .

فى عوامة على النيل

وهكذا وصل (ابلر) و (ساندستدت) الى القاهرة بعد هـذه الرحلة الشاقة الجريئة وبرفقتهما جهاز اللاسلكى ، ليستأجرا عوامة على النيل . حيث لعب (ابلر) بنجاح دور الشاب المصرى الثرى (حسين جعفر) ، بينما قام زميله (ساندستدت) بدور الأمريكى الطائش ذو الأصل الأيرلندى . ثم قاما بتركيب جهاز اللاسلكى فى العوامة وأخذا فى الاتصال بحركة المقـاومة السرية للانجليز فى مصر ، وبالفريق عزيز المصرى رئيس هيئة أركان حـرب الجيش المصرى السابق الذى حاولت المخابرات الألمانية السرية تهريبه من قبـل .

داخل ملهى الكيت كات !

وبعيدا عن ميدان القتال ، لم تكن الحياة تدب فى ملهى الكيت كات عادة قبل أن ينتصف الليل ، وبخاصة فى ليالى الصيف الحارة ، حيث يبدأ الجو فى المساء يتحسن ، بينما يقوم الخدم بملابسهم المزركشة بالانحناء والترحيب بكبار الزوار الذين كانوا يتوافدون الى الملهى فى سياراتهم الفارهة ، وبرفقتهم النساء فى ملابسهن الأنيقة .

وجه الحرب والسلام فى آن واحد :

كان رواد هذا الملهى الليلى من أبناء الدول العربية وأوروبا يجـدون فى الكيت كات المسرات والبهجة اللتان كانوا يفتقدونهما فى زمن السلم ، وبخاصة فى هذه الليالى الصيفية من عام ١٩٤٢ حيث كانت مصر حينذاك ـ من الوجهة الرسمية على الأقل ـ دولة محايدة ، على الرغم من أنها كانت تمثل القـاعدة العسكرية الرئيسية لبريطانيا فى حرب الصحراء بشمال افريقية ، فقد كان بالامكان مشاهدة آلاف الجنود والضباط الانجليز ومن دول الكومنـولث البريطانى يملأون شوارع القاهرة وهكذا كان جو السلم والحرب معا يسودان معالم القاهرة فى وقت واحد .

الضباط والبكوات والجواسيس معا ! :

وفي المساء ، كان الضباط البريطانيون فى ملابسهم المدنية ، يحتلون معظم مقاعد الكيت كات بحثا عن المتعة والترفيه ، بينما كان بالامكان ملاحظة أبناء الباشوات والبكوات والأعيان وتجار السوق السوداء وهم ينفقون الأموال ببذخ ، جنبا الى جنب مع ذوى الحوافظ المتخمة بالمال وأصحاب آبار البترول ، وأولئك الذين يحصلون على دخلهم من القيام بأعمال التجسس لصالح الألمان أو الانجليز على السواء .

حكمت فهمى والجاسوس حسين جعفر !

كانت المصابيح الملونة تغمر الحديقة بأضوائها الزاهية ، والبار يضج بالصخب والضحك ، بينما انهمكت الفرقة الموسيقية فى عزف ألحان التانجو والفوكس تروت ، وفيما بين هذه الأنغام الأوروبية ، كان الملهى يقدم بعض الرقصات الشرقية ، وفى هذه الليلة بالذات كانت هناك نمرة خاصة تقدمها الراقصة الشهيرة (حكمت فهمى) ، التى كانت كلما رقصت ، دوى تصفيق يصم الآذان ، لتتناثر فوقها الزهور ، ويتقدم نحوها الخدم حاملين بطاقات الدعوة من المعجبين الأثرياء .

كان لحكمت فهمى عدد كبير من الأصدقاء ، وخاصة الضباط الانجليز ــ ولكن اهتمامها الحقيقى كان منحصرا فى شاب مصرى حديث السن ظهر مؤخرا فى مجتمعات القاهرة ، واسمه « حسين جعفر » (1) ، كان ثريا وظريفا يملك وقت فراغ لا حد له ، كما كانت لديه كل الصفات اللازمة لاكتساب صداقة (حكمت فهمى) ذائعة الصيت .

حكمت فهمى تكره الانجليز ! :

لقد تمكن الجاسوسان الألمانيان من استغلال كراهية الراقصة المصرية (حكمت فهمى) للانجليز ، وبذلك حصلا على معلومات على درجة كبيرة من الأهمية عن أوضاع القوات البريطانية فى مصر .

كانت (حكمت فهمى) تحصل على هذه المعلومات ، من الضباط البريطانيين الذين كانوا يثقون بها ومن (أحاديث الفراش) كانت هذه

---

(1) حسين جعفر هذا هو ذاته الجاسوس الالمانى (أبلر) الذى جاء مع زميله (ساندى) الى القاهرة لامداد روميل بالمعلومات عن أوضاع الجيش البريطانى فى مصر .

الراقصة المصرية فى سبيل كراهيتها لهؤلاء المحتلين الانجليز ؛ مستعدة لأن تقوم بأى عمل ضدهم ، لقد أبلغت (ابلر) ـ حسين جعفر ـ عن انتقال وحدات من الجيش العاشر البريطانى من سوريا وفلسطين الى مصر ، كما أبلغته عن وصول مائة ألف لغم الى جبهة العلمين ، وبذلك أمكن للألمان معرفة الموقع الدفاعى البريطانى المرتقب ، حيث لم يكن معروفا آنذاك أين سيجهز الجيش الثامن البريطانى خطه الدفاعى الجديد فى أعقاب تراجعه المنوالى أمام قوات روميل من الصحراء الليبية الى داخل حدود مصر ..

كما علم (ابلر) أيضا من (حكمت فهمى) أنباء نقل الفرقة الثانية النيوزيلندية بقيادة الجنرال (فريبرج) الى مرسى مطروح وذلك قبل أن تتحرك الفرقة بالفعل بوقت طويل .

جهاز اللاسلكى : صامت الى الأبد ! :

وكان (ساند ستدت) ، المعروف باسم (ساندى) يجلس الساعات الطوال أمام جهاز اللاسلكى فى مواعيد الاذاعة ليتلقى الاشارة المتعارف اليها دون جدوى ، بينما كان يضع الى جانبه الرسائل التى حولها بالشفرة بدقة عن الطبعة البريطانية لقصة « دافيد دى مورير » ـ ريبيكا ـ (1) وهكذا جلس رجلى روميل ، (ابلر) و (ساندى) وقد تجهم وجهيهما على المقاعد العالية يحتسيان كئوس الويسكى ، ليتساءلا :

« ما هى الفائدة التى تمخضت عنها هذه الرحلة الشاقة الخطرة مع (الماسزى) عبر الصحراء ؟ ، وما الذى انتهت اليه الآمال التى علقتها المخابرات الألمانية وعلقها روميل عليهما ؟ وهل يضيع هذا الجهد العظيم ويندثر ؟ »

---

(1) كانت المخابرات الألمانية قد حصلت على ٣ نسخ من قصة « ربيكا » من البرتغال ، أعطت نسخة منها الى جواسيس القاهرة ، والثانية لمجموعة كوندور ، والثالثة لمحطة اللاسلكى السرية فى اثينا .

السادات يحاول !

وهنا نصل الى دور الضابط المصرى الذى كان فى طليعة حركة المقاومة السرية ضد الانجليز .. أنور السادات .. يقول (١) :

((فوجئنا فى يوم أن الطيار حسن عزت ، وكان معانا فى التنظيم ، يحضر الينا ليخبرنا بأن اثنين ضباط ألمان روميل أرسلهم ووصلوا للقاهرة ، وفى ذلك الوقت لم يكن الاتصال بيننا وبين روميل قد تم ، فقلت له لا مانع نراهم، وفعلا قابلناهم لقينا واحد منهم كان أصله عايش فى مصر ومسمى نفسه حسين جعفر) فبعثه روميل عبر الصحراء الغربية والواحات الى أسيوط مع زميل له يدعى (ساندى) ومن هناك ركبا القطار ، ودخلوا القاهرة لأجل الاتصال بحركة المقاومة فى القاهرة تمهيدا لدخول روميل ، وكان معه زميله الخبير فى اللاسلكى ، ذهبت لمقابلتهم ، وسألتهم هل أنتم من قبل روميل ؟ قالوا نعم ، قلت لهم احنا حاولنا الاتصال بروميل وأرسلنا طيار من عندنا ومعه خرائط بمواقع الانجليز وخلافه ، ونريد أن نعرف النتيجة ، ونتصل بروميل لأننا حركة مقاومة داخل الجيش ، فقالوا ان معهم جهاز لاسلكى لكن يبدو انه معطل ، ولكن كما علمت فيما بعد الجهاز لم يكن عاطل ، قلت لهم أنا مستعد للكشف عليه ، لأننى ضابط لاسلكى أصلا فى سلاح الاشارة فوافقوا ، أخذونى معهم الى العوامة وعاينت الجهاز ، ولكن لأنه صناعة ألمانية ، فقد أخبرتهم بأنه لا مانع لدى من اخذه واصلاحه ، الجهاز كان على أعلى مستوى فنى من حيث الارسال والاستقبال ، أخذته معى وكان يوم جمعة ، كانت المخابرات البريطانية تراقب العوامة منذ أسبوع ، أخذت الجهاز ووضعناه فى تاكسى نهارا ، واخذت الجهاز على منزلى ، ومن أول خمس دقائق كان الجهاز شغال وصالح للاستعمال ، ولم أكن أعلم بطبيعة الحال أن هذين الجاسوسين مراقبين منذ أسبوع بواسطة المخابرات البريطانية ، وأنا أيضا كنت مراقب بواسطة المخابرات المصرية وصادر أمر بابعادى من الخدمة بالمدن ، والمخابرات المصرية كانت متعاونة مع المخابرات البريطانية ومر يومين، وفى اليوم الثالث وفى الثانية بعد منتصف الليل حضر الى منزلى ضباط من البوليس السياسى ، وضباط من ادارة المخابرات الخاصة بالجيش ، وضابط

---

(١) فى حديث سيادته يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥ بمناسبة عيد ميلاده ..

من المخابرات البريطانية ، الى جانب مئات المخبرين الذين انتشروا حـــول البيت ، كان الهدف من حضورهم بهذه الصورة الحصول على الدليل الذى لا يقبل الشك وهو ضبط جهاز اللاسلكى الألمـــانى ، لأنهم رأونى وأنا انقله من العوامة الى منزلى ، وقد كانوا بطبيعة الحـــال واثقـــين تماما من أنهم سيضبطون الجهاز لأنه لم يخرج من منزلى ولكنهم لم يجـــدوه حيث قمت بتهريبه بواســـطة أخى الكبير من غرفة الى غرفة ، كل ما عثروا عليـــه بعض الكتب ومنهـــا كتاب (كفاحى) لهتـــلر ، أخذوه كأنه بينة وأخذونى معهم وأوقفت ووضعت تحت الايقاف والحراسة فى ميس الضباط .

نطق ملكى كريم ! :

يضيف الرئيس السادات :

((فى نفس الوقت قبضوا على الجواسيس الألمان (١) ، وأمسكوا بالعملية كلها ، وتعرف على (ابلر) ـ حسين جعفر ـ ولم أنكر ، لأننى استنتجت أن العملية كلها قد كشفت ، قلت انهم ضباط انجليز من ســـلاح الاشـــارة البريطانى قدموا لى أنفسهم بهذه الصفة ، لم يستطيعوا أن يثبتوا عـــلى أية تهمـــة ، وبعد مرور شهرين ، هدأت أعصاب الانجليز قليلا ، والقضـــية لم يجدوا فيهـــا مادة تديننى ، دخل على فى ميس الضباط بمنشية البـــكرى اثنين ضباط منهم البكباشى عارف ، واخرج ورقة وقرا : تفضـــــل حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول واستغنى عن خدمات حضرتكم ابتداء من اليوم ، وأنت حر من الآن !)) .

---

(١) يكشف الرئيس السادات ـ فى مقال له بصحيفة الجمهورية ـ ١٩٥٣/٢/٢٤ عن تفاصيل القبض على الجاسوسين ، اللذين انغمسا فى المغامرات النسائية بعد ذلك ، حينما لعبت الخمر برأسيهما ذات ليلة ، فانطلقا ينشدان نشيد (المانيا فوق الجميع) ، أمام فتاتين يهوديتين من الغوانى ، وبذلك كشفا عن هويتهما ، وبعد ساعات قليلة كان الجاسوسين فى طريقهما الى السجن ، بعد أن ابلغت عنهما الفتاتان المخابرات البريطانية .

سر الخرس الذى أصاب جهاز اللاسلكى !

لقد اجمعت كافة المصادر المتيسرة على ان جهاز اللاسلكى الذى كان برفقة عينى روميل فى القاهرة (الجاسوسين ابلر وستاندستدت) والذى قاما بتركيبه فى عوامة الراقصة حكمت فهمى بالعجوزة ، كان سليما ، يؤكد هذا تماما ما رواه الرئيس السادات – فى حديثه يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥ – حيث قام سيادته بالكشف عليه من الناحية الفنية ، ولم يجد به أى عطب يمنعه عن الاستقبال أو الارسال ...

لذا فقد وجهت اهتماما خاصا الى محاولة معرفة سر هذا الخرس الذى اصيب به هذا الجهاز ، ذلك الخرس الذى جعل المعلومات السرية التى كان يحصل عليها الجاسوسان الألمانيان من الراقصة حكمت فهمى ومن الضباط الانجليز كذلك ، عديمة القيمة ، حيث ظلا هما فقط اللذان يعرفانها .. بينما كان الهدف الأصلى للخطة والمغامرة التى أوردناها يتركز فى توصيل هذه المعلومات الثمينة الى روميل فى صحراء مصر الغربية ...

لأن الجيش الثامن اجتاح مركز قيادة روميل !

تكشف لنا يوميات الحرب البريطانية عن السر الى حد بعيد .. (١)

فخلال المعارك الضارية التى دارت بين الجيش الثامن وقوات روميل يومى ٢٧ ، ٢٨ مايو ١٩٤٢ حين قامت التشكيلات البريطانية بمهاجمة وحدات الفيلق الألمانى المدرع خلف خط الغزالة لتضعه فى خطر محقق بعد أن نفذت هذه الهجمة الشرسة من كل اتجاه ، وفى الصباح الذى كان على روميل أن يسرع فيه بالهرب وذقنه نصف حليقة ، والصابون لا يزال يغطى وجهه ، ووسط هذا الاضطراب الشامل الذى خيم على ميدان القتال ، قامت القوات البريطانية باسر افراد مخابرات روميل ، بما فى ذلك مركز الاشارة (اللاسلكى) الذى كان مكلفا بتلقى رسائل عيون روميل فى القاهرة والرد عليها ، وبذلك وقعت الشفرة الألمانية (قصة ريبيكا) ايضا فى يد الانجليز ، الذين كلفوا جهاز مخابراتهم فى القاهرة بالبحث عن الجاسوسين والقبض عليهما (وهو ماحدث بالفعل بعد شهور ثلاثة فى سبتمبر ١٩٤٢) .

Desert generals : Barnett Covelli, William Kimbler, London. 1960.

مدير المخابرات الألمــانية : اقطعوا كل اتصال مع القاهرة !

ولم يكن الأميرال (كناريس) ــ مدير المخــابرات الألمــانية فى برلين ــ بغافل عما حدث فى معارك يومى ٢٦ ، ٢٧ مايو الدامية ، وما تم من نسف خطته بأسرها .

تقول يوميات الحرب الألمانيــة فى هذا الصدد ، أن محطات الاســتقبال الألمــانية ــ سواء فى برلين أو فى مقر قيادة روميل على السواء ــ قد استمعت بوضوح الى النداءات الأولى الصادرة عن جهاز (ايلر) ــ حسين جعفر ، وزميله لكنها كانت قد تلقت تعليمات مدير المخابرات الألمانية بعدم الاجابة على أية اتصالات من القاهرة ، وكانت وجهة نظره فى ذلك ــ أنه مهما طال الوقت أو قصر فان جاسوسى القاهرة لا بد وأن ينكشف أمرهما بواسطة المخابرات البريطانية (والتى تتمتع بسمعة طيبة وقدرة جيدة) مما سيؤدى بطبيعــة الحال الى قيام السلطات البريطانية باعدام الجاسوسين بعد أن تتوفر لديها ــ فى حالة قيام اتصال فعلى ــ الأدلة الكافية لذلك .

كما كانت لدى الأميرال (كناريس) وجهة نظر أخرى (بعيدة فى الواقع) فى هذا الشأن ، حيث كان يخشى ــ بعد أن عرف الانجليز سر الشفرة ــ أن يقوموا بارســال اشــارات مزيفة للألمــان بهدف ايقــاع الضرر بجيش البانزر الألمــانى فى الصحراء الغربية ، وبذلك لن تكون هناك أية فائدة من معلومات ابلر ورفيقه ، الأمر الذى دفعه الى اصدار أوامره المشددة بعــدم الاتصال بتاتا بهما (وكان هذا بمثابة ذكاء مفرط منه) وأمر ضرورى لأمن وسلامة رجليه كذلك .

وبهذه الطريقة فقط ــ يقول كناريس ــ يمكن أن يمنحا فرصة للنجاة من الاعدام فى حال القبض عليهما (وهو ما حدث بالفعل) .

وهكذا أصبح التساؤل الذى كان يسود برلين وقتذاك :

« ترى من الذى سيفوز فى هذا السباق (نحو الدلتا) مع الوقت ؟ . .
« هل تصل مدرعات روميل اليها قبل أن تزور المخابرات البريطــانية « عوامة النيل ؟ . . » .

وأجاب الانجليز عمليا على هذا التساؤل ، حينما اكتشــفوا حقيقــة (عيون روميل) فى القاهرة والقوا القبض عليهما فى عوامتهما على النيــل فى خريف عام ١٩٤٢ كما تقدم!

الفصل الثامن

- دور البغدادى ووجيه اباظه
- السادات : لماذا أردنا الاتصال بروميل ؟
- معاهدة لم تر النــور
- السادات يرفض المحاكمة أمام ضابط بريطانى !
- أبعاد فلســفة السادات
- الســلاح السرى للسادات !

عودة الى السياسة :

ســلاح الســادات السرى .!

عودة الى السياسة :

السادات يجمع الضباط الأحرار

رأينا كيف فشلت محاولة المخابرات الألمانية فى اختطـاف الفريق عزيز المصرى ونقله الى خطوط الألمان أو برلين فى عام ١٩٤٠ .

وجاءت المحاولة الثانية ، لنقل عزيز المصرى الى خطوط روميل ، والتى يرويها قائد السرب حسن عزت (١) ـــ رفيق الكفاح للرئيس السادات بقوله:

« ذات يوم ، حضر أنور السادات وقام بجمع لجنـة الضباط الأحرار ليفضى الينا بمعلومات خطيرة ..

وفى مقرنا السرى بكوبرى القبـة ، اخبرنا السـادات ، بانه كان يزور الفريق عزيز المصرى ، وان ضابطين المانيين من فيلق البانزر الأفريقى التابع لروميل ، قد اتصلا ـــ عن طريقه ـــ بعزيز المصرى لتحديد طريقـة لتهريبه اليه ، وطلب مساعدته لوضع الخطة اللازمة لتهريب عزيز المصرى الى برقة للانضمام الى قوات روميل . »

دور البغدادى ووجيه اباظة :

« وهكذا تم تكليف البغدادى بوضع الخطة الجوية ، وتدبير الطـائرة التى تصلح للقيام بهذا العمـل ، حيث كان أكثرنا خبرة بالطـائرات ذات المحركين ، ـــ والتى كان سلاحنا الجوى مسلحا بها وقتذاك ـــ بينما كلف وجيه أباظة بتجهيز دورية قتـال جوية لحراسة الطـائرة (لأنهـا لم تكن مسلحة) حتى يمكنها عبور الحدود . »

السادات : لماذا كنا نريد الاتصال بروميل ؟

ويشرح الرئيس السادات (٢) أهداف اسرار الضباط الأحرار وقتذاك على الاتصال بروميل ، فيقول :

---

(١) اسرار معركة الحرية ـ قائد سرب حسن عزت ـ ١٩٥٣

(٢) فى حديث سيادته يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥ بمناسبة عيد ميلاده

« لقد قررنا ـ حينما فوجئنا بروميل على ابواب الاسكندرية ، اننا نتصل به قبل دخوله لنخبره باننا حركة وطنية ، حركة مقاومة ، ونشرح له اننا لا نريد لا احتلالا بريطانيا ولا ايطاليا ، وفى مقابل هذا فنحن مستعدون ، اذا اردتم ـ ان نشترك بفرق من عندنا فى الحرب ، مستعدون نحارب ، لكن الأساس يبقى استقلالنا التام ، اذن كيف نوصل لروميل ؟ .. الألمان كان لهم اتصال هنا بعزيز المصرى ، اتصلت هنا بعزيز المصرى بواسطة عملاء ألمان كى يسافر ، لأن عزيز كانت لديه خبرة حيث عمل ضابطا فى الجيش التركى وله خبرة بمنطقة سوريا ولبنان والعراق وتركيا ولهذا كانوا يريدونه كى يساعدهم هناك ..

اتفقنا ان نبلغ روميل هذا الأساس ، لكن كيف ؟ .. كان معنا طيار يدعى سعودى ـ رحمه الله ـ فى التنظيم ، وكان فيه أيضا البغدادى من سلاح الطيران وحسن ابراهيم ، وكان حسن عزت من سلاح الطيران كذلك. القرعة وقعت على سعودى أنه يقوم بطائرته الجلاد بيتور (١) .

السادات : معاهدة لم تر النور :

يقول الرئيس السادات (٢) :

« اتفقنا ، وكتبنا معاهدة بيننا وبين روميل كى يوقعها ، وعربونا لهذا قمنا بتصوير جميع المواقع الانجليزية فى مصر ، واعطينا كل شيء لسعودى ليقدمه لروميل كعربون على حسن نيتنا ، وكان اول نص فى المعاهدة اننا نحصل على استقلالنا التام ، بحيث لا نكون من نصيب ايطاليا ولا من نصيب المانيا ، وانما استقلال تام .

سافر سعودى ، ولم يصل لأنه عند مطار العلمين أصيبت طائرته (اعتقد الألمان أنها تابعة لسلاح الجو البريطانى حيث كانت من طراز بريطانى) وبذلك نسفت الحقيبة التى تحوى ما أعددناه ، وعلى ذلك لم يتم الاتصال بروميل . »

السادات : فليضربونى بالنار ، ولكنى لن أفرط فى شرف الوطن !

عقب اسقاط طائرة المرحوم أحمد سعودى ، قامت المخابرات المصرية ـ بالتعاون مع المخابرات البريطانية ـ بالقبض على كل من قائد السرب حسن عزت واليوزباشى (وقتئذ) أنور السادات ..

(١) من حديث الرئيس محمد أنور السادات يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥ .
(٢) فى نفس الحديث .

ويروى لنا حسن عزت ما حدث (١) :

« ذات يوم ، حضرت قوة كبيرة برئاسة البكباشى هجرس الى ورش الطيران بألماظة وكان بينها عدد كبير من ضباط المخابرات ـ والقوا القبض على ، ليتوجهوا بى الى ادارة المخابرات ..

« وفى المخابرات ، شاهدت عددا من الضباط يحاصرون ضابطا برتبة اليوزباشى كان هذا الضابط هو زميل الكفاح أنور السادات ..

كانت التعليمات قد صدرت بايقافى أنا وانور عن العمل ، ومرت الأيام وايماننا بالله لم يتزعزع ، وعزيمتنا لم تلن دقيقة واحدة على الرغم مما لاقيناه من اهوال ..

وضعت تحت الحراسة المشددة بميس سلاح الفرسان (المدرعات الآن) بينما وضع السادات فى ميس احدى كتائب المشاة بكوبرى القبة حتى لا يتصل أحدنا بالآخر ..

السادات يرفض المحاكمة امام ضابط بريطانى :

يقول قائد السرب حسن عزت :

« وتمهيدا لمحاكمتنا ، شكل لنا مجلس تحقيق ، بدأت المخابرات فى التحقيق معنا ، كان حارسنا هو البكباشى محمد هجرس ـ نائب مدير المخابرات ـ يساعده ضابطان مصريان وضابطان بريطانيان أحدهما يدعى الميجر « سمسون » .

وفى الصباح اقتادونى الى ادارة المخابرات ـ تحت الحراسة القوية ـ للمثول أمام المجلس العسكرى الذى شكل لمحاكمتنا ..

وعند دخولى الى المجلس ، قابلت السادات خارجا من المجلس وقد انتابته حالة شديدة من الغضب والثورة ، وسمعته يصيح بصوت عال : لا يمكن أن أحاكم أمام ضابط بريطانى ، أنا ضابط مصرى .. والقانون ينص على أنى أحاكم امام ضابط مصرى مثلى ، وهؤلاء الانجليز ليس لديهم هذا الحق .. حتى لو ملك مصر اعطاهم هذا الحق ، برضه لن احاكم امامهم .. يقدروا يضربونى بالنار .. لكن يستحيل ان افرط فى شرف العسكرية المصرية ! »

---

(١) أسرار معركة الحرية ـ قائد سرب حسن عزت ـ ١٩٥٣

يقول قائد السرب حسن عزت :

« وكان كلام أنور هــذا بمثــابة انذار لى ، فدخلت الى قاعة المجلس وعندما بدأ الرئيس فى استجوابى ، طلبت منه أولا اخراج هؤلاء الانجليز من القاعة ، وانتهت الجلسة بترديدى لنفس كلام أنور وجاءوا بنا الى المحكمة ثانى وثالث ورابع يوم .. لتســتمر المحاكمة شــهرين ونحن مصرين ــ أنا وأنور ــ على رفض الحديث تمــاما ، وهكذا صــدرت الأوامر بطردى أنا والسادات من الجيش ! »

السادات : لم يحصلوا منا الا على نظرات الاحتقار ! :

ويروى لنا الرئيس الســادات ــ من خلال مذكراته (١) ــ قصة هــذه المحاكمة حين يكتب :

« وظهرت لى الحقيقة كاملة عندما علمت بعــد ذلك أن الجاســوسين الألمانيين قد امتنعا عن الكلام يوما كاملا ، ثم حملتهما المخابرات البريطــانية حملا الى مستر تشرشل ، ــ الذى كان يزور مصر وقتذاك ــ فلما مثــلا أمامه ، وعدهمــا بحياتهما اذا هما اعترفا بكل شىء ، واختــار الجاسوسان الحياة ، فاعترفا اعترافا كاملا ، ليجيئا بى وبحسن عزت الى السجن .. !

وكان المجلس مكونا من ٣ ضباط من المخابرات المصرية ، واثنــان من الانجليز أحدهما الميجر (جنكينز) والثانى الكابتن (سامبسون) من قلم المخابرات البريطانية علاوة على ضابط من البوليس المصرى .

يضيف الرئيس السادات :

« وقد لا تهم القارىء تفاصــيل المحاكمة ، فقــد كان أهم ما فيها هو اعتراضنا على أن نحاكم ــ كضباط مصريين ــ أمام ضباط انجليز ، حتى ولو كانوا مخولين هذه السلطة من الملك أو وزير الدفاع ــ حمــدى سيف النصر وقتــذاك ــ **أو من رئيس الحكومة نفسه (مصطفى النحاس) ، ولم يســتطع المجلس العســكرى أن يحصــل منــا على شىء .. لا اعترافات ولا اجابات ، لا شىء الا نظرات الاحتجاج العنيف ونظرات الاحتقار ..**

---

(١) أسرار الثورة المصرية كتاب الهلال ــ ١٩٥٧ .

« وهكذا تقرر وضعنا تحت الايقـاف ، ثم طردنا من الجيش فى ١٨ أكتوبر ١٩٤٢ ــ أى بعد حادث ٤ فبراير بثمان شهور فقط ــ ولم نكد نبرح اماكننا فى الجيش ، حتى تسلمتنا السـلطات المدنية لتحملنـــا الى سجن الاجانب : ومنه الى معتقل المنيا . »

« كنت أقرأ منذ خمس سنوات ، وفى شهر رمضـان بالذات ، قصيدة لشاعر ألمانى صوفى ، يردد دعاء حارا صادقا لله سبحانه وتعـالى ، وهو فى هذا الدعاء ، لا ينسى أن يعيش على الأرض ، وهو يسبح بروحـه فى ملكوت الله الأعلى » .

لذلك صدر دعاؤه رائعا ، يترجم عبادته لله ، وحبه المتقـد فى نفسه ، وفناءه المتصل به ، كل هذا تترجمه ألوان من هذه الطبيعة التى رسمتهـا لنـا يد الخـالق العظيم ، فابدعت وأذهلت ، استمع معى الى ذلك الصوفى وهو يقـول :

« هو ربى الذى اعبد ، وهو ربى الذى أعشق ، وهو ربى الذى من أجـله أريد أن أتألم وأريد أن أتعـذب وأريد أن انفطر ، وأتمزق وأموت ..

انه ليتغلغل فى عقلى ، تغلغل الحرارة المبـاركة فى عظام شيخ محطم ، ويندمج فى كيانى ، كما يندمج العطر فى الزهرة والثمرة فى الشجرة ، والنور فى الظـلام .. فامنحنى يا الهى قوة الفكر ، كى اعيش فيك واصبح كالأسد .

وهبنى يا الهى بروح التواضع ، كى أتقرب منك فى وداعة البنفسج .

واسكب على يا الهى ضوء القناعة كى انفذ اليك فى حكمة العبـاقرة .

وجللنى يا الهى بروائع جمالك ، كى أندمج فيك وأسبح بحمدك دنيا وآخرة » ..

يكتب السـادات :

« سنظل نشقى على هذه الأرض ، وسنظل نضل الطريق ، ولن نستمتع بهذه الحيـاة الا اذا ارتفعنـا فوق نفوسـنا ، لنفكر فى خلق السموات والأرض ...

ربنا ما خلقت هذا باطلا .. سبحانك » .

من مقال للرئيس السادات
صحيفة الجمهورية ــ ١٠ مايو ١٩٥٤

لعل هذا المقال الذى أورده الرئيس السادات على صفحات الجمهورية عام ١٩٥٤ يكشف لنا جانبا شديد التأثير على فكر السادات ..

انه الايمان بالله .. ايمان يصل الى حد التصوف ـ دون الابتعاد عن امور الدنيا ..

ايمان بلورته نشأة السادات ، فوق قطعة من قلب مصر ، فى ريفها السخى الذى يعطى بلا من ، ويشمخ فى غير استعلاء ..

لقد تمكن السادات من الربط بين هذا الايمان وبين السلوك الانسانى الذى يترجم الى قرارات وأفعال محددة ..

لقد فتح عينيه فى القرية ، ليجد أن التاريخ قد دخل أسرته ، ليس تاريخا مجردا ، بل هو جزء من تراث العائلة نفسها ..

على الحائط ، يشاهد صورة الزعيم « مصطفى كمال أتاتورك » الذى اعاد لتركيا شبابها ونقلها من القرون الوسطى الى القرن العشرين ..

ومن أحاديث جدته ، يعرف السادات أن عمها كان أحد فرسان عرابى أيام الحرب العرابية التى انتهت باحتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢ ، تلك الأحاديث التى يقول عنها السادات (١) :

« لم تكن أحاديثها للتسلية يا بنى ، وانما كانت دروسا وعبرا .. وأول ما حدثتنى به يا بنى ، كان عن عمها ، الذى كان ضابطا فى الجيش المصرى أيام ثورة عرابى ، اننى لا زلت أذكر كيف كانت تحكى لى ، وفى عينيها بريق وحماس عجيبان ، كيف كان الناس فى القرية مفتونين بعرابى ، ذلك الضابط المصرى الفلاح الذى تحدى الخديو التركى من أجل وطنه ، كانت دعواتهم له بالنجاح حارة ، ومن كل قلوبهم ، خاصة وأنهم عرفوا أن الخديو الخائن قد استنجد بالانجليز الأجانب » .

---

(١) « يا ولدى هذا عمك جمال » ـ انور السادات ـ دار المعارف ـ القاهرة .

لقد دفعه هذا الربط بين الايمان وبين حبه لوطنـــه ، ومنذ تخرجه من الكلية الحربية الى تسجيل وترديد قصص البطولة والفـــداء التى كتبهـا الجندى المصرى فى مختلف المعـارك التى خاضها عبر التاريخ ، وذلك كنوع من الايمان ، عندما يتجسد ويتحول الى طاقة جبارة لا يقنع صـاحبها الا بالنصر أو الشهادة .

وفى هذا يقول اللواء عبد الله لطفى :

((كان السادات يبحث عن هذه القصص بين الوحـــدات العســـكرية ويرددها بين ضباطه (١) . وجنـــوده ، وفى كل وحدة التحق بهـــا كانت معنويات مقاتليها ترتفع الى السماء نتيجة وجوده بينهم ، وسلوكه النابع من اخلاقياته المتينة ودعامتها الايمان والتربية الأسرية الغنية بتقـاليد ومفاهيم القرية المصرية .

لقد سمعنا بعد تخرجه انه اقام بمعونة بعض زملائه مسجدا صغيرا فى سـلاح الاشارة ، بامكانيات ضئيلة جـدا ، وكان عمره ٢١ عاما ، وقد دفع كثيرا من ضباط السلاح الى تأدية الصلاة ، وحين صار (بعضنا) برتبة لواء اعترفنا بأن أنور السادات هو الذى قادنا الى حظيرة الايمان)) (٢) .

لا كرامة لوطن يداس بالأقدام !

ان صفة الايمان تلك ، المقرونة بحب الوطن والولاء له ، نلمحها بصورة أوضح ، فيما كتبه السادات ــ فى كتابه « يا ولدى هذا عمك جمال » ــ :

« ان اروع متعة يا بنى فى هذه الحياة . . أن تكون صادقا مع نفسك دائما وتعلم يا بنى أن تغفر للناس ، فان اتعس لحظات يعيشها انسان على ظهر هذه الأرض هى تلك التى يتملك النفس فيها غضب أو حقد او كراهية .

---

(١) حمدى لطفى : أنور السادات ، قصة بعث العسكرية المصرية ــ كتاب الهلال ، ١٩٧٢

(٢) نفس المصدر .

ولكن :

تعلم أيضا يا بنى ألا تغفر أو تتهاون أبدا مع من يعتدى على وطنك فانك لن تعرف السلام أبدا ووطنك معتدى عليه ، ولا كرامة ولا شرف لأى انسان ، اذا كانت كرامة وطنه فى التراب أو كان شرف وطنه يداس بالأقدام » .

وتتضح لنا الصورة رويدا ! :

.. وهكذا تتبلور لدينا ــ رويدا رويدا ــ العوامل والظروف التى شكلت فكر السادات ...

ايمان بالله لا يتزعزع .. وعى عميق بتاريخ مصر ونضالها ضد غارات الجبابرة على مر العصور .. ايمان لا تشوبه شائبة بالارادة الانسانية للجندى المصرى حينما يهيأ له المناخ السياسى والعسكرى الملائم ليظهر قدراته الخلاقة ، ايمان بكرامة الوطن وكراهية الاحتلال وعشق الحرية .. ، فلا كرامة لمواطن غير آمن على يومه وغده ..

سلاح السادات السرى ..!

ان الطيار أول حسن عزت ـ فى سياق مذكراته التى كتبها عام ١٩٥٣ ـ وقبل أن يتولى الرئيس السادات مقاليد البلاد ، وهذا أمر له أهمية بالغة فى حد ذاته ، **حيث لا يمكننا أن نعتبره نوعا من الرياء او المداهنة ، يكشف لنا عن حقيقة عاشت فى وجدان السادات منذ شبابه الباكر ، فى ميت أبو الكوم ، مرورا بقصة كفاحه الطويلة من اجل مصر ، وتوليه الحكم فى عام ١٩٧٠ ، ثم قيامه بتصحيح مسيرة ثورة يوليه ١٩٥٢ فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، والتى تجلت بانصع صورها فى الاعداد والتنفيذ لحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ..** ، تلك الصفة التى سنتعرف عليها من حديث الطيار حسن عزت ـ رفيق الكفاح للرئيس السادات ، **يقول** : (١)

حينما دخلت السجن ، أنا واليوزباشى أنور السادات ، كان معى متاع كثير من ماكولات وملابس وأدوات تسلية ، أما زميلى أنور السادات ، فقد دخل ومعه حقيبة صغيرة ، بها بيجامة وفوطة وسجادة صلاة ومصحف وبعض الأشياء الشخصية البسيطة ، فاخذنى العجب وقلت له : هل هذا كل متاعك ؟ فنظر الى باستغراب وقال : وهل هذا قليل ؟

فأجبته : على كل يا أنور أنا معى ملابس كفاية وأدوات تسلية كثيرة ، وكل ما معى تحت أمرك .. **فلم يجبنى ..**

كنت فى أشد حالات الضيق ، بينما كان السادات يبدو هادئا تماما قلت له كأنما لأشركه فى همومى : **وماذا ستصنع فى أولادك وبيتك ؟ .. ولكنه انصرف** عنى الى الوضوء قائلا : « لهم الله » ثم قام للصلاة ، وبعد أن صلى بهدوء تام سحب مصحفه **وأخذ** يرتل القرآن بصوت خاشع رخيم ، فاشتد غيظى وسخطى ازاء هذا الهدوء ، ولم أتملك نفسى **فقلت له : كفى .**

فأجابنى باشفاق شديد : الله يهديك يا حسن ، قم توضأ وتعال نصلى ركعتين ، فرفضت ، فاستمر يقرأ القرآن ، فصحت فيه ليسكت .. لينظر الى فى عطف وحنو ويقول : « الله يهديك يا حسن .. باقولك قوم توضأ وتعال صلى معايا » ولما رفضت للمرة الثانية استمر أنور فى الصلاة وقراءة القرآن ، وقمنا للطعام ، ثم قام أيضا **باستكمال الترتيل ..**

---

(١) اسرار معركة الحرية ـ قائد سرب حسن عزت ـ ١٩٥٣

ولما لم يكن هناك ما افعله فى هذه الحجرة الضيقة ، فقــد اضطررت للانصات لما يقراه انور ، وتأثرت بسحر القرآن ، ووجدت نفسى بعــد فترة قصيرة أتتبع الفاظه ومعانيه وأتفهمها سرا دون أن أكلم انور ، ورويدا رويدا شعرت بلذة عظيمة فى الاستماع الى ما يقراه ، ثم برغبة فى الائتناس بذلك المصحف ، وهكذا بدأت أعصابى تهدأ . .

وبدأت الحياة تطيب لى ، وشعرت بالطمانينة تملأ قلبى ، لقد ملأ ذلك المصحف الصغير علينا الحجرة ، وقلت لأنور : أريد أن أصلى معك ركعتين، وهنا فقط عرفت ضخامة المتاع الذى دخل به الســادات السجن ، وضآلة المتاع الذى دخلت انا به ، لقد كان انور يملك سلاحا سريا لم أكن أمتلكه ! »

الحرية للشرفاء جميعا :

وتتكشف لنا ــ من خلال مذكرات قائد السرب حسن عزت (١) ــ صفة عرفتها مصر بأسرها فى رئيسها الذى ما أن تولى مقاليد حكم البلاد عام ١٩٧٠ حتى أغلق المعتقلات ، وحطم الأسوار ، ليتنفس جميع الشرفاء فى مصر نسيم الحرية ؛ بعد ان أزال القيود عن الصحافة وأطلق العنان للفكر ، لم يعد المصرى يشعر بأنه غريب فى وطنه ، وبالتالى أحس بالانتماء اليها وبذلك حقق أبناء مصر ــ جنود النيل الخالد ــ أول انتصار عسكرى حقيقى منذ عام ١٨٤٠ على جيش اسرائيل (الذى لم يكن يقهر !) .

لقد أبى السادات ــ أن يخطط للتحرر من أغلال السجن ، دون أن يتيح هذه الحرية لجميع المعتقلين معه ــ الذين لم يرتكبوا جرما الا حبهم لوطنهم .

يقول حسن عزت :

« وهكذا ضم المعتقل خليطا من الوطنيين ، منهم أربعـــة ضباط هم : اليوزباشى أنور السادات ، والبكباشى محمد كامل الرحمانى والقائمقام فؤاد صادق (٢) وأنا ، ثم انضم الينا الصاغ رزق صليب الذى اتهم بترويج الكتاب الأسود الذى أصدره مكرم عبيد ضد النحاس وحكومته ، فجىء به الى المعتقل ، الا أنه لم يفصل من الجيش .

وفى يوم ، وكانت ادارة المعتقل قد أخذت فى مضايقتنا ، والتدقيق علينا بكافة الوسائل ، بدأنا فى رسم خطة للهرب ، لم نكتف بهروبنا نحن الاثنين ، أنا وأنور ، ولكن فكرت مع السادات فى وضع خطة أخرى .

وقع نظرنا على حجرة تقع فى أقصى حديقة المعتقل على الحدود بيننا وبين حديقة الجار ففكرنا لو خرقنا سقفها المصنوع من الخرسانة المسلحة ، حينئذ يمكننا القفز الى الشارع حيث تنتظرنا سيارة .

---

(١) أسرار معركة الحرية ــ قائد سرب حسن عزت ــ ١٩٥٣ .

(٢) اللواء احمد فؤاد صادق ، عين ١٩٤٨/١١/١١ قائدا عاما للقوات المصرية بفلسطين خلال الحرب العربية ــ الاسرائيلية الاولى ، ويعد من اكفأ القادة المصريين الذين أبلوا بلاء حسنا فى هذه الجولة المسلحة .

وهكذا بدأنا عملية ثقب السقف ، ووضعنا منضـــدة صعد عليها أنور وصعدت انا على كتفه ، واخذت اقوم بالعمل بكافة الآلات التي أمكننا الحصول عليها ، وظللنا نحو ٦ ساعات نقوم بهذا العمل بهمة متواصلة حتى نجحنا ، فبعد ساعتين من العمل الشاق ، رأينا شعاعا من خيط القمر يدخـــل من الفتحة التي صنعناها ، وبعد ساعة تمكنت من اخراج يدى بأكملها من الفتحة ، وبعد ساعة تالية اخرجت كل رأسى من السقف ، ثم اخرجت كتفى وبذلك انتهى كل شيء ..

وهنا قال لي أنور : اذهب يا حسن واعزم على المعتقلين خليهم يتفضلوا نسلمهم أوامر الافراج على مسئوليتنا !

وكان الافراج عن المعتقل في هذه الآونة يعتبر من رابع المستحيلات ، وهكذا عدت الى الداخل وطفت بالمعتقلين لأعود الى أنور بعد قليل ومعى سبعة ضيوف لنتسلل من الفتحة الى سقف الحجرة حتى نزلنا الى الحديقة المجاورة ومنها قفزنا للشارع ، لنستقل السيارة التي كانت في انتظارنا وننطلق الى عالم الحرية ! » .

السادات : سنضرب كل من يخون هذا البلد !

الغيت الأحكام العرفية وفتحت المعتقلات أبوابها ، وأصبح الســادات وحسن عزت أحرارا مرة أخرى بعد ٤ سنوات من الاعتقال والهروب والمطاردة وذهب الرجلان الى الفريق عزيز المصرى فى منزله بعين شمس ، وسهرا عنده حتى الفجر .. وتناقشا فى كل شيء ..

كان من رأى عزيز المصرى أن « نقوم بكفاح ايجابى منظم ضـــد المحتلين الانجليز الذين كان ضباطهم وجنودهم يملأون شوارع وأحيـــاء القاهرة والاسكندرية ومدن القناة ، حتى يتبينوا استحالة بقاءهم فى هذه المدن ، وفى مصر بأسرها .

وكان من رأيه كذلك ضروة البدء فى تدريب الشباب وبث روح الوطنية لديهم بعيدا عن مهاترات الأحزاب ومحترفى السياسة .

يقول حسن عزت (١) :

« ورسمنا الخطط مع الأب الروحى للكفاح ، ووعدناه بأنه سيسمع خيرا ولما كنا لا نرغب فى توريط ضباط الجيش العاملين بالخدمة ، فقد زرت مـــع

---

(١) أسرار معركة الحرية ـ قائد سرب حسن عزت ـ ١٩٥٣ .

أنور السادات اليوزباشي مجدى حسنين وكاشفناه بما جئنا من أجله وقلنا له : نريد سلاحا وقنابل يدوية (وكان مجدى حسنين يعمل فى سلاح خدمة الجيش المسئول عن امداده بالأسلحة والذخيرة آنذاك) .

وهنا قال له أنور فى اصرار : سنضرب أعداء الوطن .. سنضرب كل من يخون هذا البلد .

وغاب مجدى فترة قصيرة ليعود حاملا صندوقا صغيرا به ١٢ قنبلة يدوية من طراز (ميلز) البريطانى ، وتناول السادات القنابل واخذ يقلبها بين يديه فى شغف ويفكها ويفحصها ..

ثم قال لمجدى : « والله وقعتوا يا أسيادنا الانجليز .. والله يا مجدى تشوف لنا كمان صندوقين ثلاثة نهدى اصدقاءنا وأصدقاء أصدقاءنا ! »

الفصل التاسع

- رعونة هتلر !
- قوات روميل تنسف مواقعها !
- الراقصة حكمت فهمى تشرب نخب النصر ..
- ميدان القتال يتحول الى حلبة سباق !
- نظرية السيف والدرع ..

خدعة روميل الكبرى

عودة الى مسرح الحرب :

انتهت معارك نوفمبر ١٩٤١ التى عرفت باسم (الكروسيدر) دون تحقيق نصر حاسم لأى من الجانبين البريطانى أو الألمانى ، فقد فشل روميل فى الاستيلاء على طبرق ، القلعة المنيعة والميناء الذى كان يهدف الى احتلاله لتأمين امداداته البحرية ، ورمز المقاومة البريطانية فى شمال افريقية : والشوكة التى كانت تؤلم ظهره فى الخلف ، وبالمثل فشلت القوات البريطانية ـ رغم تحقيقها لنصر محدود ـ فى تدمير القوة المدرعة لجيش البانزر الألمانى

وهكذا كان لا بد للجانبين المتصارعين من أن يوفرا لقواتهما فترة من الوقت لالتقاط الأنفاس والاعداد لجولة جديدة حاسمة . .

وفى الوقت الذى تدفقت فيه الامدادات على الجيش الثامن البريطانى من قواعده القريبة للغاية فى الدلتا ومنطقة القناة ، كان روميل يخوض ـ على حسب تعبيره ـ معركة « الرجل الفقير » ، حيث تسببت رعونة هتلر وفتحه لجبهة جديدة بهجومه على الاتحاد السوفييتى ـ فى ابتلاع الغالبية العظمى لموارد المانيا العسكرية مما تسبب فى حرمان فيلق البانزر الأفريقى من العديد مما يحتاجه من أسلحة وذخائر ووقود (١) .

لولا رعونة هتلر !

ان مؤرخ حياة الفيلد ماريشال روميل ، سير ديزموند يونج ، يكتب عن تلك اللحظات المريرة التى كان يعانيها ثعلب الصحراء ، قائلا ان هذا القائد الفذ كان بامكانه ـ لولا رعونة هتلر ـ أن يحقق فى ذاك الوقت ضربة حاسمة يثب فيها الى دلتا النيل ، خاصة فى الوقت الذى كان الجيش الثامن البريطانى قد وصل فيه الى أقصى درجات التفكك والفوضى وانخفاض الروح المعنوية .

فى انتظار الامدادات :

وهكذا أصدر روميل تعليماته الى كافة قواته بالانسحاب فى هدوء ونظام الى منطقة الغزالة ، التى وصلتها بالفعل فى ثبات وثقة ، تتبعها القوات البريطانية عن قرب ـ فى منتصف ديسمبر ١٩٤١ ـ

---

(١) مما يجدر ذكره ان ثلاث سفن فقط كانت تصل الى روميل من كل ١١ سفينة تحمل الامدادات اليه بسبب نشاط السلاح البحرى البريطانى والغواصات واغراقها ، بالاضافة الى القصف الجوى الذى كانت تتعرض له قوافل الامداد الالمانية عبر طريقها البحرى الطويل من قواعدها فى اوروبا وايطاليا الى طرابلس او بنى غازى .

وفى السادس والعشرين من نفس الشهر ، احتلت قوات البانزر منطقة العجيلة (الى الغرب من الغزالة) فى انتظار الدعم الذى كانت القيادة العليا الألمانية قد وعدت بامداد روميل به (١) .

أيقظنى بعد ساعة ! :

فى الخامسة والنصف من فجر يوم ١٣ يناير ١٩٤٢ ، أطفأ روميل مصباح القراءة الصغير ، ليستلقى على فراشه فى مقر قيادته الجديد بالغزالة ، ثم نادى الرقيب أول (بوكشر) — سكرتيره الخاص — ليقول له ثلاث كلمات : « أيقظنى بعدساعة ! » .

وعندما وقف الجنرال فى اجتماعه الصباحى العادى مع ضباطه ، لاحظ الجميع أن وجه الرجل العجوز كان متألقا ، وأن لديه شيئا يود أن يقوله لهم.

لم يتركهم الجنرال يفكرون طويلا ، حيث قال فجأة :

أيها السادة .. سنقوم بالهجوم فورا ! ..

كيف يا جنرال ؟ :

وبهت الجميع .. وقف أحد كبار قادته ، ليسأله : كيف يا سيدى ؟.. لقد استهلكت المعارك الماضية معظم ذخائرنا وعرباتنا ، وبعض سرايانا حاليا لا يزيد عدد أفرادها عن ٣٠ رجلا .

فلنقلب خطط الانجليز رأسا على عقب ! :

وفى هدوء غريب ، أجاب روميل : « اننا لو أعطينا البريطانيين فرصة للراحة حتى فبراير ، فسيطردوننا من شمال أفريقية بأسرها وحينئذ لن يوقف الجيش الثامن شىء .. وبفرض وصول امدادات ضخمة الينا قبلهم ، وحتى لو قام الأسطول الجوى الألمانى الثانى بقصف مالطة ومهاجمة البحرية البريطانية ، فاننا لن نحصل على القوة الكافية فى الوقت المناسب ، وفوق كل شىء فأنتم تعلمون أنه لا توجد لدينا اية معدات ثقيلة كافية هنا » .

---

(١) فى ٥ يناير ١٩٤٢ وصلت الى روميل قافلتين بحريتين تحرسهما البوارج الايطالية — والتى أصبح بامكانها التحرك فى حرية نسبيا بعد اغراق قوات المحور للقوة البحرية البريطانية التى كانت معروفة باسم K فى مالطة فى ١٥ ديسمبر ١٩٤١ ، وكانت القافلتين تحملان لروميل ٥٥ دبابة و ٢٠ عربة مدرعة ، بالاضافة الى عدد من المدافع المضادة للدبابات وبعض الامدادات المتنوعة .

وصمت ثعلب الصحراء فترة قصيرة ثم قال وكأنه يخاطب نفسه :

((وعلى ذلك ، فلا ينبغي علينا أن ننتظر ، يجب أن نقلب خطط البريطانيين رأسا على عقب باحتلال طبرق ثم الاندفاع الى الدلتا !)) .

ثم قدم روميل لقادته خطته التى وضع تفاصيلها بعناية ، كانت خطة جريئة وطموحه الى أبعد الحدود ، حيث هدفت الى عرقلة الهجوم البريطانى المتوقع ، ومع تحسن موقف الامداد ، فهناك دائما فرص لتوسيع الخطة وتطويرها .

كانت ضربة يائسة ، ولكن لم يكن هناك ــ فى رأيه ــ حل بديل ((فلكى نمنع هزيمة ساحقة ، ينبغى سحب المبادأة من أيدى الانجليز !)) .

قوات البانزر تنسف مواقعها ! :

وكخطوة أولى ، تظاهر روميل بأنه سينسحب من جديد فى اتجاه ليبيا وترك الشائعات تنتشر انتشار النار فى الهشيم عبر القوات حتى وصلت الى الايطاليين ، الذين ابرقوا الى القيادة الايطالية فى روما : روميل يعتزم الانسحاب مرة أخرى ..

هل تكتم روما السر ؟ ! :

وفى روما ، حيث من المستحيل التحفظ على أى سر ، سرت تلك الشائعات عن الانسحاب الجديد لروميل من القيادات الى مخادع الفانيات وصالونات التجميل والبارات والفنادق : روميل لا يمكنه الاحتفاظ بمواقعه ، وسيقوم بالانسحاب الى طرابلس فى الغرب » .

اوكنلك يامر بالاستطلاع المسلح :

وفى القاهرة ــ يوم ١٨ يناير ١٩٤٢ على وجه التحديد ــ كان على مكتب القائد العام البريطانى عشرات من تقارير العملاء فى روما ونابولى ، ومن خلف الخطوط الألمانية كانت جميع التقارير تشير الى أن روميل يضع خطة انسحاب جديد للغرب ..

لم يقتنع « أوكنيلك » ، وامر باجراء استطلاع مسلح لاستجلاء الحقيقة وعندما وصلته معلومات الاستطلاع كانت تبدو وكأنها تؤكد هذه التقارير .

وفى ٢٠ يناير ، بدأت المنازل فى المناطق التى يحتلها الألمان تحترق ، كما سمعت الأصوات الهائلة لنسف السفن الألمانية ، (وكانت منازل وسفن غير

حقيقية أمر روميل حسب خطته الماكرة بصنعها من قبل) وكان من البديهى أن يبتلع الجميع خدعة روميل ، ليبرق عملاء الانجليز الى القائد العام البريطانى فى القاهرة :

((يشعل الألمان النيران فى تموييناتهم وينسفون السفن الغير صالحة للعمل فى ميناء مرسى البريجة ، كذلك مراكز قياداتهم ومعداتهم الثقيلة !)) .

حكمت فهمى تشرب نخب النصر ! :

وهكذا تأكدت القيادة البريطانية فى القاهرة أن روميل يجرى استعداداته النهائية لانسحاب جديد نحو الغرب ، انه يرحل عن شمال افريقية ! .

وعم السرور القوات البريطانية المرابطة فى القاهرة ، وشرب الضباط والجنود الانجليز نخب النصر .. ((ان روميل يحرق سفنه ثم يرحل .. فلنهتف !)) .

كانت هذه هى الصورة فى القاهرة ليلة ١٢ يناير ١٩٤٢ .. عدد كبير من ضباط القيادة البريطانية والجنود فى أجازاتهم الميدانية ــ والذين لايعودون الى منازلهم قبل الفجر ــ بينما هناك على النيل ، وداخل عوامة أنيقة تمتلكها الراقصة المصرية حكمت فهمى كانت الموسيقى الصاخبة وأناشيد النصر البريطانية تصدح حتى الصباح ، الضباط البريطانيون المخمورين (الذين كانت حكمت فهمى تستخرج منهم أدق الأسرار البريطانية من خلال أحاديث الفراش) ينشدون وهم يتمايلون من تأثير الخمر : (روميل يرحل . . فلنهتف !) .

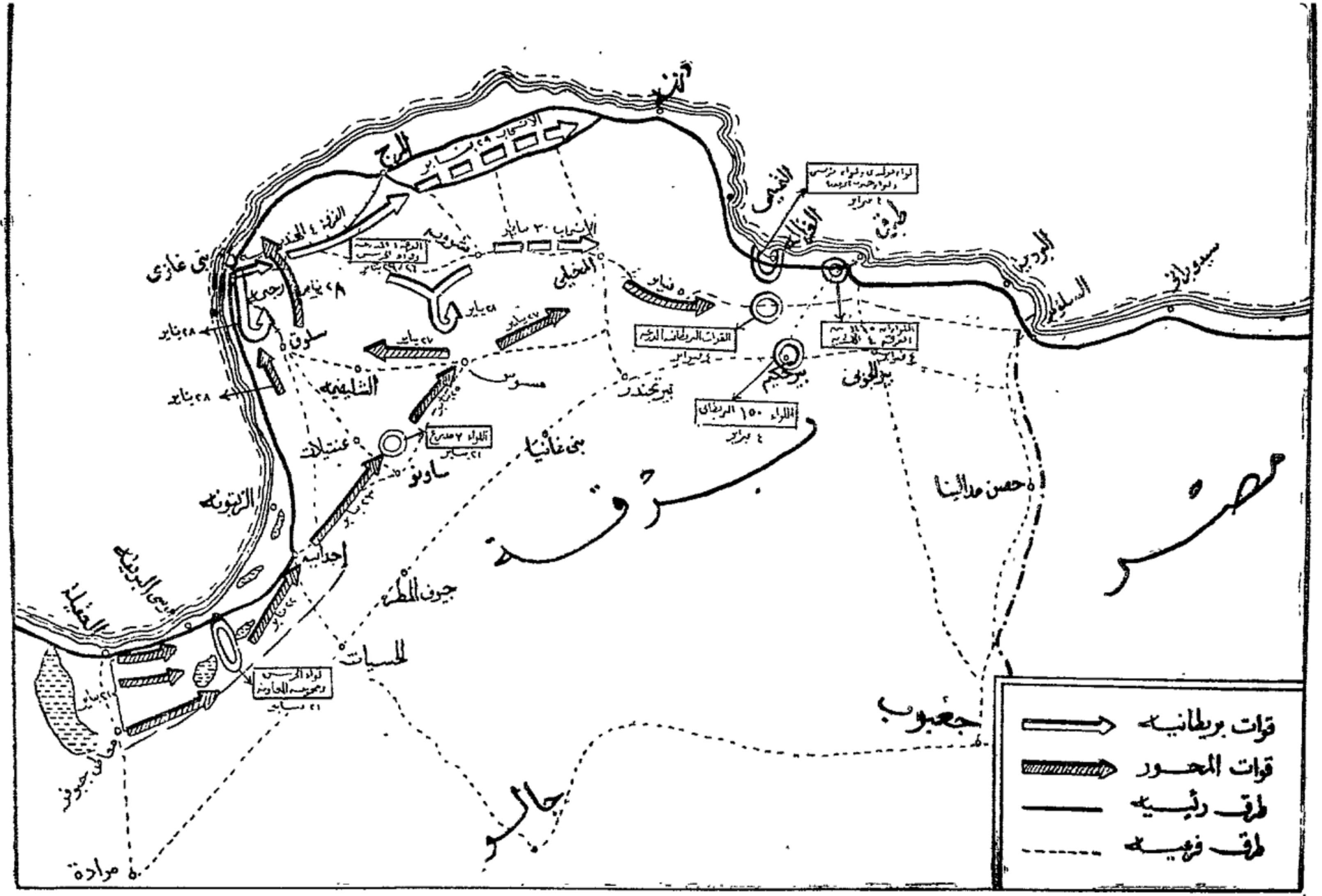
النصر لمن ؟ :

وفى ذات الوقت الفت حكمت فهمى بكأس الشمبانيا ليتهشم على الحائط المصنوع من خشب الماهوجنى ، وصاحت : الى النصر)) ..

ولكن النصر لمن ؟ ! .. ان أحدا من ضيوفها الضباط الانجليز .. لم يعرف بطبيعة الحال لمن كانت تدعو بالنصر !..

هذه الأيام الحاسمة ! :

وفى نفس اللحظة التى هشمت فيها حكمت فهمى فى القاهرة كأسها ، كان جنود فيلق البانزر الألمانى يقرأون فى اهتمام أمر القتال اليومى الذى أصدره روميل وجاء فيه :



طبرق
درنة
المرج
بنى غازى
سلوق
الزويتينة
العقيلة
أجدابيا
ساونو
مسوس
الشليظيمه
عنتيلات
المخيلي
بيرتجندر
بئرحكيم
بيرالجوبي
الغزالة
العضم
البردية
السلوم
سيدي براني
حصن مداليا
جغبوب
جالو
جوف المطر
الحسيات
مرادة
بنى غانيا
برقة
مصر
قوات بريطانية
قوات المحور
طرق رئيسية
طرق فرعية

امر قتال يومى رقم ١٣٣٧ – ٢١ يناير ١٩٤٢ – سرى للغاية

أيها الجنود الالمان والايطاليين :

أمامكم معركة ثقيلة ومريرة مع عدو ضخم ومتفوق ، ان روحكم المعنوية عالية ، ونحن الآن اقوى بدرجة كبيرة من عدونا ، لهذا ستقوم اليوم بالهجوم عليه وتدميره ، اننى أتوقع من كل جندى ومن كل ضابط ان يبذل اقصى جهده خلال هذه الأيام الحاسمة القادمة .. عاشت ايطاليا .. عاش الرايخ الألمانى .. عاش الفوهرر ! » .

القائد الأعلى

روميل

القائد العام لقوات البانزر

(صورة لكل فرقة)

الصورة فى الجانب البريطانى :

ولعله من المناسب الآن ، أن نلقى بنظرة على الموقف على الجانب البريطانى

كان القائد العام للقوات البريطانية فى القاهرة قد فرغ لتوه من عزل الجنرال « كننجهام » – قائد الجيش الثامن البريطانى ، ليجد نفسه ، كما يعترف فى مذكراته فى موقف لا يحسد عليه .. فاختيار قائد جديد للجيش كان محدودا أمامه للغاية كما لم يكن لديه الوقت الكافى لاستدعاء قائد جديد من بريطانيا ، فى الوقت الذى ينبغى فيه عدم ترك الجيش الثامن دون قائد فى تلك اللحظات الحاسمة ..

فى لحظة من لحظات اليأس :

وهكذا قام الجنرال « أوكينلك» بتعيين الماجور جنرال « نيل ريتشى» (١) قائدا للجيش الثامن الميدانى ، وفى ذلك يكتب « أوكنيلك » فى سجلات الحرب البريطانية :

« قمت بتعيين ريتشى فجأة لقيادة الجيش الثامن ، فى لحظة من لحظات اليأس ، لم يكن ريتشى يعرف الكثير عن الصحراء ، فى الوقت الذى كلفناه فيه باستعادة معركة خاسرة ، لذلك فكرت فى أنه من الصواب أن أمسك بيده ، وأن أكون مستعدا دائما لمعاونته فى قيادته فورا » .

---

(١) جنرال سير نيل ريتشى ، تصفه تقارير وزارة الحرب البريطانية بانه ضابط نشط ذا دراية ، كانت شخصيته ومظهره تجعلان منه صورة لجنرال بريطانى كان طويل القامة جميل الطلعة شديد المراس ، مرحا ومحبوبا ، يوثق به ، قال عنه قائده المباشر الجنرال سير آرثر سميث فى أحد تقاريره عنه : قائد مستقيم وأمين للغاية ، واذا كان هناك وجه لنقده ، فيتمثل فى بطئه بعض الشيء ، ولكن الحذر افضل غالبا من التهور .. »

يفرون فى ذعر ! :

كما اسلفنا ، فقد بدأ روميل — على رأس قواته — فى صباح ٢١ يناير ١٩٤٢ — بالتقدم الجرىء (عقب خدعته الكبيرة بتظاهره بالانسحاب) لمواجهة الجيش البريطانى تجاه مصر ، ذلك التقدم الذى تصفه سجلات الحرب البريطانية ذاتها بأنه يعتبر واحدا من أبرع أعمال روميل العسكرية (١) حيث قام بتقسيم قواته المدرعة الى قسمين، تقدم احدهما على طريق ليبيا الساحلى والثانى للداخل عبر الصحراء .

وازاء هذه المفاجأة المذهلة ، تقهقرت القوات البريطانية الأمامية واكتسح معظمها تحت وطأة ضربات البانزر الثقيلة ، وبحركة عسكرية بارعة استولى روميل على (اجدابية) فى ٢٢ يناير ، ليتجه الى (عنتليت) ثم الى (سوانو) على الفور ، ليسقطا فى قبضته .

كميدان سباق !

واصدر روميل تعليماته العاجلة بحصار الفرقة الأولى المدرعة البريطانية (١٥٠ دبابة) الا أنها تمكنت من الانسحاب فى حالة ذعر شديدة وبغير نظام ، انسحابا تصفه سجلات الحرب البريطانية الرسمية على النحو التالى : « كانت هناك قوافل من لوارى الوقود والورش والمركبات من كل نوع ، تشق طريقها بأقصى سرعة نحو الحدود المصرية فى غير نظام وكأنها فى حلبة سباق ! »

المدرعات البريطانية والخبرة !

ساء موقف القوات البريطانية فى اليوم التالى ، عندما زاد « روميل » من خفة حركته ، ليكتسح قوة بريطانية كبيرة من الدبابات ، كتب عن تلك المعركة أحد ضباط أركان حرب الألمان :

---

(١) فى ٢٠ يناير ، عقد روميل اجتماعا فى مقر قيادته لدراسة القيام بالضربة المضادة المبكرة ، وقد تمكنت المخابرات الالمانية — نتيجة للتصنت على الشبكات اللاسلكية البريطانية — من أن تعطى روميل بيانا تفصيليا دقيقا عن تشكيل المعركة للقوات البريطانية كانت الفرقة الأولى المدرعة فى الأمام ، (وقد تم تدريبها فى بريطانيا وارسلت لبرقة حديثا) وبالقرب من بنى غازى ، وضعت الفرقة الرابعة الهندية ، اما الفرقة السابعة المدرعة فكانت فى الخلف قرب (طبرق) . أما مواقع باقى الفرق البريطانية (وهى الفرقة الأولى جنوب أفريقية والفرقة الثانية النيوزيلندية والفرقة ٧٠ البريطانية) فلم تكن مواقعها معروفة للمخابرات الالمانية وقتذاك .

« اكتسحت هذه القوة بواسطة آلاى البانزر الثامن الذى كان يعمل معه فى تعاون وثيق المدافع المضادة للدبابات والمدفعية ، وقد كان واضحا للوهلة الأولى أن الوحدات المدرعة البريطانية كانت تفتقر الى الخبرة بحرب الصحراء وقد فقدت أطقمها معنوياتهم تماما أمام هجمات مدرعات روميل المدربة جيدا. كانت المطاردة تجرى أحيانا بسرعة ١٥ ميلا فى الساعة ، بينما كان البريطانيون يفرون فى ذعر شديد عبر الصحراء وفى حالة من أقصى حالات الانسحاب فوضى خلال الحرب ! » .

روميل يطبق نظرية السيف والدرع :

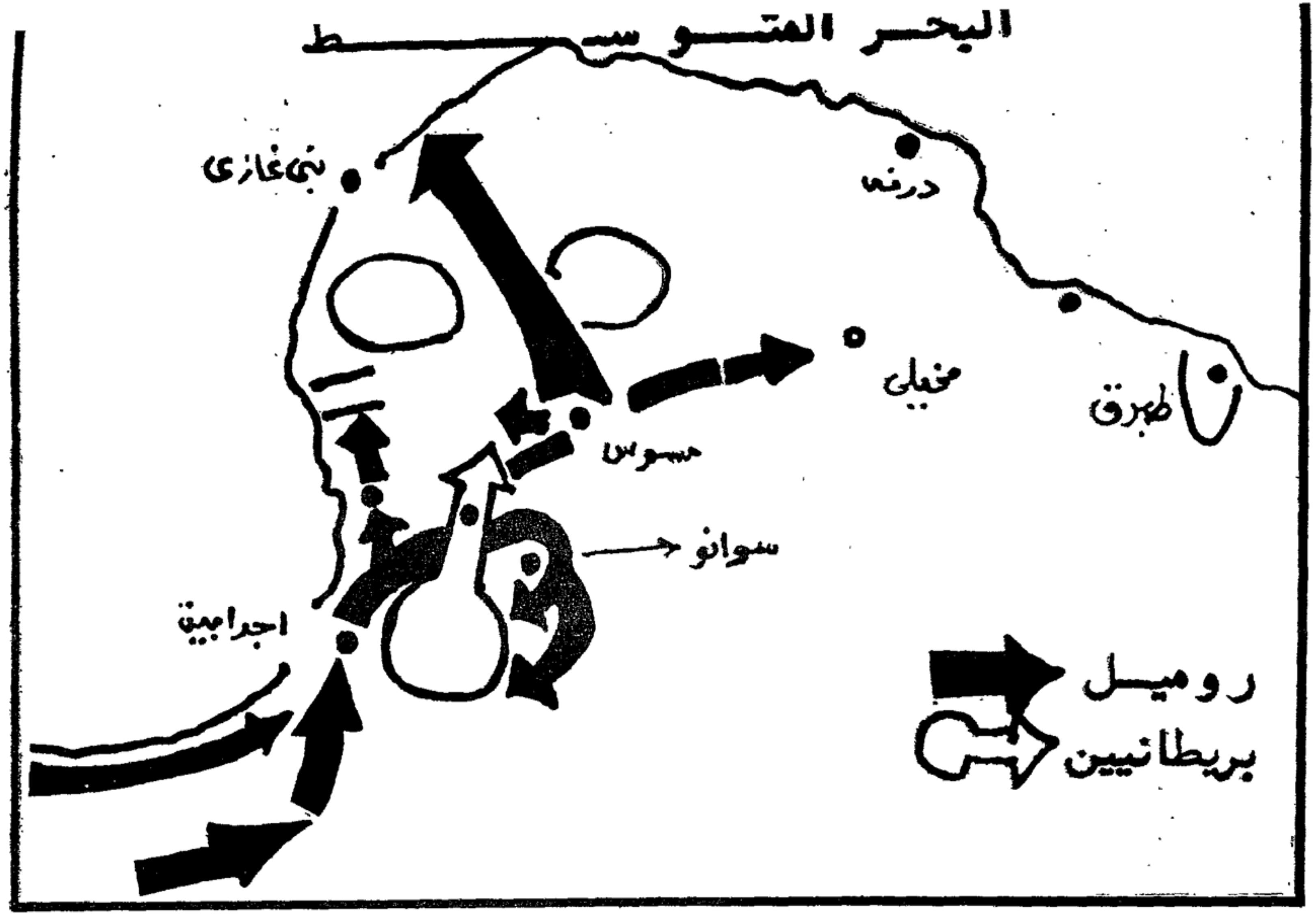
لقد أوضحت عمليات القتال فى شمال افريقية مدى تمكن الألمان من استغلال الامكانيات الهجومية لمعارك الدروع ، علاوة على تمكن روميل التام من تطبيق نظرية العمل الدفاعى ضد المدرعات ، كان روميل ـ على حد تعبير ليدل هارت ـ أول قائد للمدرعات يقوم بتنفيذ طريقة (السيف والدرع) ، وأثبت بذلك أهمية استراتيجية الدفاع الهجومى فى حرب الصحراء بالمدرعات والتى تتميز بخفة الحركة ، وساعد على نجاحه وفاعلية ضرباته الهجومية ، ذلك الأسلوب الماهر الذى كان ينصب به الكمائن الدفاعية لمدرعات أعدائه بحيث يحطم حد سيفهم على سطح درعه (١) ، فقد كان روميل يحتل موقعا دفاعيا ، ثم يستدرج البريطانيين على مهاجمته فيه كأن يجعل منه نقطة استراتيجية أو محورا لعملياته لاغرائهم بالهجوم عليه ، ليقوم على الفور باصطياد مدرعات عدوه بستارة قوية من نيران مدافعه المضادة للدبابات من عيار ٨٨ ملم الشهيرة بينما يقوم بالقضاء على البقية الباقية من المدرعات البريطانية بواسطة الهجوم المضاد بفرقه المدرعة (٢) .

وفى نهاية نفس اليوم ، كان روميل قد استولى على « مسوس » بينما أرسل قوة الى (المخيلى) ، فى الوقت الذى كانت فيه الفرقة المدرعة الأولى البريطانية قد تفككت تماما .

---

(١) مما يذكر بالفخر للقوات المسلحة المصرية خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، قيامها بتنفيذ هذا الأسلوب بكفاءة واقتدار حين قامت الكمائن المضادة للدبابات بتدمير عشرات المدرعات الاسرائيلية فور اجتياح القناة أثناء اقامة رؤوس الكبارى على الضفة الشرقية فى سيناء ، الأمر الذى كبد الجيش الاسرائيلى خسائر فادحة للغاية .

(٢) مذكرات روميل ـ ٦ أجزاء ـ تعريب العقيد فتحى عبد الله النمر ـ الانجلو المصرية ـ ١٩٦٥ .



خدعة روميل الكبرى (أستعادة برقة)

فى سرعة خاطفة ، قام روميل بمناورة عظيمة ، حين تظاهر - يوم ٢٧ يناير ١٩٤٢ بالتحرك نحو (المخيلى) ، ليوقع جنرالات الانجليز فى الشرك

استقبل الجنرال (ريتشي) ـ القائد الجديد للجيش الثامن ـ هذه الأنباء بمزيج من العناد وعدم المبالاة ، يصف الجنرال (مسيرفى) قائد الفيلق ١٣ المحنك هذه اللحظات بقوله :

((كان ريتشي منتفخا حتى هذه اللحظة ، كان مركزا انتباهه الى اجراء هجوم مضاد فى هذا الاتجاه فى نفس اليوم ، ظل متفائلا يحاول ألا يصدق أننا قد تلقينا ضربة قاضية ، وعندما قدمت له تقريرا عن حالة الفرقة الأولى المدرعة ، فى الوقت الذى كان فيه يخطط للهجوم المضاد بهذه الفرقة ، نظر الى كما لو كنت مخربا !)) .

تهديد مواصلات الجيش الثامن !

ان المغزى العسكرى الحقيقى لخدعة روميل هذه ، والتى وضعته فى مصاف القادة العظام ، مارلبورو ونابليون ـ على حد تعبير أوكنلك ذاته ـ انما يكمن فى أنه باحتلاله (مسوس) أصبح يهدد كلا من بنغازى (ميناء التموين والقاعدة الادارية للجيش البريطانى) و (مخيلى) و (الغزالة) اللذين تمثلان طريق امداد ومواصلات الجيش الثامن الى مصر ، وبهذا وضع كلا من أوكنيلك وريتشي فى موقف محير .. فأى الطريقين سيسلك هذا الثعلب الماكر بعد ذلك ؟

فى وثبة خاطفة !

وبينما كان كل من القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط وقائد الجيش الثامن ، يفكران فى الأسلوب الذى سيتبعه روميل ، قام الأخير فى سرعة خاطفة بمناورة عظيمة ، ففى ٢٧ يناير تظاهر بالتحرك نحو (المخيلى) وبذلك وقع القائدان البريطانيان فى الشرك ، عندما حركا مدرعاتهما نحوها ، وبذلك انكشفت مؤخرة الفرقة الرابعة المدرعة وبنى غازى .

وفى وثبة رائعة ، غير روميل اتجاهه مندفعا نحو الساحل ليقطع الطريق على الفرقة الرابعة الهندية لتسقط (بنى غازى) فى ٢٩ يناير بما فيها من كميات المخزونات والمستودعات ومخازن البترول البريطانية ، ثم قام بتجميع قواته فى الغزالة (وصلهاف ٤ فبراير) ،وهنا أمر هتلر بترقية روميل الى رتبة كولونيل

جنرال (١) ، وبينما كان كل من أوكنيالك وريتشى يتجرعان كأس المرارة والهزيمة .. كان روميل يكتب الى زوجته فى ٢٧ يناير ١٩٤٢ :

((عزيزتى لو)) :

لقد فر البريطانيون أمامنا كما لو أنهم تعرضوا للدغة ثعبان .

كل شيء حسن الآن .. اننا نقوم الآن بتطهير ميدان المعركة ، ونجمع المدافع والسيارات المدرعة والدبابات والتامينات والذخيرة البريطانية لنستخدمها ، اننا فى تحرك مستمر وقد استرددنا برقة ، فى سرعة البرق الخاطف ، وبالمناسبة ، لقد منحت نوطا آخر عبارة عن نجمة جديدة أضعها على صدرى)) .

---

(١) فى ٢٢ يناير ١٩٤٢ ، تم تغيير أسـم (مجمـوعة بانزر أفريقيا) ، ألى (جيش بانزر أفريقية) ، والذى تشكل من كل القوات الالمانية والايطالية بالجبهة وهى :

الفرقتين ١٥ ، ٢١ بانزر المدرعتين (ألمانى) .

الفرقة ٩٠ مشاة ميكانيكية (ألمانى) .

الفيلق ٢٠ ، ٢١ ، ١٠ (ايطالية) .

الفصل العاشر

- التأثير المتبادل بين السياسة والحرب .
- السفير البريطاني يأمر فاروق بالاستقالة !
- الهدف : خلع الملك وليس فرض النحاس باشا ..
- هل كان الملك يعلم بالحادث قبل وقوعه ؟ !

السياسة والحرب من جديد

حادث ٤ فبراير

السياسة والحرب من جديد ! :

عقب الهجوم العاصف الذى استرد به روميل برقة فى يناير ١٩٤٢ ، بضربة واحدة بارعة وانسحاب قوات الجيش الثامن البريطانى المذعورة أمام فيلق البانزر الألمانى الى داخل الحدود المصرية دون انتظام ، وفى حالة شديدة من الفوضى والتفكك ، وفى ظل غياب السيطرة البريطانية على البحر المتوسط ، مع تزايد السيطرة الألمانيــة الجوية والبحرية وسقوط (بنى غازى) فى ٢٩ يناير ، الأمر الذى أطاش صواب القيادة البريطانية وأطاح بما كانت تعده من معدات للهجوم الذى كان « أوكنلك » يستعد فيه للقيام ــ فى منتصف فبراير ــ على قوات روميل .. كانت هذه الأحداث تمثل الكارثة العسكرية على حد تعبير « تشرشل » ــ والتى افقدت القيادة البريطانية العليا الأمل تحقيق نصر سريع حتى بدأت تعد للانسحاب الى فلسطين كخطوة تالية ..

وهنا يبدو التأثير المتبادل بين السياسة والحرب ، بأجلى صوره ، ففى الثانى من فبراير ١٩٤٢ ، انطلقت المظاهرات فى القــاهرة والاسكندرية ، تهتف : ((الى الأمام يا روميل !)) .. لقد حانت اخيرا اللحظات التى اعتقد شباب مصر وقتها انها ستخلصهم من نير الاحتلال البريطانى الذى ظلت مصر تعانى منه منذ يوم ١١ يوليه ١٨٨٢ ، ترى هل حانت ساعة الخلاص ؟..

وهكذا قادت وثبة روميل الخاطفة واستعادته لبرقة وانهيار الموقف العسكرى للجيش البريطانى فى الصحراء ، الى ذلك الحدث السياسى الذى عرف فى تاريخ مصر باسم ((حادث ٤ فبراير)) الشهير .

السفير البريطانى يامر الملك بالاستقالة ! :

ففى السابعة من مساء يوم ٣ فبراير ١٩٤٢ ، استدعى « سير مايلز لامبسون » ــ سفير بريطانيا فى مصر ــ أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى وقتذاك ، وطلب اليه أن يبلغ الملك فاروق اصدار تعليماته بتأليف وزارة وفدية فى البلاد تحل محل وزارة حسين سرى .

لورد كيلرن يعقد مجلس الحرب :

وفى صباح يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ ، عقد السفير البريطانى ، مجلس الحرب البريطانى فى القاهرة الذى اتخــذ قرارا **بانه اذا لم يرد الملك فاروق ردا مرضيا ــ قبل السادسة من مساء نفس اليوم ــ فان الســفير البريطانى سيطلب مقابلته فى الثامنة مصطحبا معه القائد العام للقوات البريطانية فى مصر ، فى حين تكون الترتيبات العسكرية اللازمة قد أجريت فى ذات الوقت ، ليطلب الى فاروق التنازل عن العرش ، فاذا رفض ، فان ((مايلز لامبسون)) سيبلغه بانه قد تم خلعه عن عرش مصر ! .**

فليتحمل فاروق التبعة ! :

لم يصل الرد المطلوب من فاروق الى السفير البريطانى فى الموعد المحدد .. فقد رأى فاروق ــ أن تصرف السفير يعتبر تدخلا فى أخص خصائص سلطاته ــ على حد تعبير د. محمد حسين هيكل ــ وبناء عليه ، لم يقم الملك بتكليف رئيس ديوانه بالرد على « لامبسون » بأن طلبه فى تأليف الوزارة قد أجيب ، وعلى ذلك وبعد ظهر نفس اليوم ــ ٤ فبراير ــ سلم السفير البريطانى لحسنين باشا انذارا جاء فيه : « اذا لم أعلم قبل السادسة مساء اليوم أن النحاس باشا قد كلف بتأليف وزارة جديدة ، فان الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعة ما قد يحدث ! »

الهدف : ليس النحاس بل خلع فاروق !

واعتبارا من هذه اللحظة ، فقد كان قرار سير مايلز لامبسون ينحصر ليس فى استدعاء الملك للنحاس باشا لتأليف وزارة وفدية ، وانما أصبح هدفه خلع الملك عن العرش (١) .

نعود الى الانذار البريطانى ، كان الزعماء المصريين قد اجتمعوا بالقصر ، حيث استقر رأيهم على رفض الانذار البريطانى ، الذى اعتبروه يمثل « مساسا خطيرا بالمعاهدة المصرية ــ البريطانية ، واعتداء على استقلال البلاد » .

أما لامبسون ، فكان قد اتخذ قراره ، قام بالتوجه الى قصر عابدين فى التاسعة مساء ، فى حين كانت عابدين كلها قد حوصرت بالدبابات البريطانية قبل ذلك بقليل ، جرت المقابلة بين سفير بريطانيا وفاروق بحضور حسنين باشا ؛ لم يكن هدف المقابلة فرض النحاس ، وانما اسقاط الملك عن العرش ، برفقة لامبسون كان الجنرال « ستون » بينما كان حسنين باشا مع الملك وفى المقابلة ، لم يفاتح السفير البريطانى فاروق فى أمر استدعاء النحاس اطلاقا وانما ذكر انه اعتبر الرسالة التى تسلمها من حسنين باشا ، والتى تحوى قرار الزعماء المصريين برفض الانذار البريطانى أمرا فى غاية الخطورة .. (٢) .

---

(١) كانت القيادة البريطانية آنذاك تضمر خلع فاروق عن العرش ، بسبب ما كانت تعتقده من ميله الى جانب دولتى المحور (ايطاليا ــ المانيا) وبخاصة علاقاته مع الايطاليين .

(٢) The Killearn Diaries, 1934 1946, London, 1972.

يصف محمد التابعى فى كتابه (أسرار الساسة والسياسة) المقابلة بين السفير البريطانى والملك فاروق ، بقوله : « حوالى التاسعة مساء ، امتلأ ميدان عابدين بآلاف الجنود البريطانيين بملابس الميدان وبعشرات الدبابات التى أحاطت بالقصر من جميع الاتجاهات ، لتصوب اليه مدافعها ، وتقدمت احداها لتحطم الباب الرئيسى الذى كان يطلق عليه (الباب الملكى) ودخلت منه الى حرم القصر .

ودخلت وراءها سيارة السفير البريطانى وبرفقته الجنرال (ستون) ـ قائد القوات البريطانية فى مصر ـ ووقفت السيارة امام باب القصر الداخلى ونزل منها سير مايلز لامبسون والجنرال البريطانى .

دخل الرجلان القصر ، بينما كان يمشى أمامهما ثمانية من الضباط البريطانيين يحملون مسدساتهم فى أيديهم ، وتقدم كبير الامناء بالنيابة ـ اسماعيل تيمور باشا وقتذاك ـ ليسألهم ماذا يريدون ؟ .. الا أن السفير البريطانى نحاه بيده من طريقه قائلا : اننى أعرف طريقى ..

وكان الجنود البريطانيون قد هاجموا حراس القصر وجردوهم من اسلحتهم ، وحاصروا ثكناتهم ، وقاوم بعض أفراد الحرس ، ولكن البريطانيين تكاثروا وتغلبوا عليهم وأصيب بعض جنود الحرس بكسور فى العظام وجروح مختلفة ، وهنا صدر أمر من القصر الى رجال الحرس بعدم المقاومة حتى لا تحدث مذبحة امام قصر عابدين .

وفى نفس الوقت كانت الطائرات البريطانية على اهبة الاستعداد للتحليق فوق ثكنات الجيش المصرى ومعسكراته لقصفها جوا وتدميرها اذا بدرت من الجيش أية مقاومة ، وحاصر الانجليز كذلك اقسام البوليس فى كافة انحاء القاهرة ، وقاموا بقطع جميع الأسلاك التليفونية بين قصر عابدين والخارج ، كما حاصروا محطة الاذاعة المصرية بهدف منع وصول اية أنباء الى الشعب المصرى . »

انباء غير سارة للملك :

قدم « لامبسون » الى الملك فاروق ورقة معدة سلفا بالتنازل عن عرش مصر وطلب اليه توقيعها على الفور ، والا فان لديه « انباء اخرى غير سارة » سوف يواجهه بها فى حالة الرفض ،

فوجىء الملك بعبارة « الانباء غير السارة » هذه ، فتطلع الى « لامبسون » وساله عما اذا كان سيمنحه فرصة أخرى ؟ ..

وهنا ساله « لامبسون » عن مقترحاته ..

.. فأجاب الملك بأنه سوف يقوم باستدعاء النحاس باشا فورا ليعهد اليه وفي حضور السفير اذا أراد ، بتشكيل الوزارة ،

يقول سير « مايلز لامسبون » في مذكراته (١) ان الاغراء على الاصرار على ضرورة توقيع فاروق على التنازل عن العرش كان حادا ، خاصة وأنني كان يمكنني ــ يقول لامبسون ــ تنفيذه ، ولكن طريق الحكمة كان يقتضي منى السماح لفاروق باستدعاء النحاس ، لذلك فقد قمت باظهار بعض التردد عن عمد ، وقلت لفاروق أنني مستعد لأن أمنحك فرصة واحدة أخرى رغبة مني في تجنب التعقيدات المحتملة بالنسبة للموقف ، ولكن على أن يتم التنفيذ فورا . »

ليس على اسنة الرماح ! :

ويتضح مما تقدم أن اقتراح استدعاء النحاس واسناد رئاسة الوزارة اليه قد صدر عن فاروق وليس عن سير لامبسون ، ولذلك فحين اخذ احمد ماهر وأصدقاء القصر يروجون بعد ذلك بأن النحاس قد جاء الى الحكم على أسنة الحراب الانجليزية واجه « لامبسون » حسنين باشا بذلك ، وكان مما قاله له : أنه (أي حسنين) يعرف تماما ان هذا تشويه للحقائق ، لأنه كان حاضرا المقابلة ، وأن الحراب البريطانية (الدبابات المحاصرة للقصر) كانت موجودة لغرض مختلف تماما ، وهو عزل الملك .

مراسلات السفير السرية الى لندن : كان الهدف خلع فاروق !

التساؤل الذي يفرض نفسه الآن ..

هل قيام الانجليز بحصار قصر عابدين بدباباتهم يوم ٤ فبراير بهدف فرض حكومة وفدية برئاسة مصطفى النحاس باشا ؟ تنفيذا للانذار البريطاني ، كما هو الشائع والمعروف حتى الآن ؟

والجواب هو النفي

فقد كشفت مراسلات سير « مايلز لامبسون » السرية (٢) الى حكومته في لندن (وزارة الخارجية) أن الانجليز قد دفعوا بدباباتهم الى ساحة عابدين بهدف خلع فاروق وليس لفرض النحاس باشا (على الرغم من أن الأنذار البريطاني كان في الأصل يطلب ذلك) وان كان الحادث قد انتهى الى تأليف وزارة وفدية برئاسة النحاس ، فقد تطلب ذلك من سير « لامبسون » ان

(١) The Killearn Diaries, 1934 1946, Ed. T. Evans, London, 1972.

(٢) Lampson To Foreign office, Feb. 5, 1942.

يقدم مبرراته الى حكومته ، فان السفير البريطانى كان قد فقد كل أمل فى قبول فاروق استدعاء النحاس لتشكيل الوزارة ، بعد ان وصل اليه قرار الزعماء فى عابدين والذى بنى عليه فاروق رفضه للانذار البريطانى ، وبعد ان أيقن تصميم فاروق على المقاومة وعدم الاستجابة لمطلب السفير ».

لهـذا ، حين تسلم « لامبسون » قرار الزعمـاء وفاروق من حسنين باشـا ، (برفض الانذار) قرر على الفور ـ بالاشـتراك مع وزير الدولة البريطـانى ـ الاستمرار فى الاجراءات وذلك بالاجتمـاع بالملك فاروق فى التاسعة مساء كما كان مقررا من قبل لبجبره على التنازل عن العرش .

بعد خلع الملك :

يتضح من ذلك أن فكرة ارغام فاروق (١) على استدعاء النحاس كان قد فات أوانها فقد كنت نهاية حدود هذا الارغام هو الانذار البريطانى الذى رفضه الزعماء وفاروق ، وليس معنى ذلك ان (لامبسون) كان قد تخلى عن فكرة تأليف النحـاس لوزارة وفدية ، ولكن خطة السـفير البريطانى الجديدة ، تركزت فى ان يقوم مصطفى النحاس بتأليف هذه الوزارة ، ولكن بعد خلع فاروق .

ومما يؤكد ذلك انه حين قرر « لامبسون » ووزير الدولة البريطانى الاسـتمرار فى « الاجراءات » وخلع فاروق ، سـأل امين عثمـان (رجل الانجليز) عما اذا كان النحاس سوف يقبل تأليف الوزارة بعد خلع الملك ؟

---

(١) لعله مما يؤكد ذلك ، ان مصطفى النحاس بدأ حكمه بعد ٤ فبراير ١٩٤٢ بالافراج عن الفريق عزيز المصرى باشا وحسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف فى ٥ مارس ١٩٤٢ ـ أى بعد أقل من شهر واحد من توليه الحكم ، (كما أمر بشطب القضية (اى القضاء المحاكمـة التى كانت قـد جرت أمام مجلس عسكرى وتأجلت ٣ مرات) ، كذلك أطلق سراح المجـاهد الفلسطينى « محمـد على الطاهـرى » صاحب جريدة الشورى الذى لجأ اليه فى ٧ مارس ١٩٤٢ وكان قد قبض عليه فى عهد حسن صبرى باشا بناء على طلب الانجليز ، ثم هرب من المعتقل وظل مختفيا حتى سلم نفسه للنحاس ، وكان هذا الافراج دون الرجوع الى الانجليز ، وحين فاتحه امين عثمان (رجـل الانجليز) فى هـذا الموضوع اجابه النحاس : قل للانجليز اننى أطلقت سراح الطاهـرى فعلا ، وسيخرج من بيتى حـرا وان كان لديهم اعتراضات على ذلك فابلغهم الا يفاتحونى فى هذا الموضوع ، فلقد اطلقته وانتهى الأمر» .

كما قام النحاس باطلاق سراح جميع اعضاء حزب مصر الفتاة تباعا ، وكان آخرهم محمد صبيح ـ سكرتير عام الحزب ـ واحمد حسين الذى اقام فترة اعتقاله فى منزل أحد الضباط ، ونقلت اليه اسرته لتخفيف الاجراء عليه .

وحينئذ اقسم امين عثمان (بجميع الآلهة) ــ حسبما يروى لامبسون ــ على أن النحاس سوف يقبل !

لماذا تطوع امين عثمان بهذا التأكيد ؟ :

وعلى الرغم من قيام امين عثمان بالتطوع في اعطاء هذا التأكيد ــ فانه من الثابت أنه لم يكن قد أجرى أية اتصالات مع النحاس بهذا الشأن ــ وعلى هذا الأساس ساق « لامبسون » الدبابات البريطانية الى قصر عابدين لاسقاط فاروق عن العرش ، لا لفرض النحاس عليه .

وزارة الخارجية البريطانية تؤيد :

ومما يؤكد ما نذهب اليه في هذا المجال ، ما كتبه وكيل وزارة الخارجية البريطانية منبها الى هذه الحقيقة في مذكرة رسمية قدمها الى وزير الخارجية جاء فيها :

« على أن لدى تنبيها خطيرا اود أن اقدمه ، واعتقد انه ربما يغطى نقطة سوف تكلفنا كثيرا في المستقبل ، وهو انه لم يحدث في اى وقت خلال الأزمة ــ سواء فيما يتعلق بتعيين الوزارة الجديدة او خلع الملك المتوقع ــ أن السير « لامبسون » قد دخل في اى اتصال شخصى مع مصطفى النحاس (١) ، وهكذا فاننا لا نملك في الحقيقة سلاحا من اى نوع يمكننا ان نشهره في وجهه (وجه النحاس) عندما تقع ازمة قادمة ! »

على ماهر : كان الملك يعلم بالحادث مسبقا !! :

أما على ماهر باشا ، فيثير تساؤلا جديدا ، فهو يقول بأن الملك السابق فاروق كان على علم مسبق بحادث الدبابات ، وبالتالى فهو لم يفاجأ به ، بل كان يتوقعه وينتظره . . (١)

أدلى بذلك الرأى في أثناء شهادته في قضية الاغتيالات السياسية ، وأكده مرارا في خلال الشهادة حيث قال :

« رجع حسنين باشا من السفارة البريطانية ، بينما كنا منتظرين (بالقصر) ليخطرنا بأن السفير البريطانى قد اتخذ القرار وانه سيحضر الى عابدين الساعة التاسعة مساء لمقابلة الملك . فقلنا لحسنين باشا : وما أثر ذلك (رفض الانذار البريطانى) في نفس السفير ؟ . . فلم يجب ، وقد اتضح

---

(١) تطور الحركة الوطنية في مصر ــ الجزء الثاني ــ عبد العظيم محمد رمضان ــ بيروت

بعد ذلك ان حسنين باشا كان على علم بأن الدبابات البريطانية سوف تحضر لمحاصرة القصر فى المساء .

وهنا سأله رئيس المحكمة : ـ كيف استنتجت رفعتك علم حسنين باشا بذلك ؟

فأجاب على ماهر : انا سمعت بنفسى ، وحصل مناقشة ذلك بعدها أمام جلالة الملك . »

ثم كرر على باشا ماهر هذا الرأى فى مناسبة أخرى حين قال :

« اننى أعلم أن حسنين باشا (رئيس الديوان الملكى حينذاك) كان على علم بأن القصر سيحاط بالدبابات ، وقد علمت بذلك من مصدر (موثوق به) ومن أقرب المقربين للملك ، وأنه بعد ان أفضى حسنين باشا الينا بما سيتم فى التاسعة مساء من حضور الدبابات البريطانية ، حدثت مناقشة داخل السراى ، وعشان كده لما جاء الانجليز بالدبابات الساعة التاسعة كانوا (الملك وحسنين باشا) متوقعين ذلك ، ولكن الملك رأى أن يترك هذه العاصفة تمر .. »

الفصل الحادى عشر

- الصراع من اجل طبرق
- جبروت المدفع ٨٨ ملم !
- الضربة الجوية الأولى
- مفاجأة مريرة للجيش البريطانى
- طبرق تستسلم لروميل
- يا جنود بانزر افريقيا ! !
- روميل : عزيزتى لو ...
- حكمت فهمى ترقص رقصة طبرق !

السياسة والحرب :

رقصة طبرق !

"الحظ يزور المحاربين مرة واحدة"

الصراع من اجل طبرق مرة آخرى

روميل يوجه الضربة الجوية الاولى

بعد وثبة روميل الخاطفة التى استعاد بها (برقة) ليتمزق شمل الجيش الثامن البريطانى وتنهار روح قواته المعنوية الى الدرك الأسفل كما راينا ، انتابت القيادة البريطانية العليا حالة من اليأس المدمر ..

وأخذ الضباط والجنود البريطانيين يتسـاءلون فى أسى : هل هـذا الألمانى العجوز لا يهزم ؟ .. الا يوجد علاج لضرباته الخاطفة هذه ؟ ..

هذا القائد الماكر الذى يخوض معاركه مخالفا لكل قواعد ومبـادىء الحرب ، ومع ذلك يحالفه النصر على الدوام ! ..

فبينما تقضى قواعد الحرب بأن تكون قوة المهـاجم لا تقـل عن ثلاثة اضعاف قوة المدافع ، الا أن روميل كان يهاجم فى اغلب الأحوال بقوات اقل من قوة الانجليز ، ضاربا بقواعد الحرب عرض الحائط !

انا دائما الاقوى !

وفى ذلك ، قال روميل ذات مرة لجنرال بريطانى اسير :

« لماذا أعبأ بالتفوق العددى لمدرعاتكم ، طالما أنكم تستخدمونها مجزأة ؟

أمام هذه التجزئة والتبعثر ، أنا دائما الأقوى ! »

لقـد رفض البريطانيون فى بادىء الأمر أن يعوا هـذا الدرس ، فهذه الدولة البحرية الكبرى (بريطانيا) لم تكن تحب المقامرة بكل شىء على ورقة واحدة فى شمال أفريقية الأمر الذى كان يجعل روميل يختار مكان المعركة وتوقيتها فيملى ارادته .

وهكذا وبمجرد استعادته لبرقة ، قام بتحريك قواته الى الشمال ، تمهيدا للدخول فى معركة كبرى ضد المدرعات البريطانية ، بعد أن امتلك بين يديه كافة عناصر النصر ..

الصورة على الجانب البريطانى :

واذا انتقلنا الى الجانب الآخر ، كان الجنرال (ريتشى) ـ قائد الجيش الثامن ـ واقفا فى مقر قيادته فى (جمبوت) ، وقد سرح بخواطره يتأمل انقاض

المنازل فى ميدان السوق ، وللمرة الأولى وقف هذا الجنرال الهادىء يدق بيديه على عارضة النافذة بحركة عصبية .. فى حين وقف الجنرال (نورى) ــ قائد الفيلق ٣٠ ــ أمام خريطة الموقف العام ، محاولا تكوين صورة للموقف وابداء رأيه فيما ينبغى اتخاذه من اجراءات ..

كان موقف فرقتى (نورى) المدرعتين يدعو للرثاء حقا ! .. بعد ان حاولتا ــ وهما مجزأتين حسب الأسلوب البريطانى ــ خلال الساعات القليلة الماضية (بعد سقوط بير حكيم) ايقاف قوات روميل التى كانت متقدمة كالسيف القاطع شمالا فى اتجاه الشاطىء دون جدوى ، حتى ان الجنرال (ميسرفى) ــ قائد الفرقة السابعة المدرعة ــ وقع فى أسر روميل ، لتبقى فرقته دون قائد لمدة ٢٤ ساعة كاملة ، وبامكاننا أن نتخيل نتائج هذا الأمر ..

وهنا قام روميل باستغلال الارتباك الذى عم القيادة البريطانية ، فعمل على تدمير اللواءات المدرعة البريطانية التى كانت تعمل منفصلة عن بعضها البعض ..

سيدى : القائد العام فى الطريق ! :

وما ان حل بعد ظهر يوم ١٢ يونيه ١٩٤٢ ، حتى كانت المدرعات البريطانية قد تحولت الى كتل ضخمة من الفولاذ المحترق ، حيث كان بالامكان مشاهدة الدبابات من طراز (جرانت) و (كروسيدر) و(ستيوارت) مبعثرة هنا وهناك فوق الرمال الساخنة ..

وعلى الرغم من أن قائد الفيلق ٣٠ (الجنرال نورى) لم يكن قد استوعب بعد أبعاد النكبة التى حاقت بقواته كاملة ، الا أن الصورة التى نقلها للجنرال (ريتشى) فى (جمبوت) كانت كافية ، قال له :

« سيدى .. لم يكن فى امكاننا ايقاف تقدم روميل نحو الشاطىء بأية قوة مدرعة ذات قيمة ، واذا وصل هذا الشيطان الى البحر ، فان الفرقتين المشاة (فرقة جنوب أفريقية والفرقة ٥٠ البريطانية) تكونان بذلك قد تم عزلهما وفقدهما .. »

ولم يكد الجنرال (نورى) ينتهى من عرض هذه الصورة القاتمة ، حتى اقتحم الميجر (هاردى) ــ من ضباط القيادة العامة ــ الحجرة وبيده رسالة من قيادة الشرق الأوسط بالقاهرة .. وصاح : « سيدى الجنرال .. ان القائد العام يبرق من القاهرة ، وسيكون هنا خلال ساعة » .

تنازع على السلطات ولا قيادة موحدة ! :

وقف الفيلد مارشال « سير كلود أوكينلك » ـ القائد العام لقوات الشرق الأوسط ـ والذى وصل لتوه بالطائرة من القاهرة ، هادئا مسيطرا على أعصابه تماما ، لم يحتد .. ولم يوجه اللوم الى احد .. ولكن طعم المرارة كان واضحا فى جمله المختصرة الأليمة .. « لقد صار روميل الآن ايها السادة فى موقف يمكنه فيه تدمير الجيش الثامن وتوجيه الضربة القاضية اليه .. »

استمع صغار الضباط الى كلمات القائد العام مغلقى الشفاه كم كان بودهم ان يتكلموا .. ، ليقولوا :

« طالما أننا نقاتل فى الحرب العالمية الثانية بأساليب الحرب العالمية الأولى فلن ننتصر أبدا .. والى أن يدرك جنرالاتنا أن هناك تطورا كبيرا قد ظهر فى فن الحرب ، قامت فيه المدرعات سريعة الحركة بابطال الجبهات الثابتة وحرب الخنادق ، فسنكون دائما الخاسرين مهما بلغت قوة تسليحنا (الذى كان متفوقا بالفعل على تسليح الألمان كما ونوعا بعد تزويدهم بالاسلحة الأمريكية) ..

ان جنرالاتنا يتناقشون ببطء وينتظرون الأوامر فى مراكز قياداتهم البعيدة فى الخلف ، بينما روميل ونهرنج وكليمان وفون بسماك ورفاقهم (١) يقودون مدرعاتهم ومدافعهم ومشاتهم الميكانيكية بأنفسهم فى أقصى الأمام ، الأمر الذى يمكنهم من اصدار تعليماتهم على الفور حسب تطور سير المعركة ، ولكن ماذا تفعل قيادتنا هنا ؟ .. نزاع على السلطات ، ولا قيادة موحدة ، وبالتالى لا ثقة بالنصر ، فقط استراتيجية قديمة العهد ، تدبر فى القاهرة وتترجم فى القيادة بجمبوت الى أوامر عقيمة واوراق كثيرة ، لتمر الساعات الطوال قبل أن يتم ترجمتها وفك شفرتها (كان روميل لا يستخدم الشفرة خلال القتال) ، وحينئذ يكون الموقف قد تغير تماما ! »

روميل : مقاومة الضعف الانسانى :

لقد أوضح الفيلد مارشال « روميل » مفهومه لحرب الصحراء ـ التى ترتكز فى المقام الأول على خفة الحركة والالمام بأسلوب استخدام المدرعات ، حينما قال فى محاضرة لضباطه :

---

(١) وهم قادة فرق البانزر المدرعة الالمانية حينذاك

« ان معركة الدبابات فى الصحراء تمثل ملحمة سريعة الايقاع ، لذا فان القادة حينما يقودون وحداتهم المدرعة فى أقصى الأمام لا يقومون بذلك عن شعور بالشجاعة المفتعلة ، بل لالمامهم بتكتيكات المدرعات ونفسية القوات. ان معظم الرجال الذين يخوضون معركة بالدبابات ــ وهى معارك عنيفــة ومرهقة ــ يشعرون فى لحظة ما بحاجة الى الراحة ، ولا يوجد جيش فى العالم مكون من ابطال فقط ، لذلك فانهم سيتصورون فى فترة معينة انهم لا يستطيعون الاستمرار ، وهنا يأتى دور القائد ، الذى بما له من صلاحيات ينبغى ان يقاوم هــذا الضعف الانســانى الطبيعى الذى ينتــاب رجاله ، فينتشلهم من وهدة التقاعس . ان القائد هو التيار الذى يبعث الحرارة فى المعركة ولذا ينبغى عليه خلال المعركة وعلى الدوام ، أن يكون فى أقصى الأمام لادارة عجلة القتال . »

عودة الى قيادة الجيش الثامن :

بعد الاجتماع الطويل ، الذى حضره القائد العام وقائد الجيش الثامن وقادة الفيالق البريطانية فى (جمبوت) وقادة الفرق والألوية المدرعة ، ابرق « أوكنلك » الى تشرشل فى لندن :

ان نوايا العدو لم تتحقق طبقــا لخطته ، وان روح القوات البريطانية المعنوية عالية (وكان هــذا لا يمثــل الواقع ، فالقــادة يحبون التفــاؤل بوجه عام) .

ورد عليه رئيس الوزراء ببرقية من لندن على الفور جاء فيها :

« انى أهنئك على قرارك بالاستمرار فى القتال ، أن نجاحك لا يعتمــد فقط على القوات والأسلحة ، ولكنه يعتمــد كذلك على قوة الارادة ، الله يرعاكم جميعا » .

بعيدا عن لهجة التفاؤل :

وبعيدا عن لهجة التفاؤل هذه التى سادت برقيات أوكنلك وتشرشل ، كانت الحقائق المجردة تعطى صورة مخالفة تماما ، لقــد استمرت المعركة المدرعة فى المربع الصحراوى العظيم (طبرق ــ الغزالة ــ جسر الفرسان ــ العضم) . بضراوة دمرت فيها قوات الحرس البريطانى فى جسر الفرسان ، كذلك الفرق الهندية ، كما لم تتمكن المدرعات البريطانية من التخلص من المعركة حينما كانت تظهر مدرعات روميل المجمعة فى اعظم حشد لتفرض عليهــا المعركة فى المكان الذى تختاره . . ، وبذلك كان روميل هو الذى يحدد توقيت ومكان المعركة فى كل مرة .

جبروت المدفع ٨٨ ملم الألمانى :

كان الجنرال (ريتشى) يقع فى حيرة بالغة كل مرة .. أين سيهاجمه روميل ؟ .. فى الغزالة ؟ .. فى العضم ؟ .. فاذا دفع بمدرعاته الى منطقة ما ، اذ بروميل يظهر فى القطاع الضعيف ، واذا أبقى مدرعاته فى موقعهـا ، فهناك خطر أكبر فى أن يصل روميل الى دفاعات طبرق الخارجية للاستيلاء على القلعة المنيعة التى كانت تمثل هدف روميل منذ بداية القتال ..

وسرعان ما وضع روميل حدا لحيرة (ريتشى) ، حينما هزمت فرقة البانزر القوات البريطانية المتفرقة والتى كانت قد وضعت فى مواجهته ، وكانت الورقة الرابحة فى يد روميل تتمثل فى المدفع الألمانى من عيار ٨٨ ملم المضاد للدبابات ، (والذى كان عياره الكبير يسمح له بتدمير واختراق دروع جميع دبابات الحلفاء) ، كان روميل يستدرج المدرعات البريطانية الى المكان الذى يختاره ليدمرها بواسطة كمائن من هذه المدافع القوية المخفاة جيدا فى الصحراء ، فى عنف بالغ ، وبذلك تمكن روميل من تدمير القوة الضاربة الرئيسية للجيش البريطانى ممثلة فى مدرعاته فى معارك دبابات نموذجية ، وهكذا ضاع الجيش الثامن .

انكسر حائط الصلب :

لم تكد طائرة (أوكنلك) تهبط فى القاهرة ليلة ١٢ يونيه ١٩٤٢ ، حتى كان من الواضح تماما للقيادة البريطانية فى (جمبوت) أن المدرعات البريطانية قد قضى عليها تماما ، وبذلك انكسر حائط الصلب المتحرك الذى كان يحمى مشاة الانجليز فى منطقة القتال (الغزالة ــ طبرق) ، وأصبح روميل هو سيد الصحراء .

وتتركز الأنظار فى القاهرة ولندن على طبرق .. ماذا سيكون مصير تلك القلعة التى صمدت من قبل لضربات روميل (فى العام السابق) ، ذلك الحصن العظيم الذى يفتح الباب أمام روميل الى مصر .

عينى روميل على طبرق ! :

وهكذا وجد روميل أن هدفه المنشود ــ طبرق ــ على شفا السقوط بين يديه كالثمرة الناضجة .. لقد ظل يقاتل عاما كاملا كى يصل اليها ، وما عليه الآن ــ بعد أن قام بتدمير القوة المدرعة الرئيسية للجيش الثامن ــ الا القيام بعزل أو أسر فرق مشاة هذا الجيش ، ثم القيام بتوجيه ضربة خاطفة ساحقة على طبرق للاستيلاء عليها ، وحينئذ ــ هكذا كان يأمل ــ

لن يوقفه شيء عن مواصلة التقدم نحو القاهرة ، والاستيلاء على حقول بترول الشرق الأدنى (فى العراق) والخليج الفارسى (فى ايران) .

تشرشل متفائل ! :

وفى لندن ، كان تشرشل لا يزال تسيطر عليه روح التفاؤل ، لم يكن فى الصورة الصحيحة تماما ، لذا فقد اعتقد أن بامكان طبرق مواصلة الصمود ، يدل على ذلك البرقية التى أرسلها الى (أوكنلك) فى ١٥ يونيه وجاء فيها :

« أترك فى طبرق القوات الكافية لضمان الاحتفاظ بها » .

وعندما رد أوكنلك بأنه سينفذ ما جاء بتعليمات رئيس الوزراء ، أجابه تشرشل ببرقية ثانية : « ان بريطانيا لمسرورة أن تعلم بتصميمك على الاحتفاظ بطبرق بأى ثمن ! »

هذا الثعلب الماكر :

فى ذات الوقت ، كان روميل يفكر فى حيلة جديدة للاستيلاء على طبرق، ولكى يخدع البريطانيين ، فقد أصدر تعليماته لقواته خفيفة الحركة بالمرور بجوار المدينة دون محاولة اقتحامها ، بينما تقدمت المشاة وحدها الى القطاع الغربى للقلعة .. وكان المقصود من ذلك هو أن يعتقد الانجليز بأنه ينوى تجاهل طبرق والاتجاه رأسا الى الحدود المصرية ، كما فعل فى العام السابق ،

وقاد روميل بنفسه الفرقة ٩٠ الخفيفة التى وصلت البردية فى ١٩ يونية ، ليسرع فى ارسال البرقيات المفتوحة (دون شفرة كعادته) ، بينما كان ضابط مخابراته يزمجر فى عربة اللاسلكى قائلا : (لقد أصبح الرجل العجوز صريحا للغاية !) .. كانت جميع برقيات روميل المفتوحة تشتمل على كلمة (البردية) بينما لم يرد بها حرفا واحدا عن طبرق ، حتى اعتقد (ريتشى) وقادته أنه ينوى بالفعل تجاهل (طبرق) ، : « انتبهوا ! .. روميل يتقدم نحو حدود مصر » كانت هذه توجيهات (ريتشى) الى قواته ، وكان هذا بالدقة ما يريده روميل !!

الضربة الجوية الأولى :

قبيل فجر ٢٠ يونيه ١٩٤٢ ، وصل روميل وضباط قيادته بالقرب من طبرق ، وقف الرجل العجوز ينظر فى ساعته ونظارة الميدان معلقة حول

رقبته ، وقد حجبت مقدمة قبعته عينيه نصف المغلقتين ، ومن حين لآخر كان ينظر نحو طبرق بمنظاره المكبر ، ثم صعد فوق تبة رملية صغيرة ، واخذ يتمشى جيئة وذهابا .. بينما عقارب الساعة تتحرك ببطء لتشير الى الخامسة وعشرين دقيقة فجرا ،

ومن بعيد ، كان بالامكان أن يستمع الى طنين خفيض ، اعقبه بفترة قصيرة ظهور بقع سوداء صغيرة في الأفق البعيد .. كانت الطائرات المنقضة (المقاتلة) وقاذفات القنابل الخفيفة والثقيلة ، وكل طائرة ألمانية وايطالية صالحة للقتال في أفريقية تشترك في هذه اللحظة في الضربة الجوية الكبرى على القطاع الجنوبي الشرقي من قلعة طبرق .

حمولة ٦٠٠ قاذفة قنابل :

فجأة صاح روميل : « ميجر وولف » .. لتبدو الحيرة على وجوه ضباط قيادته ، لم يكن هناك من يحمل هـذا الاسم على الاطلاق ، وانما كان يوجد ميجر (فوكس) ـ ضابط الاتصال بالطيران ـ لم يتمكن روميل من حفظ اسمه ، فأصبح يسميه (وولف) وهنا صاح رئيس اركان روميل : ميجر « فوكس » يقدم نفسه للقائد العام ..

وزمجر روميل : « أين بحق السماء يوجد الميجر وولف هذا ؟ »

ظهر الميجر (فوكس) بعد دقيقة وقال للقائد : أنا ميجر « فوكس » ..

غير أن روميل أصر على تسميته بوولف ، قال له : « اسمع يا وولف .. هل اتخذت الاجراءات اللازمة لضمان القاء الطائرات لحمولتها على طبرق بدقة ؟ » أجاب « فوكس » : لقد قمت بتلقين قادة الأسراب بمنتهى الدقة يا سيدى الجنرال .

وفى تلك اللحظة سمع الجميع صوت انفجار هائل داخل القلعة ، لقد القت ٨٠ طائرة منقضة و ١٠٠ قاذفة قنابلها على طبرق ..

اذن لقد تمت الضربة الجوية الأولى ، وبدأت المعركة الثانية فى سبيل الاستيلاء على طبرق ، وارتفعت نافورات الأتربة عالية من تحصينات الجنوب الشرقى (منطقة الاختراق) حيث توجد مواقع الفرقة الهندية ، كما تطايرت الأسلاك الشائكة وكتل الأسمنت المسلح فى الهواء كلعب الأطفال ، بينما حلقت فوق الهدف موجة بعد اخرى من قاذفات القنابل والطائرات المنقضة ، كان تاثير هذا القصف المتتالى يعادل فى تاثيره غارة تقوم بها ٦٠٠ قاذفة قنابل ثقيلة .

الضربة المدرعة :

وعلى الفور ، وبمجرد انتهاء الضربة الجوية على طبرق ، تدخلت فرق روميل البانزر (المدرعة) فى القتال ، حيث شنت الفرقة ٢١ بانزر بقيادة الجنرال (فون بسمارك) هجوما شاملا ـ يعاونه وحدة البانزر الجرينادير مدفعية ـ قامت خلاله باجتياح الميناء ، بينما سحقت قوة أخرى منها مقاومة رجال الأسطول البريطانى .

ولكن كان هناك لا يزال أمام روميل مهمة القضاء على المقاومة البريطانية داخل القلعة ، سواء من حيث الأسلاك الشائكة العميقة وشراك الدبابات المخيفة ، وقواعد المدفعية التى أخفيت بمهارة لحماية الميناء ، بجانب قوة الحامية المشكلة من نحو ٤٠ ألفا من الجنود والضباط ، تحت قيادة الجنرال (كلوبر) .

تقدمت كتل الصلب العملاقة ـ دبابات البانزر الألمانية ـ داخل طبرق فى حذر ، بينما كانت احدى وحدات المهندسين العسكريين الألمانية تقيم جسرا فوق أحد الخنادق العميقة المضادة للدبابات ، تحت نيران العدو .

قام المهندسون المهرة بعمل رائع ، تسترهم قوات الاقتحام ، لتتقدم الدبابات بحذر بالغ وتعبر الجسر الواحدة تلو الأخرى ، لا يزال أمام الدبابات تلك الخنادق المغطاة اللعينة المنحوتة فى الصخور والتى أخفاها المدافعون بمهارة بحيث لا تظهر الا بعد ان تكون قد وصلت فوقها ، ولكن جنود البانزر كانوا يعرفونها منذ هجوم العام المنصرم !

مطلوب معاونة جوية ! :

كانت الخطة التى وضعها روميل تقضى بأن تصل الطائرات الألمانية المنقضة على الفور فى تلك اللحظة لمعاونة الهجوم ، ربما تأخرت دقائق ، ولكنها وصلت فى الوقت المناسب لتلقى بقنابلها وطلقات رشاشاتها على المواقع البريطانية ، وفى وسط هذا الجحيم تقدمت الدبابات بأقصى سرعة وسط الأتربة ترافقها وحدات المشاة الميكانيكية الى مرابض الرشاشات ودمرتها .

نظر روميل الى ساعته ، كانت عقاربها تشير الى الثامنة والنصف صباحا ، بينما كانت وحدات المهندسين وقوات الصاعقة تؤدى عملا ممتازا أثار اعجاب روميل ، حيث ألقوا ببراميل الوقود الفارغة فى الخنادق العميقة

لتمهيد الطريق لعبور الدبابات ، صـاح روميل مشجعا : « اسرعوا يا رجال .. فقد وضعنا اصبعنا على الزناد ! »

مفاجأة مريرة للبريطانيين :

وفى نفس الوقت ، كان المهندسون يفتحون الثغرات فى حقول الألغـام الكثيفة ويقطعون الأسلاك الشائكة المحيطة بالدفاعات داخل وحول المدينة وعندما وصلت دبابات البانزر الى تقاطع الطرق الشهير (سيدى محمود)، كانت المدافع البريطانية المضادة للدبابات تلفظ حممها من حافة الجبـل ، وهنا ظهرت موجة جديدة من المقـاتلات الألمانية المنقضـة ، لتقوم بتقديم المعاونة الجوية الدقيقة للقـوات البرية ، كان ذلك يمثل مفـاجأة مريرة للبريطانيين ، حيث حطم التنسيق التام بين الطيران والدبابات والمشـاة الميكانيكية مقاومة الحامية البريطانية فى المواقع الأمامية لتحصينات المدينة البائسة بعد معركة مريرة طويلة ومرهقة .

وبينما كانت مدافع الدبابات البانزر (من طراز جيجر ٥ سم) تدمر مرابض الرشاشات البريطانية ، كان ضـباط ملاحظة المدفعيـة الأمامية البريطـانيين يستسلمون للقوات الألمانيـة ، على حين قفز مشاة الألمـان المسلحون بالرشاشات الخفيفـة من عرباتهم ليشـقوا طريقهم الى داخل المرابض المغطاة ، التى خرج منهـا جنود جنوب أفريقيـة بقبعاتهم البوير الشهيرة رافعى الأيدى .

عناد تقليدى للبريطانيين ! :

أخطأت المدرعات البريطـانية التى اندفعت لمهاجمـة القوات المدرعة الألمانية خطأها التقليدى باندفاعها عبر المنحدرات معرضين أجناب دباباتهم (وهى أسهل وأقل تدريعا من بقية الدبابة) ، كما تركز خطأهم الثانى ، فى عنادهم المعتاد ، بالاصرار على وضع بيرق القادة على هــوائيات اللاسلكى بالدبابات الأمر الذى سهل على مـــدرعات البانزر (انتقاء) الدبابات ذات البيارق وتدميرها لحرمان التشكيلات المدرعة من قادتهم .

ان روميل يعلق على هذا العناد البريطانى الموروث عن التقاليد بقوله : « ان هذه القطعة الصغيرة من القماش والتى يصر الانجليز على ربطها فى هوائى دبابة القائد نتيجة لضرورة اتباعهم للتقاليد الموروثة تعتبر قاتلة ، لأنه من اليسير قهر تشكيل بلا قائد ! » .

كما يكسر البندق ! :

في عصر اليـــوم نفسه ، كانت الفرقة ١٥ بانزر المدرعة قد أتمت طرد البريطانيين من قلعة (جبر القاسم) ، وفى الساعة السادسة مساء استولت على قلعة (بليسترينو) ، وبذلك سقطت ثلثى الدفاعات البريطانية فى أيدى روميل .

وهنا قام روميل بنفسه بقيادة مجموعة قتال الرئاسة (١) خلال اختراق الفيلق الأفريقى الحاسم ، وكان روميل يدفع دائما بمثل هــذه المجموعة خفيفة الحركة الى أقوى النقاط فى الخطوط البريطانية .

وعلى منحدر الجبل ــ فى الطريق الى المدينة ــ قام بتدمير الدشم كما يكسر البندق ، وعند تقاطع الطرق ، شـــوهد اخصائى الألغـــام العجوز (روميل) وهو يرفع بنفسه ــ مع رجاله ــ الألغام من أحد الخنادق المضادة للدبابات ، وفى ذلك يقول العريف الألمانى (كيرت كنك) أنه تعلم من قائد البانزر أفضل الطرق لانتزاع بيض الشيطان (الألغام) هذا من الرمال .

الموقف على الجانب البريطانى :

فى نفس الوقت ، جلس الجنرال (كلوبر) قائد حامية طبرق فى مركز قيادته فى منتصف القلعة ، كانت الطائرات الألمانية قد ألقت بقنابلها فوق مقر قيادته منذ الضربة الجوية الأولى ، وهكذا أصبح القـــائد دون مركز قيادة . .

وعندما انتقل مع ضباط أركانه الى مقر آخر للقيادة ، قامت الطائرات الألمانية ــ خلال الضربة الثانية ــ بتدميرها مرة أخرى . . وهكذا ظل قائد القلعة مطاردا فى معظم ساعات القتال الحرجة من موقع الى موقع ، وقـــد اضطربت اتصالاته مع قواته ، ومنذ منتصف النهار لم يتمكن (كلوبر) من اصدار التعليمات الى القادة .

---

(١) مجموعة قتال الرئاسة هذه عبارة عن تنظيم وضعه روميل لوحدة قتال سريعةتناسب حرب الصحراء تماما ، وهى فى معدل قوة كتيبة ، ومكونة من سرية دبابات وسرية مختلطة من المدفعية المضادة للدبابات والمضادة للطائرات والمدافع عيار ٥ر٧ سم ذاتية الحركة ومن عيار ٣ر٧ المضادة للدبابات وعيار ٢ سم المضادة للطائرات بالاضافة الى رتل من سيارات الاستطلاع وعربات اللاسلكى .

(ريتشي) : طبرق تعانى سكرات الموت !

أما قائد الجيش الثامن (الجنرال ريتشي) ، فقد طار الى القاهرة ليقدم تقريره بعد أن رأى طبرق وهى تعانى سكرات الموت ، واندلعت النيران فى كل شبر فيها ويرسل الجنرال (كلوبر) ـ قائد طبرق ـ برقية الى (ريتشى) فى القاهرة يقول فيها :

« ان الموقف ميئوس منه .. سأحاول الاختراق غربا فى اتجاه ليبيا ! »

ولم يكد (أوكنلك) و (ريتشي) يتمان قراءة هذه البرقية المتشائمة ، حتى وصلتهما برقية ثانية من (كلوبر) جاء فيها :

« لا فائدة .. دمرنا معظم عرباتنا وحملتنا ، ولم يعد فى مقدورنا التحرك سنستمر فى المقاومة حتى نتم تدمير كل المعدات الثقيلة ! »

روميل يقبل استسلام الحامية :

وفى صباح يوم ٢١ يونية ، دخل روميل مدينة طبرق على رأس مجموعة قتاله ، كانت أكواما من الأنقاض ، من العسير أن تجد فيها منزلا قائما ..ربما كان مسجد المدينة هو البناء الوحيد الذى ظل سليما ، بينما تحولت منشئات الميناء والشوارع الى أنقاض ، كما رقد فى مياه الميناء حطام العديد من السفن البريطانية التى غرق معظمها نتيجة اصابات مباشرة من مدافع الفرقة ٢١ بانزر وقد ارتفعت صواريها ومداخنها الى الهواء بطريقة تثير الرثاء ..

وفى الساعة التاسعة والنصف صباحا ، قبل روميل طلب استسلام الحامية المقدم اليه من الجنرال (كلوبر) ، الذى رافق روميل خلال جولته بالمدينة .

البرود البريطانى ! :

وفى أثناء مرور روميل وبرفقته كلوبر ، شاهد ثعلب الصحراء فلول القوات البريطانية وهى تقوم بنسف مخازن التموين والوقود ، وهنا التفت روميل الى الجنرال (كلوبر) وقال له بحدة :

« اذا استمر رجالك فى تدمير منشئات التموين والوقود فلن يجد الأسرى من جنودك ما يأكلونه ، واذا استمروا فى نسف عرباتكم ، فسأضطر الى حمل الأسرى الانجليز على السير فوق الأقدام عبر الصحراء » .

ويجيبه (كلوبر) بالبرود الانجليزى الشهير :

« سيدى .. اننى انفذ الأوامر » ثم أضاف بصوت خفيض :

« وعلى أية حال ، فاننى لم أصدر أية أوامر لتدمير المخازن ومستودعات التموين » .

٣٣ الف اسير وتموينات هائلة ! :

وقف روميل وبايرلين (رئيس أركانه) والى جانبهم خصمهم الأسير الجنرال (كلوبر) على الطريق الرئيسى بالقلعة يرقبون ٣٣ ألف اسير من **قوات الجيش الثامن يعرجون ويتمايلون متوجهين الى معسكرات تجميع** الأسرى .

يعطينا (الن مورهيد) ـ المراسل البريطاني ـ الصورة التالية عن مشاهداته :

« كانت هزيمة البريطانيين فى طبرق هزيمة شاملة ساحقة ، لقد ربح العدو (الألمان) من المعدات اثمن كنز لم يسبق أن شاهدت مثله فى الصحراء، وبذلك أصبح لدى روميل عدد كبير من العربات والدبابات والمدافع والأسلحة البريطانية الى جانب كميات كبيرة من الوقود والذخيرة تكفى ليعيد تسليح قواته فورا والتقدم الى النيل .. »

يا جنود بانزر افريقيا ! :

كان أمل روميل كبيرا فى مواصلة الضغط على الجيش الثامن بعد سقوط طبرق للوصول الى الدلتا ، وفى مساء نفس اليوم أصدر أمرا يوميا لجنوده جاء فيه :

يا جنود جيش بانزر افريقية :

« لقد توجتم المعركة الكبرى باجتياحكم السريع لطبرق ، فسقط فى ايدينا ٤٥ الف اسير (١) ودمرنا واسرنا اكثر من الف عربة قتال مدرعة ومايقرب من ٤٠٠ مدفع ، انكم بشجاعتكم التى لا تبارى ، وبعنادكم أثناء القتال الطويل المرير خلال الأسابيع الأربعة الأخيرة ، وجهتم للعدو الضربة تلو الضربة ، وقد كلفته روحكم العالية فى الهجوم نخبة جيشه الميدانى التى كان يستعد بها للهجوم علينا بالفعل .. والأهم من ذلك انكم افقدتم العدو مدرعاته القوية ، تهانئى القلبية لكل ضابط وكل جندى على هذه الانتصارات الرائعة ..

(١) الحقيقة ٣٣ الف اسير ، ويرجع هذا الاختلاف فى الارقام الى ان قوات روميل لم تكن قد انتهت بعد من احصاء عدد الاسرى بدقة .

يا جنود البانزر :

الى الأمام .. لتدمير العدو تماما ، اننا لن نرتاح الا اذا حطمنا آخر بقايا الجيش الثامن البريطـانى ، وأثناء الأيام القادمة ساطلب منـكم مرة اخرى مجهودا شاقا واحدا وذلك للوصول الى هدفنا النهائى .. الى مصر » (١) .

المكافأة عن اداء الواجب :

وصل روميل بذلك الى أعلى درجات المجد ، حيث أبلغته القيادة الألمانية العليا بترقيته الى رتبة الفيلد مارشال ، كما أصدر موسولينى أوامره بترقية الجنرالين الايطـاليين (كاڤاللير و) و (باسـتيكو) الى رتبة الفيلد مارشال كذلك .

روميل : وددت لو اعطونى فرقة بدلا من هذه الرتبة ! :

ان المؤرخ العسكرى البريطـانى (سير بازل ليدل هارت) يعلق على ذلك بقوله : « فى اليوم التـالى لسقوط طبرق ، استمع روميل ـ عبر الاذاعة ـ ومن قيادة هتلر الى نبـأ ترقيته الى رتبة الفيلد مارشال (وهى أعلى الرتب العسكرية) مكافأة له على انتصاراته الساحقة ، كان عمره يبلغ وقتـذاك ٤٩ عاما فحسب ، وقد بلغ من انشغاله فى الايام التالية بالتحضير لمواصلة الهجوم فى اتجاه الدلتا ، أنه نسى تغيير علامات رتبته القديمة (جنرال) الى الرتبـة الجديدة ولم يتذكر ذلك الا بعد وصوله للعلمين ، عنـدما نبهـه الى ذلك الفيلد مارشال (كيسلرنج) ـ قائد سلاح الجو الألمـانى ـ الذى أعطى روميل علامة واحدة من علاماته الشخصية ، ولم يتلق روميل عصـا الماريشالية (الخاصة بالرتبة الجديدة) الا خلال مقابلته لهتلر ببرلين فى سبتمبر ١٩٤٢ ، وقد علق روميل على هذه الترقية وقتذاك بقوله :

« وددت لو أن هتلر أعطانى فرقة جديدة بدلا منها ! » .

---

(١) يوميات الحرب الالمانية ـ برلين ـ ١٩٥٥

عزيزتى لو ! :

وفى اليوم التالى ــ ٢١ يونيه ــ يكتب روميل الى زوجته :

عزيزتى لو :

طبرق ! . . كانت معركة رائعة . . وهنــاك الكثير من الأعمــال فى منطقة التحصينات ، ويجب ان انام عدة ساعات بعد كل هذا الجهد ، اننى افكر فيك كثيرا ، لقد كان سقوط طبرق يمثل ذروة انتصاراتنا فى حرب الصحراء . . »

السياسة أفقدت روميل ثمار النصر :

الهة الحظ لا يزور المحاربين مرتين !

ما أن سقطت طبرق العتيـــدة فى أيدى روميـــل ، حتى أقترح ثعلب الصحراء متابعـــة التقدم فى أعقـاب فلول القـوات البريطانية الفارة فى ذعر لتدميرها تماما قبل أن تصل اليها امدادات جديدة أو تتمركز فى خط دفاعى جيد ، وقد عزز رأيه هذا الذى أبرق به الى هتلر ـ بما غنمـه من كميات هائلة من الذخائر والمؤن والبترول والعربات والدبابات ، بالاضـافة الى ما كان جنوده يتمتعون به من روح معنوية عالية ، مع ضعف مركز القوات البريطانية فى الجبهـــة .

وقد وافق هتلر على رأى روميل ، وعليه ارسل الفوهرر الى موسولينى يطلب اليـه تأجيل الهجوم على مالطـــة (التى كانت تعترض طريق القوافل الالمانيـة والايطالية الى جبهـةشمال أفريقية) والتركيز على جبهة الصحراء الغربية وجاء فى الرسالة التى ابرق بها الى موسولينى :

((لقد شاءت الأقدار أن تمنحنـا فرصـة لن تتكرر على مسرح الحرب نفسه مرة أخرى ، فقد تحطم الجيش الثامن البريطـانى تماما ، وما زالت ميناء طبرق سليمة ، وها انت تملك أيهـا الدوتشى قاعدة اضافية (طبرق) لها أهمية بالغة ، لان الانجليز مدوا منها خطا حديديا الى مصر نفسها . واذا لم نقم فى الحال بمطاردة الجيش البريطانى المندحر الى آخر رجل فسيتكرر ما حدث للانجليز عندما حرموا من ثمار نصرهم (يقصد حملة القضـاء على الجيش العاشر الايطـالى) وبذلك لم يصلوا الى طرابلس ، وتوقفوا ليرسلوا بقواتهم فى غبـاء الى اليونان ، .. ان الهة المعارك لا تزور المحـاربين الا مرة واحدة !)) .

كما أضاعت حملة اليونان النصر البريطانى :

لم تكن وجهة نظر موسولينى متفقة على الأطلاق مع راى روميل وهتلر ، بل كان بعض كبار قادة هتـلر ذاته يعارضـون فكرة تدعيم موقف روميل فى شمال أفريقية (مثل الماريشال كيسلرنج قائد سـلاح الجو الالمـانى والأميرال رايدر قائد البحرية الالمـانية) ، وبرروا معارضتهم تلك عارضـين فكرة ان الاستيلاء على (مالطة) تأتى فى المقـام الأول قبل مسرح الحرب فى الصحراء الغربية حيث أن احتلالها يؤمن البحر المتوسط امام البحرية الألمانية والايطالية ويقضى على التهديد البحرى البريطانى (الذى كان يتخـذ من الجزيرة قاعدة قوية له) الأمر الذى يشكل خطورة على قوافل الامداد للمحور ..

وهكذا تدخلت السياسيـــة من جـــديد هذه المرة ــ كما تدخلت عقب انتصارات الجنرال « أوكونور » الحاسمة على الجيش الايطالى عام ١٩٤٠ ، حينما أصر تشرشل على بعثرة جيش أوكونور المدرب وارسال وحداته المدربة الى اليونان ، ولكن المثال هنـا جاء مقلوبا ــ على الجانب الألمـــانى ــ ليحرم روميل ، والمانيا كلها ــ من نصر ساحق كان قريب المنال ، حيث كان الجيش الثامن البريطانى فى أعقاب ســـقوط طبرق قد وصل الى حالة من الفوضى والتشرذم لم تحدث لجيش مقاتل من قبل ، وكان رأى روميل سديدا تماما فى وجوب الضرب على الحديد وهو ساخن ، بمطاردته دون ابطاء ، للقضاء عليه قضاء لا تقوم له قائمة بعدها ، وبذلك قضت السياسة فى نهاية الأمر على هذا القائد الذى وصل الى مرتبة القادة التاريخيين من طراز ولنجتون ومارلبورو ، بأن يجنى ثمار هزيمـــة مرة المذاق (فى العلمين) ــ لم يكن هو بالقطع سببها ، انها السياسة والحرب من جديد ! . .

حكمت فهمى ترقص رقصة طبرق فى الكيت كات !

صدى سقوط طبرق فى القاهرة :

٢١ يونيه ١٩٤٢ ..

ليلة حارة من ليالى الصيف فى القاهرة ..

فى ملهى الكيت كات :

وفى منطقة امبابة الآن ، كان يوجد ملهى ليلى شهير فى تلك الآونة ، يحمل اسم الكيت كات ، لم تكن الموسيقى والرقص تتوقفان بداخله حتى فجر كل يوم ، وقد اقترن هذا الملهى فى ذلك الحين بشيئين : الأول ، الراقصة المصرية الجميلة حكمت فهمى التى كانت تقدم (نمرتها) فيه وتجلس الى الضباط الانجليز المخمورين ، ثم تنصرف مع بعضهم الى عوامتها فى العجوزة ، لتعرف من ثرثرتهم المخمورة أسرارهم ، ثم تنقلها بدورها الى عملاء الألمان ــ فقد كانت تكره ــ كمعظم أفراد الشعب المصرى ــ هؤلاء المحتلين ذوى الوجوه الحمر الذين يتحكمون فى كل مقادير البلاد .

وفى تلك الليلة ، كانت جميع موائد الملهى مليئة بالرواد ، حيث رقص الجميع على نغمات أغنية الموسم والتى كانت كلماتها تقول : « الشمس على موعد مع القمر ، لكن القمر غير موجود » ... وكان الحاضرون على جميع الموائد يرددون مقطع (ولكن القمر غير موجود) .. وقد علت وجوههم ابتسامة عريضة ، لأن القمر كان مكتملا فى السماء فى تلك الليلة .

لماذا ساد الهرج والمرج فجأة ؟ ! :

وفجأة ، ساد الهرج والمرج داخل الملهى ، بعض الرواد الذين وصلوا متأخرين يحملون فى أيديهم طبعات خاصة من الصحف كانوا يصيحون بحماس: **« طبرق .. طبرق .. » .**

والتقطت آذان الضباط البريطانيين كلمة (طبرق) .. فقام بعضهم يسأل المصريين الموجودين عما تقوله الصحف عن هذه القلعة البريطانية وجاءتهم الاجابة التى نزلت عليهم كالصاعقة :

« لقد استولى روميل على طبرق ، وهو الآن يطارد بقايا الجيش الثامن عبر الحدود المصرية فى مرسى مطروح ! » .

مدير المخابرات البريطانية : يا للعنة ! :

وتململ رجل يرتدي الملابس المدنية ، ذو نظرة جادة وشعر رمادى ، كان قد انضم للملهى منذ بضع دقائق ــ وكان من السهل أن يعرف المرء أنه ضابط بريطانى ، وفى الحقيقة كان هذا الرجل هو مدير ادارة المخابرات البريطانية فى القاهرة ــ ثم انضم الى مائدة حسين جعفر (١) ، وساندى صائحا : « يا للعنة » ، وهز حسين جعفر رأسه وتساءل : أنباء سيئة ؟

فأجاب رجل المخابرات البريطانية ، وقد جاهد لاخفاء شعوره : « سيئة جدا » ثم أضاف : « انها لا تصدق ! » هز « حسين جعفر » كتفيه بشك وهو يقول : « ولكن الجيش الثامن لا يزال كما هو .. لقد أسر روميل ٣٠ الفا من الجنود فى طبرق ، ولكن مصر تعج بالجنود الانجليز ، وأخيرا ، هناك الجيش العاشر .. ماذا يفعل فى سوريا ؟ .. أعتقد أنه ينبغى احضاره للدفاع هنا ، فلا يمكنكم ترك القاهرة ليستولى عليها الألمان » .

ولم يستطع مدير المخابرات البريطانية أن يمنع نفسه ليجيب : « يمكنك أن تطمئن ، فلا يمكن للجيش العاشر أن يقف مكتوف الأيدى فى سوريا عندما يحضر روميل ! » .

وارتسمت على شفتى (ساندى) ابتسامة عريضة ، وهو يقول : هذا جميل .. أنباء عظيمة ! ، والله أنباء عظيمة .. وقاطعه زميله (حسين جعفر) وفوق ذلك ، فان لدينا أيضا الجيش المصرى !

وهنا رفع الضابط البريطانى بصره ليتوجه اليه قائلا :

« الجيش المصرى ؟ .. عفوا .. أنا لا اريد أن أزعجك .. ولكن انظر خلفك . هل تظن أن أنباء الكارثة التى حلت بجيشنا فى طبرق قد ضايقتهم ؟ » ، واشار بيده الى مائدة كان يجلس اليها بعض الضباط المصريين ..

---

(١) حسين جعفر هذا هو الجاسوس الالمانى (هانز ابلر) الذى جاء مع زميله (جانز جيرد ساند ستلت) وشهرته (ساندى) ، الى القاهرة فى مهمة خاصة ، وقد استغل حسين جعفر معيشته قبل الحرب فى مصر ومعرفته التامة باللغة العربية الى جانب جواز سفره المزيف باتقان بمعرفة المخابرات الألمانية ، بينما زود (ساندى) بجواز سفر مزيف كذلك على انه مواطن امريكى من اصل ايرلندى ، كان اسمه فى جواز السفر (بيتر مونكاستر) .

« رقصة طبرق يا حكمت » ! :

وقبل أن يجيب (ساندى) ، وضع (حسين جعفر) يده على كتفيه وقال : حكمت فهمى ستدخل حالا ، ولم يكد يكمل جملتـــه حتى انفجر الهتـــاف والتهليل ، لقد ظهرت حكمت فهمى !

قال ضابط المخابرات البريطانى : « انها احدى عجائب الدنيا مثل حدائق بابل المعلقة ! » .

كانت المرأة نموذجا للجمال العربى ، وراقصة ممتـــازة يندر أن يوجـــد مثيلتها فى (ونتر جاردن) أو (الاســـكالا) أو (الفولى برجير) أو (الكافيـــه دى باري) ، ولم يكن هناك سوى عدد محدود جدا من الناس يعرفون أن هذه الراقصة تعتبر أحد المصادر الهامة للمعلومات بالنسبة للمخابرات الألمانية (١) .

وعنـــدما انتهت حكمت فهمى من أداء رقصتها ، دوى المكان بالهتـــاف والتهليل ، وصاح المتفرجون وألقوا فوقهـــا الزهور ، وفجأة ضجت الصـــالة بصيحة أطلقها بعض المصريين : « ارقصى رقصة طبرق يا حكمت ! » .. كانت الصيحات باللغة العربية ، ولكن كثيرين من الانجليز فهموها ، وهكذا تبلورت مشكلة مصر فى هذا المكان ! كانت مصر ترزح تحت الاستعمار البريطانى بينما كان الأمل المضىء أمامها يتمثل فى روميل ، تصف المصـــادر الألمانيـــة الموقف حينذاك : وتكهرب الجو فى القاهرة ، وأخذت جماعات الجماهير تتناقل الأنباء وتصيح وتغنى وترقص ، بينما خرجت مظاهرات الطلبة تهتف : « الى الأمام يا روميل ! ، تقدم يا روميل » .

على مسافة ٧٥٠٠ ميل من القاهرة ! :

فى نفس الليـــلة ــ ٢١ يونيه ١٩٤٢ ــ وفى البيت الأبيض ، على مســـافة ٧٥٠٠ ميل من القاهرة عقـــد تشرشل وروزفلت مؤتمرا هاما ، حيث كان ونستون تشرشل قد طار الى الولايات المتحدة لمناقشـــة الموقف الحربى مع الرئيس الأمريكى ، لم تكن هناك الا القليل من الأنبـــاء المشجعة التى يمكن أن يقدمها كل منهما للآخر ، فأوروبا أصبحت فى أيدى الألمان ابتداء من الحدود الفرنسية ــ الأسبانية حتى (نارفيك) .. وفى آســـيا كان اليابانيون يتابعون

(١) يوميات الحرب الالمانية ــ برلين ــ ١٩٥٥

تقدمهم الظافر بعد أن استسلمت (سنغافورة) ، بينما كانت غواصات هتلر ترسل آلاف الأطنان من حمولات السفن الى قاع البحر ، وفى روسيا كانت الفرق الألمانية المدرعة تهاجم (الفولجا) بينما (ستالين) يرسل اشارات الاستغاثة اليائسة لفتح جبهة ثانية .. ولكن أين ؟ !

لماذا تجمد وجه روزفلت ؟ :

وبينما كان الرئيسان يتبادلان الحديث ، تسلم روزفلت برقية عاجلة ، ما أن قرأها ، حتى تجمدت أسارير وجهه ، وخيم السكون لحظة ، ثم سلمها الى تشرشل ..

ولنقرأ وقع هذه اللحظة المؤلمة من مذكرات ونستون تشرشل :

« كانت البرقية تقول أن طبرق قد استسلمت ، وأسر روميل ٢٥ ألف مقاتل (١) ، كانت مفاجأة مذهلة حتى أننى لم أصدق ، لذلك طلبت من الجنرال (ايسماى) أن يتأكد من صحة النبأ من لندن هاتفيا ، وبعد لحظات قليلة أحضر لى الرسالة التالية ، والتى كانت قد وصلت توا من الأميرال « هاردوود » فى الاسكندرية : « لقد سقطت طبرق ، وأصبح الموقف سيئا لدرجة أنه من المنتظر وقوع غارات جوية عنيفة على الاسكندرية فى القريب العاجل بالنظر الى قرب اكتمال القمر ، لذلك فاننى سأرسل بكل وحدات الأسطول الى جنوب قناة السويس فى انتظار تطور الأمور » .

يضيف تشرشل :

« لقد كانت هذه هى احدى اللحظات العصيبة التى لا يمكننى أن انساها طوال فترة الحرب ، ليس فقط بالنظر الى آثارها العسكرية السيئة ، ولكن لأثرها كذلك على سمعة الجيوش البريطانية ففى سنغافورة استسلم ٨٥ ألف من قواتنا لعدد أقل من اليابانيين ، والآن ، ألقت حامية طبرق سلاحها أمام حوالى نصف عددها ، فاذا كانت هذه هى حقيقة الروح المعنوية لجيش الصحراء ، فلا يمكن تخيل مدى الكوارث التى تهدد مسرح شمال أفريقية ، ولم أكن أعتزم أن أخفى على الرئيس روزفلت الصدمة التى تلقيتها ، لقد كانت لحظة مريرة .. ان الهزيمة شىء والعار والفضيحة شىء آخر .. لم يوجه

---

(١) يلاحظ ان تقارير البريطانيين كانت تقلل من عدد الاسرى ، بينما كان تقارير الالمان تعطى أرقاما أكبر من الحقيقة ، وهذا امر يحدث فى المعارك الكبرى عادة ، أما حقيقة عدد الاسرى فى (طبرق) فكانت ٣٣ الف اسير .

روزفلت أى لوم ، بل على العكس فقد اظهر شـعورا ينطوى على الشـجاعة والانسانية ، قال لى : ماذا فى استطاعتنا أن نقدم للمساعدة ؟ . .

فأجبته على الفور : اعطنى اكبر عدد يمكنك الاسـتغناء عنه من دبابات الشيرمان وانقلها بحرا الى الشرق الأوسط بأسرع ما يمكن » . .

« واستدعى الرئيس روزفلت الجنرال « مارشـال » الذى حضر على الفور ، ونقل اليه ما طلبته منه فرد « مارشال » : سـيدى الرئيس .. ان انتاج دبابات الشيرمان لم يبدأ الا قبل قليل ، وقد أرسلنا ببضع المئات الأولى التى انتجت منها الى فرقتنا المدرعة ، وانه لمن الأمور الفظيعـة يا سيدى ان نغتصب من أيدى جنودنا السلاح الذى يستخدمونه ، ومع ذلك ، فاذا كانت حاجة البريطانيين اليها ماسة الى هذا الحد ، فعلينا أن نعطيهم ما لدينا منها ، وفى وسعنا كذلك أن نزودهم بمائة مدفع اضافى ذاتى الحركة (يدور ذاتيا) ومن عيار ١٠٥ ملم » .

الصديق عند الضيق ! :

يقول ونستون تشرشل :

« ولاستكمال هذه القصة ، يجب على ان اقول أن الامريكيين كانوا أفضل من وعودهم ، ففى الحال ملأوا حمولة ست بواخر من أسرع بواخرهم بثلاثمائة دبابة شيرمان ومعها الأجهزة التي لم تكن قد تم تركيبهـا بعد ، ومائة مدفع ذاتى الحركة ، وارسلت على الفور الى قناة السويس . وقد غرقت الباخرة التى تحمل الاجهزة الخاصـة بجميع الدبابات على مقربة من ساحل برمودا ، بطوربيد من غواصة المانية ، فأمر الرئيس الامريكى والجنرال « مارشال » ـ دون أن يحملانا على التفوه بطلب جديد ، بتعبئـة باخرة أخرى بتلك الأجهزة وارسلت لتوها للحاق بالقافلة ، وهكذا يكون الصديق عند الضيق » .

اوكنلك يطرد :

ما ان تلقى (تشرشل) انباء سـقوط طبرق ، حتى كان قد اتخذ قراره بعزل (أوكنلك) من القيادة ، وكان هذا مثالا جديدا لجناية السياسة على الحرب ،

كتب (تشرشل) فى مذكراته :

« ونظرا لأن التجارب قد علمتنى أن مثل هذه الأنباء غير السارة يحسن عدم القيام بها شفويا ، فقد كتبت رسالة وسلمتها للكولونيل جاكوب ليقوم بتسليمها لأوكنلك فى العلمين (حيث توجد قيادة الجيش الثامن) تتضمن عزله من القيادة .

ويصف الكولونيل جالوب تلك اللحظات التى توجه فيها الى مركز قيادة أوكنلك ، حيث سلمه خطاب رئيس الوزراء قائلا :

« كنت أشعر بأننى ذاهب لقتل صـديق برىء ، وبعد قليل سلمته الخطاب ، فقراه مرتين أو ثلاث مرات فى صمت ، لم تتحرك فى وجهه عضلة واحدة .. ظل هادئا متحكما تماما فى نفسه ، ولقد أعجبت ايما اعجاب بالطريقة التى استقبل بها أوكنلك نبأ عزله ، انه رجل عظيم وجنرال فذ » .

أما الجنـرال (كوربيت) ــ رئيس أركان أوكنلك ــ فيكتب عن عزل أوكنلك) :

« لقد انتهت المحنة القاسية لمعارك الصحراء ، قبل أن يحرز روميل نصرا ساحقا ، بفضـل أوكنلك ، وعلى الآن أن اترك منصـبى مع قائدى (أوكنلك) ، اننى لفى أشد الأسف لما حدث لهذا الرجل انه قائد بسيط بمثلما هو عظيم » .

وهكذا فقدت القيادة البريطانية قائدا عظيما ، اعترف ببراعته خصمه العتيد : روميل ، ولكنها بصمات السياسة على الحرب ..

الفصل الثانى عشر

- اسماعيل صدقى : كانـوا سيحرقون آبار البترول .
- بين هيكل والنحاس .
- خطط الانسحـــاب من الدلتـــا .
- القاهرة فى خطر !
- النحاس يكتب خطـابا الى روميــل !
- موقف الحكومة المصرية .

السياسة والحرب مرة أخيرة

بعد سقوط طبرق

هل كان الإنجليز ينوون إغــراق الدلتـا !

« وصول روميل للعلمين خلق حالة رعب عند الانجليز فى مصر ، حرقوا اوراقهم ومستنداتهم ليبدأوا انسحابا كاملا الى الخرطوم ، وهم دائما فى النواحى الادارية ممتازين ، ولكننا قررنا انه من غير المعقول أن روميل يدخل الاسكندرية ولا يجد حركة وطنية وعليه وضعنا الخطة » .

من حديث الرئيس السادات فى ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥ بمناسبة عيد ميلاده .

وأخيرا نطرح تساؤلا دار حوله الكثير من الحديث فى أعقاب اندحار الجيش الثامن البريطانى وسقوط قلعة طبرق المنيعة فى ايدى روميل ..، وحين أصبح الطريق الى دلتا النيل مفتوحا امامه دون عائق (اللهم الا عقبات الامداد وابتلاع الجبهة الروسية لكافة موارد المانيا العسكرية) .

ما الذى كانت تفكر فيه القيادة البريطانية العليا ــ بالنسبة لمصر ــ فى حال اضطرارها للانسحاب من مصر أمام قوات روميل المنتصرة ؟ ..

هل كانت تعتزم الدفاع عن قاعدتها فى مصر شبرا شبرا ، أم هل كانت تنوى الانسحاب الى السودان أو فلسطين دون دفاع ؟ ..

بين اغراق الدلتا ونسف آبار البترول :

لقد انتشرت الشائعات فى مصر وقتئذ بأن القيادة البريطانية العسكرية قد طالبت الحكومة المصرية بالحاح باغراق غرب الدلتا أو مديرية البحيرة وجنوبها ، كى تحول هذه المنطقة الى بحر من طين يعوق تقدم دبابات روميل ومركباته اذا زحف نحو الدلتا .

وفى قصر فاروق ، فقد كان الاعتقاد سائدا بأن الانجليز ينوون تدمير خزان أسوان والقناطر الخيرية بهدف اغراق أراضى الدلتا لمنع تقدم الالمان .

صدقى باشا : كانوا سيحرقون آبار البترول ! :

أما اسماعيل صدقى باشا ، فقد أورد د. حسين هيكل انه قد أخبره بانه علم بوصفه رئيسا لاحدى شركات البترول ، أن الانجليز يعتزمون احراق آبار البترول المصرية اذا اضطروا للانسحاب من مصر ، كما ذكر صدقى باشا كذلك أن تجنيب مصر لمثل هذه الكارثة لن يتم الا بتفاهم واضح وصريح بين الحكومة المصرية والقيادة البريطانية لاقناع الأخيرة بالعدول عن تنفيذ هذه الخطة ، وبعدم العمل على تخريب مصر أو اغراقها اثناء قيامهم بالانسحاب منها أمام القوات الالمانية المنتصرة .

بين هيكل والنحاس :

وقد توجه د. حسين هيكل موفدا من صدقى باشا وحسين سرى باشا للتحدث مع مصطفى النحاس فى هذا الأمر ، الا أن الأخير قد أكد له بأنه متنبه لهذا كله ومدرك تماما لما قد يصيب مصر اذا انسحب الانجليز منها ، أو دخلها الالمان (١) .

---

(١) مذكرات فى السياسة المصرية ــ الجزء الثانى ــ د . محمد حسين هيكل ــ مطبعة مصر ــ القاهرة ، ١٩٥٣ .

اين الحقيقة ؟

ان الحقيقة الكبرى في هذا كله ــ كما تؤكد وثائق الحرب البريطانية الرسمية ــ وكما يؤيد ذذلك ايضا د. عبد العظيم محمد رمضان (١) ، تتركز في أن القيادة البريطانية كانت تعتزم الدفاع عن مصر شبرا شبرا ، الأمر الذي يتضح لنا من الأوامر والتعليمات التي أصدرها رئيس وزراء بريطانيا ــ ونستون تشرشل ــ الى قائد القوات البريطانية بالشرق الأوسط ووزير الدولة فيها .

تشرشل : فلتقاتلوا في مصر كما لو كانت بريطانيا تتعرض للغزو :

ففي يوم ٢٥ يونيه ١٩٤٢ ــ وهو اليوم التالي مباشرة لعبور قوات روميل الحدود المصرية نحو مرسى مطروح ــ كتب تشرشل رسالة الى الفيلد مارشال « أوكنيلك » جاء فيها :

« انني آمل ان هذه المحنة سوف تؤدي بكل فرد يرتدي الزي العسكري في الدلتا ، وبكل ما تحت ايدينا من البشر ، الى الارتفاع الى اعلى مستوى قتالي . ان لديك اكثر من ٧٠ الفا من الرجال في الشرق الأوسط ، وعلى كل منهم ان يقاتل ليموت في سبيل تحقيق النصر على العدو . انك في نفس الموقف تماما كما لو ان انجلترا هي التي تتعرض للغزو ، وعليه يجب ان تسود لديكم نفس الروح المعنوية القوية والفعالة » .

الاحتفاظ بمصر باي ثمن ! :

وفي الوقت الذي اتمت فيه قوات الجيش الثامن البريطاني المهزوم **انسحابها الى منطقة العلمين ، كتب تشرشل مرة اخرى الى مستر (كيزي) ــ وزير الدولة البريطاني في مصر ــ يوم ٣٠ يونيه ١٩٤٢ :**

« في الوقت الذي يخوض فيه أوكينلك معركته في ساحة القتال ، عليك بالتعبئة الكاملة للمعركة في حزم بكل فرد لديك في الخطوط الخلفية بالدلتا ، ان على كل فرد يرتدي الزي العسكري أن يقاتل كما لو كانت مقاطعة (كنت) او (سايكس) هما اللتان تتعرضان للغزو ، عليكم بالدفاع حتى الموت عن كل منطقة محصنة وكل نقطة قوية وليكن كل موقع ساحة قتال ، وكل خندق هو الخندق الأخير ، هذه هي الروح التي عليك أن تبثها في كل فرد .. فلا جلاء عام ، ولا اعتبار للسلامة فمصر ينبغي بل يجب الاحتفاظ بها بأي ثمن » .

---

(١) تطور الحركة الوطنية في مصر ــ الجزء الثاني ــ عبد العظيم محمد رمضان ــ دار الوطن العربي ــ بيروت ، ١٩٧٣ .

وماذا عن القنـاة ؟

أما عن نوايا القيادة البريطانية تجاه قنـاة السويس فى تلك اللحظـات الحرجة ، فان أوراق (هارى هوبكنز) ـ الممثل الشخصى للرئيس الأمريكى روزفلت ومستشاره ـ تكشف لنا أمورا جديدة حقـا ، فقد كانت القيـادة البريطانية تعتزم بالفعل تعطيل الملاحة بالقناة وسـدها .

ففى ٣٠ يونيه ١٩٤٢ ـ وتحت تأثير حالة اليأس من الموقف العسكرى فى مصر ـ أرسل الرئيس الأمريكى روزفلت ورقة الى الجنرال (مارشال) يطلب منه الاجابة فيها على الأسئلة التالية :

ـ فى حال افتراض ان الدلتا سيتم الجـلاء عنهـا خلال عشرة أيام وان القناة سيتم سدها ، فانى أسأل الأسئلة التالية :

١ ـ ما هى الضمانات التى لدينا عن أن القناة ستسد بالفعل ؟ ، وهل نعرف نحن الخطة الخاصة بذلك ، وهل يمكنك الاتصال فورا بديل للتحدث معه فى هذا الأمر على وجه السرعة ؟ .. ان سد القنـاة بشكل فعال لأمر أساسى .

٢ ـ من أى موقع (أو مواقع) فى افريقية أو آسـيا الصغرى سوف يقوم الانجليز بعملياتهم البحرية والبرية والجوية ؟

٣ ـ ما هى الخطوة المتوقعة التالية لروميل أو لألمانيا ؟ .. هل تعتقد أنهـا ستكون قبرص وسوريا ؟ وهل الهـدف هو حقول البترول فى الموصل بالعـراق ؟

سنقاتل من السودان ! :

ودون ابطاء ـ وصل رد الجنرال (مارشال) الى الرئيس الأمريكى ، وكان يتضمن :

١ ـ بالنسبة لقناة السويس ، ان البريطانيين يستطيعون اغلاقها بشكل فعال (حتى لقد قدر الجنرال مارشال الفترة اللازمة لاعادة تشغيلها بسـتة شـهور) .

أما بالنسبة للمواقع التى ستحارب منها بريطانيا ، فان الانجليز سوف يكون عليهم الانسحاب الى السودان .

وبخصوص نوايا روميل المقبلة ، فان الواضح ان هدفه الأول ينحصر فى تدمير الجيش الثامن البريطانى فى صحراء مصر الغربية ثم دخول مصر واحتلال قبرص وسوريا ، فالاستيلاء على الموصل والبصرة (للبترول) — ويحتمل كذلك أن يكون هدفه قطع الجسر الجوى الأمريكى الذى يعبر أفريقية الى الشرق الأوسط فالاتحاد السوفييتى والشرق الأقصى .

اوكنيلك يضع خطط الانسحاب الى الدلتا :

وفى ذات الوقت ، كان أوكنيلك — بعد سقوط طبرق والضربة القاصمة التى تلقاها جيشه على يدى روميل — يتخذ الترتيبات اللازمة للدفاع عن الاسكندرية والدلتا فى حالة اضطراره للانسحاب من منطقة العلمين .

ففى ٢٩ يونيه ١٩٤٢ ، كان قد انتهى من وضع اللمسات الأخيرة لتعليماته التى كانت تقضى بارسال بعض القوات الى الاسكندرية ، وذلك لاعداد الدفاعات الخارجية عن الميناء ، وفى اليوم التالى مباشرة عهد الى الجنرال (هولمز) ومعه قيادة الفيلق العاشر بتنظيم الدفاع عن الدلتا .

وفى الأول من يوليه ، أصدرت قيادة الجيش الثامن والفيلق العاشر البريطانى التعليمات المنظمة لعملية الانسحاب من العلمين ، فى حال الضرورة والتى كانت تقضى بأن تنسحب قوات جنوب أفريقية الى الاسكندرية ، بينما تتقهقر بقية تشكيلات الجيش الثامن عبر الطريق الصحراوى الساحلى الى وادى النطرون غربى الدلتا .

القاهرة فى الخطر :

وفى ١٩ أغسطس ١٩٤٢ قام تشرشل بالحضور الى القاهرة ، ليتخذ بنفسه — وعلى حد قوله — وبالاتفاق الكامل مع القيادة العسكرية البريطانية فى مصر ، « سلسلة من الاجراءات المتطرفة للدفاع عن القاهرة والخطوط المائية التى تجرى شمالا الى البحر المتوسط » ، فأقيمت الاستحكامات وأوكار المدافع الرشاشة ، ووضعت الألغام أسفل الكبارى والجسور ، وأطلقت المياه لتغمر كل هذه الجبهة العريضة ، وأعطى كل الموظفين البريطانيين فى القاهرة — ويبلغ عددهم الآلاف من ضباط الأركان والكتاب العسكريين وغيرهم — الأسلحة وأمروا باتخاذ مواقعهم على طول خط النهر المحصن عند اللزوم .

ول تشرشل :

« ولما لم تكن الفرقة ٥١ الجبلية قد تدربت بعد على حرب الصحراء ، قد عهدنا الى قواتها المنتخبة الممتازة بالدفاع عن جبهة النيل الجديدة ، كان مركزنا على جانب عظيم من المنعة ، وذلك بسبب الندرة النسبية جسور (الكباري) التي تعبر أراضي الدلتا التي تكثر بها الترع والمصارف تغمرها مياه الفيضان ، أو يمكن أن يغمرها الفيضان عند الحاجة (بقصد لتحكم في خزان أسوان) .

ولقد بدا لي انه من الممكن عمليا ايقاف هجوم الماني مدرع على طول على ذه الجسور ، كما كان الدفاع عن القاهرة من اختصاص الجنرال البريطاني لذي يتولى قيادة الجيش المصري (بموجب معاهدة ١٩٣٦) الذي كانت قواته يضا قد تأهبت للدفاع ، على أنني رأيت انه من الأفضل أن أعهد بالمسئولية — ذا حدث طارىء — للجنرال (ميتلاند ولسون) الذي كان قد عين لقيادة جبهة العراق — ايران) ، وكانت قيادته في خلال تلك الأسابيع الحرجة في مرحلة لتشكيل في القاهرة ، فأصدرت اليه توجيها بالاطلاع على خطة الدفاع كاملة ، وتحمل المسئولية منذ اللحظة التي يبلغه فيها الجنرال (الكسندر) أن القاهرة قد أصبحت في خطر » .

خطاب من النحاس لتسليمه لروميل عند وصوله ! :

وعلى الجانب المصري ، فقد كثرت التكهنات في تلك اللحظات الحاسمة بين المراقبين الدوليين حول الموقف الذي سيقفه الشعب المصري مع اقتراب قوات وميل من الاسكندرية حيث اتخذ البعض وجهة النظر المتطرفة التي تقول أن أصوات مدافع روميل سوف تكون بمثابة اشارة البدء لقيام ثورة موالية محور ، واستند هؤلاء المراقبين في تعزيز وجهة نظرهم هذه الى الفتور الذي كروا انه اعترى المساعدات التي كانت تقدمها الحكومة المصرية لصالح المجهود لحربي البريطاني والى وجود ما اسموه بمعسكر قوى موال للألمان داخل لقصر وميول الكثيرين من أعضاء الوفد الى جانب المحور ، ووجود طابور خامس .. الخ .

ارومتر السياسة المصرية :

وعلى الجانب الآخر ، فقد كان المراقبون يعلقون اهمية كبيرة على موقف طلبة الجامعة باعتبار انهم يمثلون بارومتر السياسة المصرية آنذاك ، وقد

وصلت بعض الأنباء من الاسكندرية ـ يوم ٢ يولية ١٩٤٢ ـ عن تمزيقهم لبعض شعارات النصر البريطانية التى تحمل حرف V بالانجليزية ، وبناء على هذا التوجس ، فقد اصدرت القيادة البريطانية اوامرها للضباط الانجليز بحمل مسدساتهم معهم أينما تحركوا ابتداء من يوم ٢٨ يونيه ١٩٤٢ ، كما قامت القيادة كذلك بتشكيل وحدات للطوارىء من الكتبة العسكريين والضباط الاداريين فى هيئة الأركان .

واخيرا نأتى الى موقف الحكومة المصرية من الغزو الألمانى المنتظر ، ذلك الموقف الذى أجمعت المصادر العربية وقتذاك بأن مصطفى باشا النحاس ـ رئيس الوزراء ـ كان ينوى استقبال قوات روميل بوصف مصر دولة محايدة غير محاربة (حيث أنها لم تعلن الحرب بالفعل على ألمانيا الا فى عام ١٩٤٥) ، ويورد د. محمد حسين هيكل بأن النحاس باشا قد أبلغه حينذاك بأنه قد أصدر تعليماته الى محافظ الاسكندرية (ليتلقى جيوش الألمان باسم الحكومة المصرية لقاء حسنا) ، **كما أورد محمد التابعى مضمون كتاب وجهه مصطفى النحاس الى الماريشال روميل لتسليمه من محافظ الاسكندرية ـ فى حال دخولها ـ يقول فيه ان مصر دولة غير محاربة ، وان جميع الاجراءات العسكرية التى اتخذتها القيادة البريطانية فى مصر قد تمت كرها ودون استشارة الحكومة المصرية ذاتها كما ان مصر حكومة وشعبا يتمسكان بالسلام ، وان الحكومة المصرية قد اتخذت جميع الاجراءات لحفظ الأمن والحيلولة دون وقوع اضطرابات)) .**

خـــاتـمة

القاتل يقدم العزاء لأسرة القتيل !!

سر نهاية ثعلب الصحراء

بعد انسحاب الجيش البريطانى الى منطقة (العلمين) ــ على بعد ٦٠ ميلا من الأسكندرية ــ فى حالة يرثى لها من الفوضى والاضطراب والتفكك ، بدأت مرحلة جديدةمن حرب الصحراء ، تم فيها كما أسلفنا عزل الفيلدمارشال (أوكنلك) ، وعين محله الجنرال مونتجومرى (فيلد مارشـــال) فيكونت مونتجمرى أوف علمين فيما بعد) ، الذى قام بتنفيذ خطط (أوكنلك) التى وضعها قبل عزله ، وكما هو معروف ، فقد كانت معركة العلمين التى بدأت ليلة ٢٤/٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ بمثابة بداية النهاية لفيلق البانزر الأفريقى الذى قام بالانسحاب غربا فى اتجاه تونس ، لتقوم القوات الأنجلو أمريكية تحت قيادة ايزنهاور (والتى كانت قد نزلت فى تونس فى الأول من نوفمبر ١٩٤٢) أفريقية .

لقد كانت نهاية فيلق البانزر الأفريقى محتومة ــ على الرغم من كفاءة روميل العسكرية ــ فحيث أنه لا يمكن الفصل بين السياسة والحرب ، فقد كانت قوات روميل تقاتل من أجل قضية محكوم عليها مقدما ، كانت الأهداف السياسية لهتلر تثير استنئمزاز العالم الحر كله ، فجيوشه تقاتل من أجل الغزو والعدوان الأمر الذى ألب عليه كافة الدول المكارهة الفاشية والغزو وتطبيق شريعة الغاب ،

وبالمثل ، فقد كانت نهاية روميل نفسه ، ابلغ نموذج لتاثير السياسة على الحرب ..

فما أن عاد الى ألمانيا ــ عقب اصابته فى جبهة (نورماندى) (أثناء قيام الحلفاء بغزو فرنسا من نورماندى عام ١٩٤٤) ، حتى بدأ يكتشف أبعاد المذابح التى أقامها هتلر بفتحه لجبهات ثلاث (فى روسيا وايطاليا وفرنسا) بدون هدف واضح الا شهوة حكم العالم ..

يقول (مانفريد) ــ ابن روميل ــ عن هذه الفترة (١) :

« فى منتصف اغسطس ١٩٤٤ ، نقل والدى الى المنزل ، عقب اصابته فى نورماندى ، توجهت بسرعة الى غرفة المكتب حيث كان يجلس فى مقعد مريح بجوار منضدة وعينه اليسرى مغطاة برقعة سوداء ، بينما كان الجزء الأيسر من وجهه مشوها نتيجة الاصابة ..

« كان والدى ثائرا على (هتلر) .. وقف على قدميه بصعوبة ونظر من النافذة ليقول :

« ان شجاعتنا لم تفد ، لم يكن الأمر كله سوى مذبحة رهيبة ، وأحيانا وصلت خسائرنا فى اليوم الواحد فى (نورماندى) الى نفس الرقم الذى بلغته خلال كل حملة الصيف فى شمال افريقيـة عام ١٩٤٢ ، تقارير خسائر ثم تقارير خسائر .. وهكذا ، وكل يوم كنت مضطرا لشطب ما يوازى قوة لواء كامل ! ..

يقول (مانفريد روميل) :

« وبحركة عنيفة تحول والدى فجاة نحوى وقال :

وأسوأ ما فى الأمر أن كل هـذا كان دون معنى ، أو هـدف فلا يوجد ما نستطيع عمله ، وكل طلقة نطلقها لن تؤذى سوانا ، وسيرد عليها العدو بمائة ضعف ، وكلما قربت النهاية ، كلما كان ذلك أفضل للجميع ! »

« ان الحرب دائما لا تنفع الأفراد الذين اشعلوها الا فى النادر ، أو اذا كانت لهدف التحرير ، وليس السيطرة .. »

هل هى صحوة ضمير ؟ ! .

يقول (مانفريد روميل) وهو يصف لنا نهاية ثعلب الصحراء : روميل ..

« وحتى هذا الوقت ، لم أكن أعرف أن والدى كان مشتركا فى محاولات عقد صلح منفصل مع دول الحلفاء ، كما لم أفكر مطلقا فى انه قد تكون هناك أية صلة بينه وبين مؤامرة ٢٠ يولية ١٩٤٤ (ضد هتلر) وفى يوم .. قال لى والدى :

---

(١) مذكرات روميل ــ ٦ اجزاء ــ تعريب العقيد فتحى عبدالله النمر ــ الانجلو المصرية ــ القاهرة .

« قل لى يا مانفريد .. ما الذى يشعر به الشبان الصغار امثالك تجاه (هتلر) عندما ترونه يشنق عددا كبيرا من الرجال الذين اقتنعوا بأن الحرب قد انتهت ، وينبغى أن ننهيها بالفعل ؟ »

وقبل أن أجيب ، قاطعنى أبى :

« وما هو شعورك لو انى قمت باعلان رغبتى فى انهاء هـذه الحـرب العدوانية ، حتى ولو كان ذلك ضد ارادة (هتلر) ؟ .. فسألته : ولماذا تسألنى عن هذا ؟ »

فقـال :

« لنترك الموضوع فى الوقت الحالى ، ولكنى أؤكد لك انه لا يمكن أن يتوقف مصير امة باسرها على نزوات مجموعة قليلة » .

روميل : الضحية التالية لهتلر !

ثم يروى لنا (مانفريد روميل) قصة نهاية روميل على أيدى (هتلر) ، الذى اكتشف معارضة الأول لسياسته المدمرة ، يقول (١) :

« منحت إجازة من وحدتى يوم ١٤ أكتوبر ١٩٤٤ ، وذهبت الى منزلنا فى (هرلينجن) كان أبى يتناول افطاره ، ثم بدأ الحديث قائلا لى :

فى الظهر سيصل الى هنا جنرالان لمناقشة مهمتى المقبلة ، وعليه سيتقرر مصيرى » .

وفى الثانية عشرة ظهرا ، توجه أبى الى غرفته وارتدى ملابسه العسكرية فى ذات الوقت الذى توقفت فيه سيارة قاتمة اللون أمام بوابة الحديقة ، لينزل منها الجنرالين (بير جدورف) و (مايزل) ، دخلا المنزل وطلبا السماح لهما بالتحدث مع أبى على انفراد ..

وبعد دقائق ، شاهدت والدى يدخل غرفة امى ، وقف فى منتصف الغرفة شاحب الوجه ، ليقول لى بصوت خفيض :

تعال معى للخارج .. ، وبدا يتحدث ببطء : « لقد اضطررت لان أقول لأمك اننى سأموت بعد ربع ساعة ! »

---

(١) مذكرات روميل ـ اعداد ليدل هارت ـ تعريب عقيد فتحى عبد الله النمر ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة

كان هادئا .. واستمر فى حديثه :

« ان موت الانسان بأيدى بنى وطنه أمر صعب ، ولكن المنزل الآن محاصر، وهتلر يتهمنى بالخيانة العظمى »

ثم أضاف بسخرية : ونظرا لخدماتى فى شمال افريقية ، فقد اعطانى الخيار فى أن أموت بالسم ، الذى أحضره الجنرالان معهما ، وهو يقتـــل الانسان فى ثلاث ثوان » .

ثم نادى والدى النقيب (آلدينجر) ــ أركانحربه ــ وقال له :

« انهم سيقيمون لى جنازة عسكرية ، طالبت بأن تقام فى (أولم) ، وفى خلال ربع ساعة ستتلقى مكالمة تليفونية يا آلدينجر من المستشفى تفيد بأننى أصبت بنزيف فى المخ .. »

ثم نظر والدى فى ساعته ليقول : « يجب أن أذهب ، فقد سمحوا لى بعشر دقائق فقط »

نزل والدى ، ورفع الجنرالين أيديهما بالتحية العسكرية المفيلد مارشال روميل ليركبوا السيارة التى انطلقت بسرعة ..

وبعد عشرين دقيقة ، دق جرس التليفون .. رفع (آلدينجر) السماعة ليسمع خبر وفاة والدى بسبب (نزيف فى المخ) !

وفى المساء ، ذهبنا الى مستشفى (أولم) حيث رقد والدى للمرة الأخيرة على سريره الأبيض فى زيه العسكرى ، وعلى وجهه تعبير ينم عن الاحتقار ..

(هتلر) يواسى ارملة روميل ! :

ويختتم (مانفريد روميل) قصة نهاية روميل ، قائلا :

« وكان أحقر مظاهر هذه القصة هى مشاعر العزاء التى تلقيناها من اعضاء الحكومة الألمانية ، والذين كانوا جميعـــا يعرفون السبب الحقيقى لوفاة أبى ..

ففى ١٦ أكتوبر ١٩٤٤ تلقينا البرقية التالية :

السيدة الفاضلة لوسى ماريا روميل

« أرجو أن تتقبلى خالص عزائى للخسارة الفادحة التى أصابتك بوفاة زوجك ، ان اسم الفيلد مارشال روميل سيرتبط الى الأبد بمعاركه العظيمة فى شمال افريقية . »

« أدولف هتلر »

انها السياسة والحرب !!

مراجــع الكتاب

أولا : المراجع العربية

١ ــ محمد انور السادات :

ياولدى هذا عمك جمال : دار المعارف ــ القاهرة

٢ ــ عمر الديراوى

« الحرب العالمية الأولى » : دار العلم العلم للملايين ــ بيروت

٣ ــ رمضان لاوند

الحرب العالمية الثانية ــ دار العلم للملايين ــ بيروت

٤ ــ قائد سرب حسن عزت

أسرار معركة الحرية ــ مطبعة مصر ــ ١٩٥٣

٥ ــ نبيل راغب

السادات رائدا للتاصيل الفكرى ــ دار المعارف ــ القاهرة

٦ ــ مذكرات روميل

اعداد : ليدل هارت بمعاونة آخرين ــ تعريب عقيد فتحى عبد الله النمر ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة (٦ اجزاء)

٧ ــ كمال رفعت / مصطفى طيبة

حرب التحرير الوطنية : بين الغاء معاهدة ١٩٣٦ والغاء اتفاقية ١٩٥٤ ــ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ــ القاهرة

٨ ــ د. محمد حسين هيكل

مذكرات فى السياسة المصرية ــ الجزء الأول ــ مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ، ١٩٥١

٩ ـ د. محمد حسين هيكل

مذكرات فى السياسة المصرية ـ الجزء الثانى ـ مطبعة مصر ـ القاهرة ١٩٥٣

١٠ ـ جنرال كارل ڤون كلاوز فيتز

فى الحر ب : تعريب وتعليق اكرم ديرى ومقدم الهيثم الأيوبى ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر (٤ اجزاء) ـ القاهرة

١١ ـ السيد فرج

معركة العلمين ـ اقرأ ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٦٧

١٢ ـ عبد المنعم شميس

أنور السـادات : سيرة بطل حرر روح مصر ـ الهيئة العامـة للاستعلامات ـ القاهرة ، ١٩٧٥

١٣ ـ عبد العظيم محمد رمضان

تطور الحركة الوطنية فى مصر (جزئين) ـ دار الوطن العربى ـ بيروت ١٩٧٣

١٤ ـ د. صلاح العقاد

الحرب العالمية الثانية ـ الأنجلو المصرية ـ القاهرة

١٥ ـ أمين سعيد

تاريخ مصر السياسى (ج ١٢) ـ دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة

١٦ ـ حمدى لطفى

أنور السادات : قصة بعث العسكرية المصرية ـ كتاب الهلال ـ القاهرة ، ١٩٧٢

ثالثا : الدوريات والصحف والوثائق

١ ـ يوميات الحرب الألمانية ـ برلين ـ ١٩٥٥

٢ ـ يوميات الحرب البريطانية ـ لندن ـ ١٩٥٦

٣ ـ النص الكامل لحديث الرئيس محمد انور السادات يوم ١٩٧٥/١٢/٢٥

٤ ـ ملف جريدة الجمهورية (١٩٥٣ ـ ١٩٥٥)

٥ ـ ملف مجلة المصور (١٩٤٢)

٦ ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ اشراف محمد شفيق غربال ـ القاهرة ، ١٩٦٥

٧ ـ كتاب الهلال ـ يوليه ١٩٥٧ ـ القاهرة .

ثانيا : المراجع الأجنبية

1 — Desert Generals. Barnett Covelli, william Kimber, London, 1960.

2 — Introduction a l'histoire Militaire, Tric muraise, charles — Lavauzelle et Co, 1964.

3 — The Killern Diaries, 1934 — 1946, Ed. T. Evans, London, Sidgwick & Jackoon. 1972.

4 — Churchill, Winston : The Second World War, London, Cassell and Co Ltd, 1951.

5. Lampson To Foreign office, Feb 3 — 5, 1942.

6. Royal Institute of International Affairs : "great Britain and Egypt, 1914 — 1951, London, 1957.

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٦/٢٣٦٧

ISBN الترقيم الدولى ٧ — ٢٥ — ٢٩٦ — ٩٧٧ —